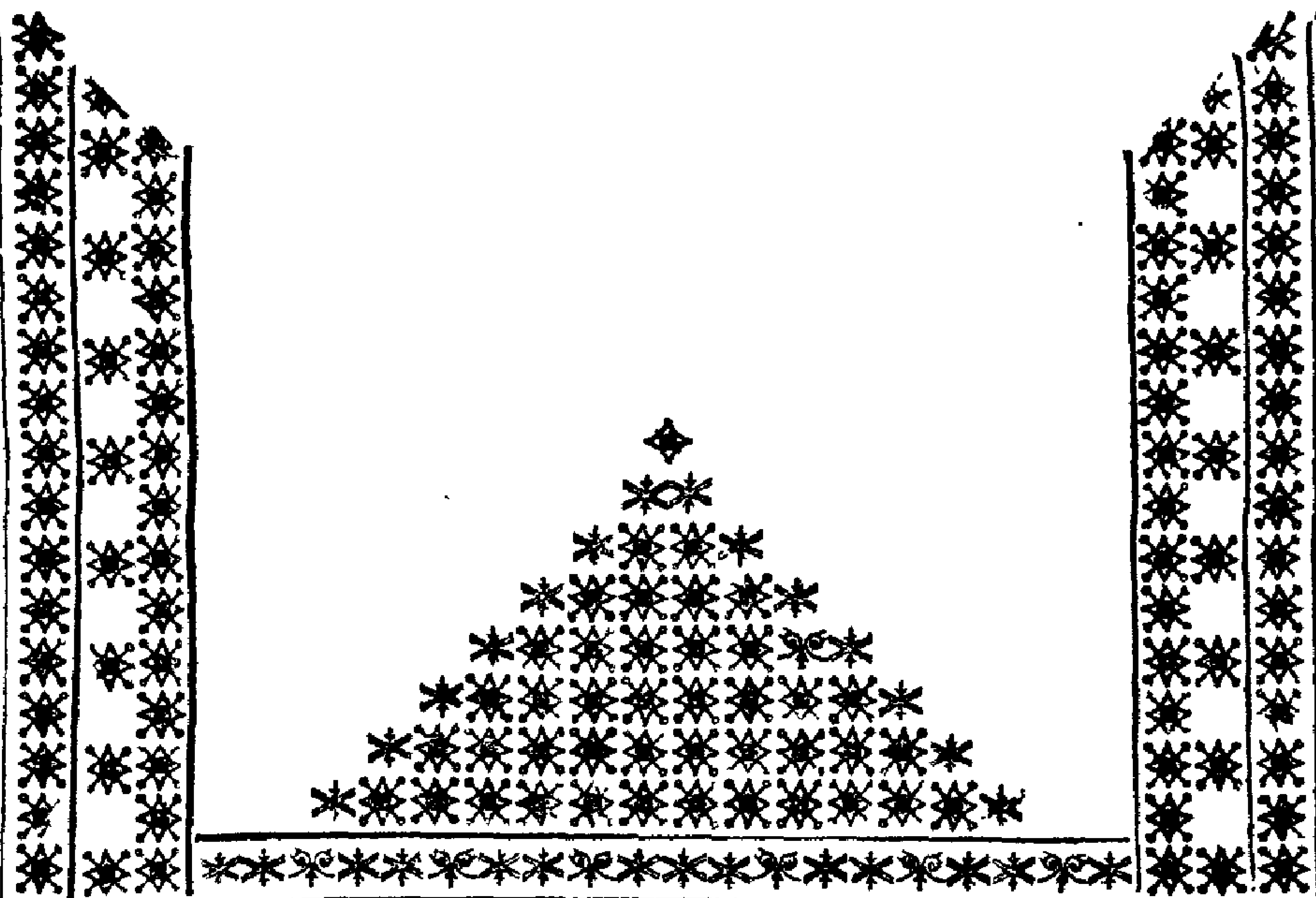
اهداءات ٢٠٠٢

أسرة د/ عبد الرحمن بدوى
جمعية د /عبد الرحمن بدوى للإبداع العلمى
القاهرة

(الجزء الاول)

من كتاب السر الصفى فى مناقب السلطان الحنفى
قطب الغوث شمس الدين سيدى محمد التيمى
البكرى الشاذلى الصديقى رضى الله
تعالى عنه تأليف العلامة الفاضل
الشيخ على بن عمر الشهير
بالبتنونى

ولاجل تمام النفع ذيلنا هذا الكتاب بطبع حزب
النور للسلطان الحنفى المذكور نفعنا الله بأنواره
وتغمدنا وجميع المسلمين بعميم أسراره آمين



(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين * وبعد فيقول العبد الفقير المعترف بالذنب والتقصير علي بن عمر بن علي ابن عبيد أهل الحق والنظر الشهير بالبتنوني عامله الله وجميع المسلمين بلطفه الخفي انى تفكرت فى أحوال سيدنا ومولانا وقدوتنا وحجتنا وشيخنا وامامنا الامام الجليل والسيد النبيل * شيخ مشايخ العارفين كنز الراغبين عدة الطالبين قرة عين العابدين كهف الفقراء والمساكين ذو العطاء والجود عين الوجود قطب دائرة الكون فريد عقد زمانه وامام أئمته واعلامه أبو عبد الله محمد بن حسن بن علي التيمي البكري الشاذلي الحنفي تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته وأعاد علينا من بركاته وجوده وأفاض علينا من أنوار شهوده فوجدت له كرامات عظيمة ومناقب كثيرة مشهورة لكنها لعدم ..د منثورة غير محصورة وهى فيما بين الناس شائعة الا أنها لعدم الضبط لها ..ه * فلما رأيت ذلك وتأملت ما هنالك أحببت أن أجمع بين اشتاتها وأؤلف بين ..اتها فبذلت فى ذلك طاقتى على قدر استطاعتى لعلمى بضعف همتى وقصر همتى ..كان السبب الحامل لى على تأليفه والباعث لى على تصنيفه وجود الحب والاعتقاد ..م البغض والانتقاد ومع ذلك لم أستطع جمع كل المناقب ولم أستوعب كل الفضائل ..لمراتب فان مناقبه لا تعد ولا تحصى وكراماته لا تستقصى وارجو من فضل الله تعالى ..ن يكون هذا الكتاب نزهة لكل ناظر وبهجة لكل مناظر وتثبيتا لافئدة المريدين المعتقدين وقمعا للنفوس المتنطعين المنتقدين وسميته السر الصفى فى مناقب سيدى محمد الحنفى ورتبت هذا الكتاب على مقدمة وخمسة أبواب *(الباب الاول)* فى

ابتداء

ابتداء أمر سيدى وظهور شأنه واشتهار أمره •(الباب الثانى)• فيمن أخذ عنه سيدى من المشايخ ومن انتمى اليه وعرف به •(الباب الثالث)• فى ذكر أحواله وطريقته وكيفية أحواله وصحبته مع أبناء الدنيا من أرباب المناصب وذوى المراتب الدينية والدنيوية •(الباب الرابع)• فى ذكر شئ من مناقبه وكراماته •(الباب الخامس)• فى ذكر من انتفع به وبصحبته من المريدين والمحبين على سبيل الاختصار واسأل الله العظيم أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ولنشرع الآن فى الكلام على المقدمة اعلم أن الكلام على هذه المقدمة يشتمل على ثلاث مسائل الاولى فى اثبات كرامات الاولياء الثانية فى الفرق بين الكرامة والمعجزة الثالثة فى تعريف الولى الخاص ومعنى الولى ومايتصل بذلك (المسألة الاولى فى اثبات كرامات الاولياء) اعلم أن كرامات الاولياء حق عند أهل السنة والجماعة والايمان بها واجب نص على ذلك الامام الاعظم أبو حنيفة رضى الله عنه فى كتابه المعروف بالفقه الاكبر وفى كتابه المسمى بالسواد الاعظم وخرج على ذلك مسألة عظيمة ذكرها صاحب كتاب عدة المفتى فقال لو أن رجلا بالمشرق وكل وكيلا أن يزوجه امرأة بالمغرب ففعل الوكيل ذلك ثم ان المرأة حملت فلما مضت مدة الحمل وضعت ولدا فهل يلحق نسب الولد بالزوج المذكور وهو بالمشرق والمرأة بالمغرب فقال الامام أبو حنيفة يلحق نسبه بالزوج ويجرى بينهما التوارث لصحة النسب واستدل على ذلك بأنه يجوز أن يكون الزوج المذكور من الاولياء وانتقل اليها بالكرامة فان الدنيا خطوة مؤمن قال ولا أقول بأنه ولد زنا قال ووافقه على ذلك الامام مالك والامام الشافعى والامام أحمد بن حنبل رضى الله عنهم أجمعين وخالفه فى ذلك المعتزلة عليهم من الله مايستحقون فانهم لايؤمنون بكرامات الاولياء ولايصدقون بها وممن نص على ذلك ايضا الشيخ الامام والليث الهمام زين الاسلام أبو بكر الرازى فى كتابه المسمى بالهداية فى أصول الدين شرح يقول العبد فقال اعلم ان كرامات الاولياء حق فنقر ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم لانه يجوز أن يظهرها الله تعالى على يد من يشاء من عباده ثم قال ومن أنكر كرامات الاولياء كان خارجيا ومعتزليا وهما ينكران الآية قال الله تعالى لام موسى فالقيه فى اليم فهذه كرامة لها وأخرج الله رزق الشتاء فى الصيف ورزق الصيف فى الشتاء وأظهر الرطب فى الصحراء من النخلة وكان لتلك النخلة سبعون سنة لم يخرج لها غرف فكان ذلك كرامة لمريم وقال الله تعالى قال الذى عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وهو آصف بن برخيا وكان من الاولياء وهو وزير سليمان ولم يكن آصف نبيا وأتى بعرش بلقيس من اليمن الى بيت المقدس قبل ان يرتد الى سليمان طرفه من تلك المسافة البعيدة فاذا جاز أن يكون فى أمة سليمان كرامة الاولياء فكيف لايجوز أن يكون فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم كرامة الاولياء وهو أفضل من سليمان ومن جميع الانبياء وأمته أفضل الامم فان قالوا ان تلك الكرامة كانت من قبل سليمان عليه السلام

قيل له ماتقول فى كرامة أخرى قال الله تعالى وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فهذه الكرامة لمريم ولم تكن نبيا فان قال المبتدع كان الرطب كرامة لعيسى عليه السلام قيل فما تقول فى كرامة أخرى وهو قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ولم يكن عيسى فى ذلك الوقت فان قال المبتدع لو أن أحدا ذهب فى ليلة واحدة الى بيت الله الحرام ورجع لايكون هذا ولا يمكنه أبدا فنقول يمكنه ويجوز لان المؤمن خير من الكافر وقد وجدنا الكافر يسير فى ساعة واحدة من المشرق الى المغرب وهو ابليس لعنه الله وان سافر المؤمن فى ليلة واحدة الى بيت الله الحرام ووجد فى موضع طعاما فليس بعجب وهذا ظاهر فى كثير من صالحى أمة محمد صلى الله عليه وسلم انتهى كلام الشيخ الامام أبى بكر الرازى رحمه الله تعالى وسئل الامام أبو حفص الكبير النسفى الحنفى رحمه الله تعالى عن الكعبة هل تزور أحدا من الاولياء فقال ان نقض العادة على سبيل الكرامة لاهل الولاية جائز عند أهل السنة والجماعة قيل له فان انتقلت الكعبة الى ولى من موضعها فكيف حال المصلين اليها فقال فى جوابه القبلة موضع الكعبة لابناء الكعبة والموضع بحاله وهذه المسألة مذكورة فى كتاب جواهر الفتاوى للامام أبى الفضل الكرمانى رحمه الله وقال الامام الرازى أيضا ان خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه شرب قدحا من السم فلم يضره ودعا أبو حنيفة يوما فنزلت عليه مائدة من حيث لايعلم قال ولان كرامات الاولياء وان كانت بخلاف العادة فهى فى قدرة الله تعالى ممكنة غير ممتنعة وليس فيها وجه من وجوه الاستحالة فوجب تجويزه ولان الله تعالى حكيم قدير ورسالة الرسل لاتنافى حكمته فكذلك اظهار الكرامة على يد الولى ليس مماينافى الحكمة وذلك يدل على حقيقة هذا الدين ولان فى ظهور كرامة الولى معجزة الرسول لان بظهورها يعلم ان الولى محق فى دينه ودينه انما هو التصديق برسالة رسوله واتباعه اياه حق وشريعته صدق وظهور الكرامات لايؤدى الى سد باب المعجزة لان الكرامة تظهر بغير الدعوى بل يجتهد الولى فى كتمانها ولو ادعى ولى ذلك لذهبت ولايته وبالله العصمة (المسألة الثانية فى الفرق بين المعجزة والكرامة) اعلم رحمك الله أن العلماء رضى الله عنهم اختلفوا فى ذلك فقال بعضهم ان المعجزة حجة الانبياء على صحة دعواهم فيكون لهم اظهارها متى احتاجوا اليها وكرامة الاولياء تحصل من غير احتياجهم اليها بدون سبق دعوى منهم هكذا قاله الامام أبو الفضل الكرمانى فى جواهر الفتاوى أيضا وسئل الامام فخر الدين الرازى الحنفى من أئمتنا رحمهم الله تعالى عن الفرق بين المعجزة والكرامة فقال مايكون على خلاف العادة اذا ظهر على يد مدعى الرسالة وبقاء وقتها وعند الدعوى والانكار يكون ذلك معجزة فى حقه وعلى يد الولى يجوز أن يظهرها تصحيحا لدينه الحق ويكون ذلك كرامة فى حقه واظهارا لصحة دينه ويكون ذلك معجزة فى حق نبيه وقال حجة الشريعة من أئمتنا رحمهم الله فى

الفرق بين المعجزة والكرامة ان المعجزة هي ظهور المناقض للعادة على يد مدعي النبوة اذا كان الزمان زمان الرسالة فانه يحتاج الى الدليل لاثبات الحق فالمعجزة هي الدليل القائم من الله تعالى على صحة دعواه مثاله دعوى المدعي انما تسمع اذا كان أهلا للدعوى ودعواه صحيحة في نفسه ومجرد الدعوى غير موجب للعقل فلابد من اقامة البينة والكرامة ظهور ناقض العادة على يد الولي لتصحيح دعوى دينه مع كتمان ذلك ومن غير دعوى سابقة ويكون ذلك دليلا لصحة دينه وكل كرامة ظهرت على يد ولي كانت معجزة للرسول وتصديقا لدينه والله أعلم (المسألة الثالثة في تعريف الولي ومعنى الولي والولاية) قال الشيخ أبو عبد الله محمد الواسطي في كتابه مجمع الاحباب مختصر الحلية أما تعريف الولي الخاص فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله تعالى فقال الذين اذا رؤا ذكر الله عز وجل رواه البزار في مسنده قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى ان ولي من عبادي وأحبائي من خلقي الذين يذكرون بذكري واذكر بذكرهم قال وليس لقائل ان يقول لم لا عرفت الاولياء بقوله تعالى الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لانا نقول ان الآية لم ترد في هذا على سبيل التعريف وأيضا فانا نقول ان الآية الكريمة ليست نصا صريحا في وصفهم لان قوله تعالى الذين آمنوا وكانوا يتقون يجوز ان يكون مبتدأ خبره مابعده وهو قوله لهم البشرى وان كان كذلك لا يتم التعريف المذكور انتهى وأما معنى الولي فانه يحتمل أمرين أحدهما انه من توالت عليه الطاعات من غير تخلل معصية والثاني ان معناه هو الذي يتولى الحق حفظه وحراسته على الدوام والتوالي فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدرة العصيان ويديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة قال الله تعالى وهو الذي يتولى الصالحين ذكره الامام القشيري في رسالته قال بعضهم الولي هو الذي توالت أفعاله على الموافقة وقال يحيى بن معاذ الولي لا يرائي ولا ينافق ولا يداهن وما أقل صديق من هذا حاله وقيل علامة الولي شغله بالله وفراره الى الله وهمه لله وقال الامام القشيري رحمه الله اختلف أهل الحق في الولي هل يجوز أن يعلم أنه ولي أم لا فكان الامام أبو بكر بن فورك يقول لا يجوز ذلك لانه يسلبه الخوف ويوجب له الأمن وكان الاستاذ أبو علي الدقاق يقول بجوازه قال القشيري وهو الذي نؤثره ونقول به قال وليس ذلك بواجب في جميع الاولياء ولكن يجوز ان يعلم بعضهم ذلك ويجوز أن لا يعلم بعضهم ذلك فاذا علم بعضهم انه ولي كانت معرفته تلك كرامة له انفرد بها وليس كل كرامة لولي يجب أن تكون تلك بعينها لجميع الاولياء بل لو لم تكن للولي كرامة ظاهرة عليه في الدنيا لم يقدح ذلك في حقه ان لا يكون وليا بخلاف الانبياء عليهم السلام فانه يجب أن تكون لهم معجزات لان النبي مبعوث الى الخلق فبالناس حاجة الى معرفة صدقه ولا يعلم ذلك الا بالمعجزة وبعكس ذلك حال الولي لانه ليس بواجب على الخلق ولا على الولي أيضا العلم بأنه ولي والعشرة من الصحابة صدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبرهم أنهم من أهل الجنة وقول من قال لا يجوز ذلك لانه

يخرجه من الخوف فلا بأس ان يخافوا تغيير العاقبة والذى يجدونه فى قلوبهم من الهيبة والتعظيم والاجلال للحق سبحانه وتعالى يزيد ويربو على كثير من الخوف واعلم أنه ليس للولى مساكنة الى الكرامة التى تظهر عليه ولا له ملاحظة لها وربما يكون لهم فى ظهورها قوة يقين وزيادة بصيرة لتحققهم ان ذلك فضل الله تعالى مستدلين على صحة ماهم عليه من العقائد وبالجملة فالقول بجواز اظهارها على الاولياء واجب وعليه جمهور أهل المعرفة فان قيل فهل يجوز ان يكون الولى معصوما قيل أما وجوبا كما يقال فى الانبياء فلا وأما أن يكون محفوظا حتى لا يصر على الذنوب وان حصلت له هفوات أو زلات فلا يمنع ذلك فى وصفهم كما قيل للجنيد العارف يزنى يا أبا القاسم فاطرق مليا ثم رفع رأسه وقال وكان أمر الله قدرا مقدورا وهذا مختصر ماذكره القشيرى رحمه الله تعالى وجملة القول فحسن الظن بجميع الفقراء واجب على كل مسلم ويجب على كل مسلم ترك الخوض فى أعراض الفقراء وان يحملهم على الظن الحسن ويترك الاعتراض عليهم والانكار بالقلب واللسان فمن سلم سلم ومن أنكر واعترض ندم ومن كلام سيدى الاستاذ الحنفى قدس الله روحه العزيزة اذا كان ابن الفقراء رمادا فلا تطأ عليه بقدمك تحترق وقال أهل العلم رضى الله عنهم من ساء اعتقاده فى الاولياء يخشى عليه سوء الخاتمة فنعوذ بالله من ذلك وقد انتهى الكلام على مقدمة هذا الكتاب بحمد الله وعونه على سبيل الاختصار ولنشرع الآن فى ذكر الابواب التى التزمنا ذكرها فى هذا الكتاب فنقول (الباب الاول) فى ذكر ابتداء أمر سيدى رضى الله عنه ومايتصل بذلك اعلم أن المشهور عنه رضى الله عنه ونفعنا به أنه كان ربى يتيما من أمه وأبيه وأمه الآن خالته اخت أمه حضنته وضمته اليها ثم تزوجت برجل من أبناء الدنيا فكان هذا الرجل يهين سيدى كثيرا ويمقته ويضربه وكان سيدى من حال صغره صبورا على ذلك مسلما للقضاء والقدر الا أنه كان اذا خلا بنفسه وتفكر فى حاله أخذه البكاء فيبكى كثيرا كذا أخبر سيدى عن نفسه الكريمة فلما بلغ سيدى من العمر سبع سنين أخذه زوج خالته ومضى به الى رجل غرابلى يصنع الغرابيل ويبيعهم وقال له خذ هذا الولد وعلمه الصنعة ورجع زوج خالته الى منزله فهرب الاستاذ من عند الغرابلى ومضى الى المكتب فلما علم به زوج خالته أخذه من الغد ومضى به الى رجل مناخلى وسلمه اليه وقال له خذ هذا الولد وعلمه الصنعة ولا ترخ له فانى أخاف عليه ان يعيش بغير صنعة ثم رجع الى منزله فهرب سيدى من عند المناخلى وذهب الى المكتب فلما علم زوج خالته بذلك مضى اليه وأخذه بيده وسحبه على الارض وأخرجه من المكتب ورفع يده ولطمه على خده لطمة شديدة مؤلمة فغشى عليه وأخذ فى البكاء حتى انتحب من شدة البكاء وأخذ سيدى يقول

ماهكذا كنت فى أهلى وفى وطنى ❁ ان الغريب غريب أينما كانا

فكان هذا أول انشاده فرأته امرأة من الحسيرات حين فعل به ذلك وهى مارة فى الطريق فحزنت عليه وبكت وقالت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ما أخوفنى على هذا الرجل

أن تقطع يده قبل موته بذنب هذا الولد المكسور الخاطر اليتيم قال فاجتمع عليه الناس وقالوا له ما يحل لك هذا فان هذا الولد ما يريد الا أن يقرأ القرآن فيجب عليك أن تساعده الى مقصوده وتؤجر على ذلك والمكتب خير له من غيره واتفق رأى الجماعة الحاضرين على ذلك قلت وما أحسن قول الامام أبى الفرج بن الجوزى فى كتابه صدور المجالس اذا اختار الله تعالى شخصا رباه فى طفوليته واختصه بالتوفيق قيل ان زوج خالة سيدى قطعت يده قبل موته تصديقا لكلام تلك المرأة الصالحة ثم ان سيدى لازم المكتب حتى حفظ القرآن حفظا جيدا وأتقنه اتقانا حسنا وكان من رفقاء سيدى فى المكتب الشيخ شهاب الدين بن حجر وسيدى الشيخ أبو العباس خادمه والخطيب جلال الدين بن المطوع والشيخ شمس الدين ابن الخلادتى فاما الخطيب جلال الدين وسيدى أبو العباس فانهما ما زالا فى خدمة سيدى الى الممات وكان أقربهما من سيدى وأكثرهما خدمة له سيدى أبو العباس وأما الشيخ شهاب الدين بن حجر فانه لما حفظ القرآن وأتقنه أخذ فى الاشتغال بعلم الحديث النبوى حديث سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وارتحل من مصر الى داخل البلاد ودخل بلاد العجم والهند والروم واليمن وغير ذلك من الاقاليم واجتمع بكثير من المشايخ من أهل الحديث النبوى وقرأ عليهم وأخذ عنهم علم الحديث حتى لم يبق فى عصره مثله واحتاج اليه الناس ودخلوا اليه وأخذوا عنه وله فى ذلك كتاب اسمه اتباع الاثر فى رحلة ابن حجر جمع فيه شيوخه الذين قرأ عليهم وأخذ عنهم وصار يدعى بشيخ الاسلام ولم يكن له نظير فى وقته وكان قد أعطاه الله الدنيا والدين وتولى قاضى قضاة الشافعية بمصر وأقام فى وظيفة القضاء مدة طويلة وكان مع غزارة علمه وعلو مرتبته وارتفاع منزلته يركب الى سيدى لزيارته ويجلس بين يديه جاثيا على ركبتيه طارقا رأسه الى الارض لا يستطيع أن يرفع بصره الى وجه سيدى من عظم مهابته فاذا انتهى جلوسه مع سيدى قبل يده وقام من بين يديه ومشى الى خلفه خطوات ووجهه الى سيدى وكان من شأن سيدى أنه لا يقوم لاحد ولو كان سلطانا ومع ذلك كانوا يترددون اليه لكثرة اعتقادهم وشدة محبتهم فيه وأما الشيخ شمس الدين بن الخلادتى فانه كان رجلا صالحا عالما وله يد طويلة فى علوم كثيرة أعاد الله علينا من بركاته وكان له مكتب يقرئ فيه الاولاد وكان كل قليل يتردد الى سيدى وكان سبب تأدب هؤلاء الجماعة فى حق سيدى ما حكاه سيدى أبو العباس رحمه الله تعالى قال كان فقيهنا الذى قرأنا عليه القرآن رجلا صالحا أمينا دينا تقيا عفيفا وكان قد أعطى الاطلاع على عواقب الامور فراسة صادقة وكان مشهورا بذلك وكان يقول لنا لا تقطعوا مودة هذا أعنى محمدا الحنفى فانه رجل صالح وكان يأمرنا بملازمته ويقول سيكون له شأن عظيم ورفعة على أبناء جنسه وصيت حسن ويشيع ذكره شرقا وغربا وسترون منه أمورا عجيبة وأما أنت يا أبا العباس فاكثر ملازمته وكن له خادما أيام حياته ولا تخالفه ولا تخرج عن أمره فانك ما دمت على ذلك لم تزل بخير الى أن تموت وربما قال لنا أوصيكم بملازمة هذا الفقير فانه سيعلو أمره ويشتهر ذكره حتى يشار اليه

بالاصابع من بعيد وسترون ما يكون من أحواله فاذا أدركتم ذلك فاذكروني بالرحمة وادعوا لي بالمغفرة قال سيدى أبو العباس فامتثلنا أمره ولازمنا سيدى ملازمة صحيحة الاعتقاد وزدنا على ما كان يقول لنا فقيهنا رحمه الله تعالى قال وكنت انا أكثرهم له خدمة وأشدهم ملازمة حفظا الوصية الفقيه رحمه الله تعالى ولما نظرت منه خوارق الكرامات والعادات صرت لا أفارقه ليلا ونهارا قلت وكان سيدى أبو العباس رجلا صالحا عالما تقيا ورعا عارفا بالله تعالى وكان له درس عظيم يجتمع فيه جماعة من أعيان العلماء قال سيدى أبو العباس فلما اشتهر أمر سيدى وشاع ذكره وعظم أمره أقمت على حالى معه لم أتغير ولم أخرج عن أمره وقد علم الله مني الصدق في مودته حتى ربما كان سيدى رحمه الله يخرج بالليل بعد ما صار رجلا فيجلس على دكة من خشب منصوبة في الدرب بجوار الزاوية فيجلس عليها بالليل وحده فيهجس خاطرى بأن سيدى جالس على الدكة في هذه الساعة فأخرج اليه فاجده فاقبل يده وأجلس بين يديه يحدثني وأحدثه ثم يقوم فيدخل بيته وادخل انا الى بيتي وكان سيدى أبو العباس مع كثرة علمه وارتفاع شأنه وعلو درجته لم يقدر يخالف سيدى في كلمة ولا يخرج له عن أمر وكان عنده خشونة وتقشف في أحواله شديد الهيبة عظيم الوقار زاهدا في الدنيا ونعيمها وكان سيدى الشيخ شمس الدين بن كتيلة رحمه الله يجلس في درسه متأدبا طارقا رأسه ولقد سمعته يوما يقول كنت اذا جلست بين يدى سيدى أبي العباس أرى نفسه كاللقمة المفروكة وربما خطر ببالى مسألة من المسائل وأريد أن أسأله عنها فاذا نظر الى نسيت تلك المسألة الى عينها وأخبرني الشيخ فخر الدين الطرابلسي الذى كان نزيل مدرسة شيخون قال أردت زيارة سيدى أبي العباس فانتخبت احدى عشرة مسألة امتحنه بها فلما اجتمعت به ألقى الله تعالى في قلبي هيبته وصرت كلما تذكرت مسألة من المسائل وأريد ان أسأله عنها نظرت اليه فأنساها ولم أذكرها حتى كأنى لم أعرفها ولا خطرت ببالى ووقع لى معه ذلك في جميع المسائل وقمت من مجلسه ولم أسأله عن شئ وصرت أتردد اليه ولا أقدر على سؤالى له وكان سيدى أبو العباس مع هذا الامر العظيم يقدم لسيدى نعله اذا أراد القيام من مجلسه ويحمله معه غالبا في زاويته سيدى وفي غيرها (استرجاع) قال سيدى أبو العباس ولما كنت أنا وسيدى في المكتب ونحن أطفال كان والدى اذ ذاك قاضيا حنفيا وكان يبعثني الى المكتب على بغلة ومعى المصحف والعبد يحمل اللوح والدواة ويمشى خلف البغلة فاذا وصلت الى المكتب رجع العبد بالبغلة فاذا كان وقت العصر جاء العبد بالبغلة فأركب الى البيت وكان سيدى يذهب الى المكتب ماشيا قال سيدى أبو العباس فظهر لى من سيدى بعد ذلك أمور تدل على بركته مع صغر سنه فكنت أردف سيدى على البغلة خلفي فاقمت على ذلك مدة ثم رأيت منه شيأ أعظم مما رأيت منه أولا فصرت أركب خلفه وأقدمه بين يدى ثم رأيت منه أمرا أعظم من الاول والثانى فصرت أمشى خلف البغلة وسيدى راكب حتى أوصله الى البيت وارجع وكنت أحكى ذلك لوالدى رحمه الله فيقول لى الزمه ولا تفارقه

وأماما كان من أمر سيدى الكبير المشار اليه رضى الله عنه فقد حكى عنه سيدى أبو العباس رضى الله عنه فقال ان سيدى رضى الله عنه لما خرج من المكتب كان يكتب وريقات فى المواعظ ويبيعها ويأخذ من ثمنها ورقا فيكتبه ولازم ذلك حتى حصل معه ثمن كتابين أو ثلاثة فاشترى بثمن ذلك كتبا وجلس فى حانوت فى الكتبيين يبيع ويشترى ويخبر المشترى بالثمن ويقنع بالقليل فاقام على ذلك حتى صار له من العمر أربع عشرة سنة قال سيدى أبو العباس رضى الله تعالى عنه فبينما سيدى ذات يوم جالس فى الحانوت اذ جاءه رجل من أرباب الاحوال فقال له يا محمد أنت الى الآن ما تركت الدنيا فلما سمع سيدى كلامه خرج من الحانوت وتركه على حاله ولم يصحب معه منها شيأ ولا الورقة الواحدة غير منديل عتيق ألقاه على كتفه وجعل يمشى خلف ذلك الرجل حتى اختفى عنه فلم يره ولم يعرف سيدى هل هو الخضر عليه السلام أو غيره ولم يرجع سيدى الى الحانوت بعد ذلك ولم يعرف ما جرى فى أمره بعده قال سيدى أبو العباس فجاءنى سيدى وأخبرنى بقصة ذلك الرجل قال فقلت له يا سيدى أتأذن لى أن أرجع الى الدكان واحمل ما فيها من الكتب والاوراق فقال لا فان هذا شئ تركناه لله فلا نعود اليه قال فعند ذلك أخذت بيد سيدى وجئت به الى موضع الزاوية بنسويقة السباعين قبل أن تعمر وكانت فى ذلك الوقت منشرا وكان هنالك غسالون يغسلون الثياب بالاجرة وفى ذلك الموضع بئر معينة وهى البئر الموجودة الآن بالزاوية وكان الغسالون يغسلون الثياب وينشرونها فى ذلك المكان والارض والبئر مملوكان لسيدى أبى العباس انتقلتا اليه بالارث الشرعى عن والده قال فسأل سيدى الكبير أبا العباس ان يبنى له فى ذلك الموضع خلوة يختلى فيها وكان قد حبب اليه الخلوة قال فشرع سيدى أبو العباس فى ذلك واحضر البنائين وشرع فى بناء الخلوة حتى انتهت ثم شرع سيدى أبو العباس فى بناء الزاوية ثم ان سيدى اختلى فى الخلوة وكانت تحت الارض وأقام سيدى فى تلك الخلوة يتعبد فيها وانقطع الى الله تعالى فيها وجعل سيدى أبو العباس يخدمه ويتردد اليه ولا ينقطع عن خدمته ثم ان سيدى أبا العباس شرع فى عمارة الزاوية حتى كملها كل ذلك وسيدى منقطع فى الخلوة حتى قام سبع سنين وقد بلغ من العمر اذ ذاك احدى وعشرين سنة قال سيدى أبو العباس فكنت اذا أردت النزول الى سيدى وهو فى الخلوة أقف على بابها وأتنحنح فان قال لى ادخل دخلت وان سكت رجعت فدخلت عليه يوما على غفلة من غير استئذان فوقع نظرى على أسد عظيم وهو جاث على عجزه وقد ثنى رجليه ورفع يديه وهو يلتفت يمينا وشمالا فلما وقع نظرى عليه غبت عن حسى وغشى على ساعة طويلة لم أعلم بنفسى فلما رجع الى عقلى رجعت الى خلفى أزحف زحفا حتى طلعت من السلم الى الزاوية فجلست عند البنائين واشتغلت معهم بالكلام حتى ذهب عنى روعى ثم عدت بعد ذلك الى سيدى فوقفت على باب الخلوة وتنحنحت فقال ادخل فدخلت اليه وأنا خائف منه فقال لى لا تعد الى مثلها تدخل على بغير اذن فقلت التوبة يا سيدى فقال يا أبا العباس

لولا ان الله تعالى ثبتك لذهب عقلك قال ولم يخرج سيدى من الخلوة الا بعد سبع سنين قال العبد الفقير المعترف بالتقصير جامع هذا الكتاب المنير سمعت سيدى الكبير يقول لبعض أصحابه وأنا جالس خلف الحلقة كان سبب ظهورنا من الخلوة بعد تلك المدة أننى سمعت بها هاتفا يقول يا محمد أخرج وانفع الناس قال فتربصت قليلا حتى أنظر علامة صدق الهاتف فسمعته مرة أخرى يقول ذلك فتربصت أيضا فسمعته يقول يا محمد تخرج والا هيه فقلت ما بعد هيه الا القطيعة ثم قمت بعد ذلك فتوضأت وخرجت الى الزاوية فرأيت على هذه الفسقية جماعة يتوضؤن وهم على صور مختلفة ولهم صفات غير صفات بنى آدم فنهم من على رأسه عمامة صفراء ومنهم من عمامته زرقاء ومنهم من وجهه وجه قرد ومنهم من هو على هيئة خنزير ومنهم من هو على هيئة حسنة جميل الصورة وعمامته بيضاء ووجهه يتلألأ نورا قال سيدى فلما رأيت ذلك علمت ان الله عز وجل قد أطلعنى على عواقب أمور الناس فرجعت الى خلوتى ودخلت الخلوة وتوجهت الى الله عز وجل وسألته أن يستر عنى ما كشف لى من أحوال الناس ثم خرجت بعد ذلك فرأيت الناس على حالة واحدة وستر الله عنى ذلك الامر قلت ومما أخبرنى به سيدى أبو العباس نقيب سيدى رضى الله عنهما قال لما بنيت لسيدى الخلوة التى كان يتعبد فيها تحت الارض وكان قد زرع بجوارها توتة أو قال قريبا منها وذلك قبل ان يختلى سيدى فيها بايام قلائل قال فلما اختلى سيدى فى الخلوة وأقام فيها تلك المدة المذكورة فيما تقدم خطر لسيدى بعد ذلك أن يدنو من تلك التوتة وينظر اليها ويجلس عندها فقصد نحوها وجلس بالقرب منها قال سيدى رحمه الله فالهمتنى القدرة ان قلت لها يا توتة حدثينى حدوتة قال فسمعت صوتا منها يقول نعم انهم لما زرعونى سقونى فلما سقونى أسست فلما أسست فرعت فلما فرعت أورقت فلما أورقت أثمرت فلما أثمرت أطعمت قال سيدى فكان فى كلامها تسليك لى وتنبيه وموعظة وكان ذلك أيضا من الاسباب الباعثة لى على ظهورى للناس وقد حصل لى بحمد الله ما قالت لى التوتة فان الله تعالى بمنه وكرمه قد زرعنى حتى تأسست وفرعت وأورقت وأثمرت وأطعمت ولله الحمد والمنة على ذلك قال رضى الله عنه وكان ظهورى من الخلوة فى يوم الثلاثاء فالهمتنى القدرة أن جلست للناس وعملت ميعادا واجتمع على خلق كثير لسماع الميعاد حتى ضاقت الزاوية بالناس فكان يوما مشهودا وكان اجتماع الناس الى المجلس من غير وعد تقدم لهم وانما هو شئ أراده الله عز وجل والحمد لله قلت واستمر الميعاد من يوم الثلاثاء من ذلك اليوم وأقام سيدى على ذلك سنين كثيرة ثم بدا له أن يجعله يوم الاحد فكان يوم الميعاد الاحد واستمر سيدى على ذلك الى ان انتقل الى رحمة الله تعالى وقد حضرت ميعاد سيدى يوم الثلاثاء نحو ثلاث سنين ثم حضرته يوم الاحد أيضا مدة طويلة والسبب فى ذلك أن سيدى رحمه الله قصد أن يكون الناس يجتمعون فى ميعاده يوم الاحد على ذكر الله تعالى وعلى سماع المواعظ فيكونون فى عبادة

الله تعالى فى ذلك اليوم الى وقت الظهر ليكون فى ذلك مخالفة للنصارى فى كنائسهم وهم
على ضلالهم فقصد سيدى بذلك كثرة الثواب للمسلمين واظهار شعائر الدين المحمدى
على صاحبه أفضل الصلاة والسلام فرضى الله عن سيدى ما كان أحسن مقاصده
وأزكاها وأطيبها وأنفعها للمسلمين فلقد كان والله بالمسلمين بارا رؤفا رحيما شفوقا عطوفا
حتى أسلم على يديه من اليهود والنصارى جمع كثير كل ذلك بحسن مقصده وصفاء سريرته
وكثرة تعطفه وشفقته على خلق الله تعالى فرحم الله سيدى ونفعنا والمسلمين ببركاته وبركات
علومه فى الدنيا والآخرة بمحمد وآله آمين قلت وقد كنت يوما من بعض الايام جالسا بعد
العصر بين يدى سيدى مع الفقراء لقراءة وظيفة العصر وقد فرق الخادم حسن المحلى أجزاء
الربعة على الحاضرين بعد ما قدم لسيدى مصحفا كبيرا ضخما على كرسى وسيدى يقرأ فيه سرا
والجماعة يقرؤن جهرا فالتفت الى وقال لا اله الا الله فقلت لا اله الا الله ما خبرك ياسيدى
فقال لى خبرى خبر عظيم وعجيب لى ثلاثون سنة لم أر هذا الرجل وأشار على رجل بين الناس
ذى هيئة حسنة وقال له ياهذا ما المانع من زيارتنا فقال قد عرض لى سفر حتى استغرقت
فيه وسحت فى الارض هذه المدة كلها ودخلت بلادا كثيرة ثم رجعت وكنت قد صحبت
سيدى قديما وأشار بيده نحو الاستاذ رضى الله عنه قال فلما كان بعد ظهور سيدى من
خلوته التى كان قد اختلى فيها تحت الارض وأقام فيها سبع سنين وكان سيدى أبو العباس
ملازمه تلك المدة وهو فى خدمته وهو الذى قد بنى له هذه الزاوية فلما انتهت عمارتها وظهر
سيدى للناس بعد تلك المدة وجلس يدعوهم الى طاعة الله تعالى ورأيت اقبال الناس عليه
من الفقراء والاغنياء والامراء والعلماء وأرباب الدول وغيرهم تعجبت عجبا عظيما فبينما أنا نائم
تلك الليلة اذ رأيت فى نومى كأن سيدى راكب على جمل وحوله خلق كثير لا يحصون ومناد ينادى
ينادى امامه بين تلك الخلائق كأنه ينادى عليه بالتجريس ويرفع صوته بالمناداة وهو يطوف
به شوارع المدينة فلما رأيت ذلك تعجبت غاية العجب فلما أستيقظت وجدته مناما قال فازعجنى
ذلك وفزعت فزعا عظيما وقلت فى نفسى هذا تجريس وشهرة غير جيدة وركوب على جمل
ياترى ماذا يكون هذا الامر ثم قمت وتوضأت وجئت الى هذه الزاوية فصليت مع الجماعة
صلاة الصبح وجلسنا مع الناس لقراءة حزب الاستاذ فلما فرغنا من قراءة الحزب وانصرف
الناس الى بيوتهم تقدمت الى سيدى وقبلت يده واستأذنته ان اقص عليه ما رأيته فى منامى
وأنا غائب فاذن لى فقصصت عليه الرؤيا فلما فرغت منها التفت سيدى رضى الله عنه الى
سيدى أبى العباس وتعجب وقال له ياأبا العباس الاترى الى صاحبنا الحاج أحمد قد رأى لنا
مناما عظيما وفيه بشارة حسنة وهو كذا وكذا والله ياأبا العباس سيكون لنا شأن عظيم
ونشتهر بين الناس ونرتفع درجة بقدر ما كان حولنا من الخلائق أو أكثر وتكثر أصحابنا
واتباعنا فلله الحمد والشكر على ذلك ثم ان سيدى دعالى وجازانى خيرا عما بشرته به فانصرفت
من بين يديه وأنا فرح مسرور ولم ألبث بعد ذلك غير أيام قلائل حتى خطر لى خاطر السفر

فخرجت الى السياحة فلم أرجع الى الآن فوجدت سيدى قد شاع ذكره واشتهر أمره وكثرت أصحابه واتباعه وبلغ من الامر ما قد رأيته فى منامى وزيادة وانى أريد أن أقابله وأسلم عليه فى هذا الوقت فلما انقضت وظيفة العصر وانصرف الناس تقدم ذلك الرجل الى سيدى وقبل يده وسلم عليه فلما نظر اليه سيدى وحقق فيه النظر عرفه وأقبل عليه وتبسم له وأهل به وقال مرحبا مرحبا حبا وأهلا وسهلا بالحاج أحمد صاحبنا قديما فجعل ينظر الى سيدى ويبكى فلما هدأ الرجل من بكائه قال سيدى لا اله الا الله قد حقق الله ما قلت لنا من رؤياك والحمد لله على ما أنعم وتفضل ولم يزل ذلك الرجل فى خدمة سيدى الى ان انتقل الى رحمة الله تعالى قال سيدى أبو العباس وكان فى زمن سيدى فى حال صغره رجل من الاولياء المشهورين يعرف بالشيخ حسين الجبار وكان يبشر بظهور سيدى ويخبر أصحابه به وبزمانه وكان الشيخ الكلائى رحمه الله فريد زمانه وهو شيخ الشيخ سراج الدين البلقينى فى علم الفرائض وكان الكلائى من أصحاب سيدى حسين الجبار وقد حكى الشيخ الكلائى عن شيخه الشيخ حسين الجبار قال كنت بصحبة سيدى الشيخ حسين الجبار بمصر العتيقة بالجامع فى بعض الاماكن اذ مر بنا صبى صغير له من العمر خمس سنين أو ست سنين قال فنظر اليه الشيخ حسين الجبار ثم التفت الى الشيخ الكلائى وقال له يا فلان نظرت هذا الولد الذى مر بنا قلت له نعم قال اتحققه واتخذ فيه علامة فانه يكون له شأن عظيم ويكون سيد أهل زمانه وان ولدك هذا يدرك زمانه يعنى ولد الكلائى قال فقام الكلائى من وقته وساعته ولحق سيدى ونظر الى وجهه وتأمله فرأى على عينه اليمنى نقطة على جفنها فدعى الكلائى ولده وأراه تلك العلامة فجعل ولده يراعى سيدى حتى أدرك زمانه وشاهد من أحواله أمورا عجيبة كما قال سيدى الشيخ حسين الجبار رضى الله عنه ثم قال سيدى الشيخ حسين الجبار للشيخ الكلائى رضى الله عنه أخبرنى بذلك الشيخ محمد بن اللبان رضى الله عنه عن سيدى تاج الدين بن عطاء الله عن سيدى ياقوت العرشى عن سيدى أبى العباس المرسى عن سيدى أبى الحسن الشاذلى أنه كان يقول سيظهر بمصر رجل يعرف بمحمد الحنفى يكون فاتحا لهذا البيت ويشتهر فى زمانه ويكون له شأن عظيم قلت وقد اشتهر عن سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه أنه كان يقول لولا لجام الشريعة على لسانى لاخبرتكم بما يكون فى غد وبعد غد الى يوم القيامة ومن كان بهذه المثابة وفى هذه المنزلة لا يخفى عليه أمر سيدى رضى الله عنه وكان سيدى الشيخ حسين الجبار يأتى ويتردد كل قليل الى مصر العتيقة ويجلس بالقرب الى بيت سيدى الذى هو قاطن فيه وينتظره حتى يخرج منه ومعه القميص أو العمامة أو النعل فاذا خرج من البيت وجاز عليه يقوم اليه الشيخ حسين الجبار ويدفع ذلك اليه ويقول له سلم لى على الوالدة وربما دفع اليه شيأ من الدراهم وبلغنى أيضا عن الشيخ الكلائى أنه قال ان الشيخ حسين الجبار هو الذى بشر بسيدى وكان يقول سمعت الشيخ محمد بن اللبان يقول بلغنى عن سيدى أبى الحسن الشاذلى أنه قال يظهر بمصر شاب يعرف بالشاب التائب حنفى

المذهب اسمه محمد بن الحسن وعلى خده الايمن خال وهو أبيض اللون متشرب بحمرة وفى عينيه حور وربى يتيما فقيرا قال وكان الشيخ حسين الخباز يجئ الى مصر العتيقة ويقعد فى مكان على قارعة الطريق ويشترى ممن يمر عليه من الاولاد فاقام على ذلك مدة فبينما هو ذات يوم جالس اذ مر به سيدى وهو ذاهب الى الكتاب وهو ابن أربع سنين أو خمس سنين فتأمله فاذا هو بالعلامات التى ذكرها الشيخ شمس الدين بن اللبان وكان بصحبته الشيخ الكلائى الفرضى فقال الشيخ حسين هذا الولد هو الذى بشر به سيدى أبو الحسن الشاذلى فاوصلك به خيرا ومهما قدرت عليه من الخير فافعله معه فانه فقير ويتيم قال فكان الشيخ الكلائى كل قليل يجئ الى مصر العتيقة ويترصد سيدى فاذا مر عليه دفع اليه القميص مخيطا والعمامة والنعل ويتفقده بالخير وربما دفع له شيأ من الدراهم فيحصل لسيدى جبر خاطر قال فلما كبر سيدى وبلغ من العمر عشرين سنة قال لسيدى أبى العباس أما ترى ان نذهب الى سيدى الشيخ ناصر الدين بن الميلق ونجتمع به ونأخذ عنه الطريق على مذهب الصوفية ونتلمذ له وكان الشيخ ناصر الدين بن الميلق أخذ الطريق عن الشيخ شهاب الدين جده ابن الميلق قال فقال له سيدى أبو العباس السمع والطاعة لسيدى قال سيدى أبو العباس فذهبنا اليه واشتغلنا عليه وتلقينا عنه الذكر وأخذنا عنه الطريق وصرنا نتردد اليه حتى انتفعنا به وكان يأمرنى بملازمة سيدى ويقول لى لا تفارقه ولا تنفك عن خدمته فان لك الخيرة فى ذلك وكان يقول لى ذلك سرار حمه الله ونفعنا به قلت وسيدى شهاب الدين بن الميلق أخذ عن الشيخ ياقوت العرشى نفعنا الله به وسيدى ياقوت العرشى أخذ عن الشيخ سيدى أبى العباس المرسى وسيدى الشيخ أبو العباس المرسى أخذ عن سيدى أبى الحسن الشاذلى وكان سيدى أبو الحسن الشاذلى يقول محمد الحنفى خامس خليفة بعدى قال لى سيدى أبو العباس كان والدى رحمه الله يأمرنى بملازمة سيدى وبخدمتى له ونفقتى عليه من ماله وكنت كلما مرنى الفقيه الذى قرأنا عليه القرآن بملازمة سيدى وخدمتى له أخبر والدى بذلك وكان قاضيا حنفيا ذا مال عظيم وكان حسن الاعتقاد فى سيدى شديد المحبة له وكان سيدى فقيرا من المال مع ان والده الشيخ حسن قد ملك مالا كثيرا من التجارات حتى انه كان يقول لو غرزت هذه الجريدة فى مالى لغابت من كثرته وكانت له حربة يتوكأ عليها عند الكبر قال سيدى ولم انتفع من ماله بشئ ولا بالدرهم الفرد ولم أعرف ما السبب فى هلاك ذلك المال ولم أقف له على خبر ولا على أثر ونقل عن سيدى رحمه الله انه كان يقول رحم الله والد سيدى أبى العباس وعفا عنه وجزاه عنى خيرا فانه كان يأمر سيدى أبا العباس بخدمتى وبالانفاق على من ماله مدة حياته حتى توفاه الله تعالى ووضع سيدى أبو العباس يده على تركته وكان قد ترك مالا جزيلا له صورة فصار سيدى أبو العباس ينفق على من ماله وعمر منه الزاوية حتى انتهت عمارتها وقضى عن كثير من المدينين ديونهم وذلك باذن منى وهو مع ذلك كثير الخدمة لى ولم يخرج عن أمرى ولم يعد نفسه الا فقيرا من الفقراء فجزاه الله عنى كل خير قلت وكثيرا

ما كان سيدى أبو العباس يترضى عن سيدى و يقول وقع لى مع سيدى أمر عظيم حتى انى والله لو رأيت بعده رجلا وضع احدى رجليه على الارض والثانية فى سماء الدنيا ما اعتقده كاعتقادى فى سيدى رحمه الله وذلك انه قال لى يوما يا أبا العباس ان كنت صادقا فيما بايعتنى عليه فاخبرنى ما بقى معك من مال والدك الذى ورثته منه فقلت له والله يا سيدى بقى معى منه ثمانون ألف درهم فضة فقال ان كنت صادقا فيما بايعتنى عليه فاذهب الى البحر وألق ما معك من المال فيه وارجع الى وأنا جالس فى مكانى هذا حتى تعود ولا ترميه بشط البحر ولكن انزل فى شختور فاذا توسطت فى البحر فارم به واجعل المال فى كمك ثم أسقطه من كمك فى قعر البحر فقلت سمعا وطاعة ثم قمت مسرعا من بين يديه ممتثلا أمره ومضيت الى البحر وفعلت ما أمرنى به سيدى فلما أسقطت المال فى البحر بحيث لا يرانى الا الله تعالى وسرت حتى وصلت الى البر ورجعت مع الناس فلما وصلت الى سيدى واخبرته بما فعلت قال لى بارك الله فيك ثم قال لى ادن منى فدنوت منه فرفع طرف السجادة التى تحته وقال لى يا أبا العباس خذ مالك الذى رميته فى البحر من تحت هذه السجادة قال فرأيت الكيس الذى رميته فى البحر تحت سجادة سيدى بعينه فأخذته ووضعته بين يدى سيدى وكل شئ فى يرعد فقال لى يا أبا العباس خذه واجعله تحت يدك للمستحقين من الفقراء والمساكين قال فاخذت ذلك المال وجعلته عندى للمستحقين كما أمرنى سيدى فكان سيدى بعد ذلك اذا جاءه مدين أو محتاج يقول لى يا أبا العباس أعطه كذا وكذا فاعطيه ونفسى مطمئنة طيبة بذلك وصار سيدى يأمرنى بصرف ذلك المال فى وجوه الخير حتى نفد الجميع وكنت أرى لاخراجه من يدى من اللذة والراحة أكثر من امساكه فلما نفد المال قال لى يا أبا العباس هل بقى معك شئ من المال قلت لا يا سيدى فقال لى اسمع ما أقول لك قلت نعم يا سيدى قال ان كنت بايعتنى على السمع والطاعة فالبس مرقعة واخرج على قصد الشحاتة والسؤال من الناس وارجع الى آخر النهار واعرض على ما دخل عليك من شحاتتك حتى انظر اليه فقلت السمع والطاعة ياسيدى ثم قمت من بين يديه وفعلت ما أمرنى به ولبست مرقعة وخرجت على قصد الشحاتة وجعلت أدور فى الاسواق والشوارع واقف على الابواب واسأل كما تسأل الفقراء والجعيدية فكان من يعرفنى يحزن على ويرق لى فمنهم من يعطينى الدينار ومنهم من يعطينى الدرهم الفضة والدرهمين والثلاثة أو أكثر من ذلك قال فلما كان آخر النهار جئت الى سيدى وعرضت عليه ما دخل على فى شحاتتى من الناس فلما نظر الى قال لى يا أبا العباس ليس هذا ما أردت منك وانما أردت ان تذهب الى مواضع لا تعرف فيها وتعلق فى رقبتك مخلاة حتى يعطوك كسيرات وبصيلات وجبنات وفليسات وما أشبه ذلك فهذه شحاتة الفقراء فقلت السمع والطاعة ياسيدى ثم قمت من بين يديه وأنا فرح مسرور بما قال لى فلما أصبحت لبست مرقعة وعلقت فى رقبتى مخلاة ومضيت الى مواضع لا أعرف فيها وصرت أدور على الابواب وأقول شئ لله حسنة لله من يتصدق على الفقير المسكين قال فيخرجون لى ما قال

سيدى

سيدى كسيرات وبصيلات وفليسات لاذهبا ولافضة فلما كان آخر النهار رجعت الى سيدى وعرضت ذلك عليه ووضعته بين يديه فلما رآه أعجبه وقال لى يا أبا العباس هذه شهامة الفقراء والله يا أبا العباس قد انكسرت النفس وبلغت المراد قال ففرحت بذلك فرحا شديدا وشكرت الله تعالى على ذلك ولزمت خدمة سيدى وكان عندى قبل ذلك من الكبر والعجب والشمم ما الله اعلم به فأذهب الله عنى ذلك ببركة سيدى حتى كانه لم يكن فجزى الله سيدى عنى خيرا قلت ولهذا كان سيدى رحمه الله يقول ظفرت فى زمانى كله بصاحبين ونصف صاحب فاما الصاحبان فهما سيدى أبو العباس فانه أنفق على ماله حتى لم يبق معه شئ وأما الصاحب الثانى فهو الشيخ شمس الدين بن كتيلة فانه متمسك بطريقتى ومتبع لسنتى رحمهما الله تعالى وأما نصف صاحب فهو سيدى عمر صهر سيدى رحمه الله تعالى قلت ولقد أخبرنى الجناب العالى المولوى الامير سيدى تغرى بردى استاذدار السلطان قايتباى الملك الاشرف والمحب لاهل الخير المعتقد فى الفقراء أعاد الله عليه من بركاتهم وأحسن له العاقبة فى دنياه وآخرته بمحمد وآله آمين قال كنت أتردد الى سيدى أبى العباس وأنا شاب وذلك بعد وفاة سيدى الكبير رحمه الله قال وكنت أشرح عليه فى مختصر الشيخ أبى الحسن القدورى فسمعته يوما يقول وقد سأله بعض الحاضرين فقال له ياسيدى هل خصك سيدى الكبير بشئ مما تفضل الله به عليه فقال نعم والله لقد قال لى عند موته وقد سألته فى شئ من ذلك فقال لى يا أبا العباس اما ترضى ان تكون بدايتى نهايتك قلت نعم ياسيدى وانى أرجو ذلك فقال لك ذلك ان شاء الله يا أبا العباس قال ففرحت بذلك فرحا شديدا ولقد لاح لى شئ من العلامات يدل على ما قاله لى سيدى وانشرح خاطرى بذلك وارجو من الله تعالى الكمال ان شاء الله تعالى قلت والمشهور عن سيدى رحمه الله ونفع به أنه لما ظهر أمره واشتهر ذكره كان فى ذلك الوقت سيدى على بن وفاء وكان صاحب الوقت وكان قد انتهى أمره ودنت وفاته وكان سيدى فى ابتداء أمره فاتفق أن بعض الاكابر قد عمل وليمة عظيمة وجمع فيها أعيان المشايخ والعلماء والاكابر وبعض الامراء وكان من جملتهم سيدى على بن وفاء رضى الله عنه فبينما سيدى جالس فى زاويته على باب خلوته اذ دخل عليه صاحب الوليمة ودعاه الى منزله قال فاجابه سيدى للحديث الوارد عن سيد المرسلين من دعى فليجب ومن عصى فقد عصى أبا القاسم قال فركب سيدى ومضى معه الى منزله فلما وصل الى الباب سأل صاحب المنزل من اجتمع فى هذه الوليمة من المشايخ فقال له ياسيدى جماعة كثيرة ومن جملتهم سيدى على بن وفاء فقال له سيدى ادخل لسيدى على واستأذنه لنا فى الدخول فان أذن لنا فى الدخول دخلنا وان لم يأذن رجعنا فان من الادب عند الفقراء اذا كان رجل من الرجال فى مكان لا يدخل عليه الا باذنه وان دخل عليه أحد من الفقراء بغير اذنه يخشى عليه أن يسلب حاله قال فدخل عليه صاحب المنزل واستأذنه فاذن له فى الدخول فعند ذلك دخل سيدى رضى الله عنه فقام له سيدى على بن وفاء رضى الله عنه تعظيما له وقام الجماعة كلهم معه ثم ان سيدى على بن

وفاء أجلس سيدى الى جانبه وأقبل كل منهما على صاحبه يأخذ بخاطره ويلين له الكلام ثم ان سيدى على بن وفاء قال لسيدى ياشيخ شمس الدين ماتقول فى رجل رجاه الوجود بيده يدورها كيف يشاء فقال له سيدى ماتقول فيمن يضع يده عليها فيمنعها ان تدور فقال له سيدى على والله لا نتركها ونروح عنها كل ذلك وجماعة سيدى على وجماعة سيدى يسمعون الكلام الذى حصل منهما وذكرت ستى قطر الندا ابنت الاستاذ رضى الله عنها لما سمعت هذه الحكاية أنه حكى ابن أخى الشيخ سيدى على لما سمع ذلك الكلام فقال لسيدى على كيف تعدل فقال سيدى على والله ماقلت هذا الكلام حتى رأيت رحاه فى السماء الرابعة وقال يروى ان سيدى أعطى القطبانية قبل ذلك بأربعين يوما قال فلما انقضى المجلس أقبل سيدى على جماعة سيدى على وقال لهم سرا ودعوا صاحبكم أو قال اغتنموا استاذكم فانه عن قليل ينتقل الى رحمة الله تعالى قلت وأخبرنى سيدى يونس المعروف بابن قايتباى قال حدثنى الشيخ ناصر الدين المعروف بابن العزى قال كنت مجاورا بزاوية سيدى تحت نظره فبينما أنا نائم فى خلوتى ذات ليلة واذا بسيدى ينادينى ويقول ياناصر الدين ياعزى قال فعرفت كلام سيدى فقمت اليه مسرعا وخرجت من الخلوة ومضيت اليه ووقفت بين يديه وقلت نعم ياسيدى فقال لى فى هذه الساعة امض الى الحارة التى تعرف بالخرنفش واستخبر عن وفاة سيدى على بن وفاء وائتنى بالخبر فقلت سمعا وطاعة وخرجت مسرعا فى المشى حتى وصلت الى باب الجهة المذكورة فرأيت عبدين واقفين فى العطفة وبيد كل واحد منهما سيف مسلول قال فوقفت خوفا منهما وقلت دركنى ياسيدى محمد ياحنفى قال ثم خرجت من بينهما فلم يتحرك أحد منهما فلما وصلت الى بيت سيدى على بن وفاء سمعت البكاء والصراخ وقائلا يقول فى بيته واسيداه واسيداه واسيداه فعلمت أنه انتقل الى رحمة الله تعالى فقلت انا لله وانا اليه راجعون ثم رجعت من وقتى مسرعا فى المشى حتى وصلت الى سيدى فقال لى يا ناصر الدين تخبرنى أم أخبرك فقال لى والله لو مد أحد العبدين يده اليك لقطعت فقلت ياسيدى كيف علمت بموت سيدى على فى هذه الساعة فقال سمعت هاتفا يقول لى يامحمد وليناك ما كان بيد سيدى على بن وفاء زيادة على مابيدك فقلت مايكون ذلك الا بعد وفاته قال وبلغنى أيضا عن رجل أتى به قال دخل الى القاهرة رجل له حال وقد أشكل حاله على الناس وذلك انه كان يمد يده الى الهواء فيقبض منه الدراهم والدنانير فبلغ الشيخ الحنفى ذلك فطلب ذلك الرجل فاحضروه بين يديه فقال له سيدى أكرمنا بشئ مما فتح الله به عليك قال فقبض قبضة من الهواء وأعطاها السيدى قال فعدوها فاذا هى ثمانون دينارا فقال له سيدى زدنى فقبض وأعطاه دونها ثم قال له زدنى ثم قبض قبضة وأعطاه دون ذلك فقال له زدنى فقبض فلم يقع بيده شئ فقال له سيدى ان خزائن الله لا تنفد ثم أمر به فضرب وأخرج من بين يديه وقد سلب حاله قلت وكان بمصر العتيقة رجل شريف يعرف بالشريف النعمانى بمدرسة تعرف بالنعمانية وكان من أصحاب سيدى وكان يحضر ميعاد سيدى كل جمعة يأتى ماشيا من مصر العتيقة الى زاويه سيدى بسويقة السباعين وقد رأيته وعليه سجادة خضراء

وهو مطيلس بشملة من الصوف وهي أيضا خضراء وكان رجلا طويل القامة أبيض اللون خفيف اللحم سريع المشي ذاهيبة ووقار فجاء هذا الشريف المذكور يوما الى سيدي فسلم عليه وجلس بين يديه وقال له ياسيدي لقد رأيت في هذه الليلة مناما وأريد أن اقصه على سيدي فقال له سيدي قص ما رأيت وبالله التوفيق فقال له ياسيدي رأيت كأني بناحية بركة الحبش وفي ذلك المكان خيام منصوبة وبينهم خيمة عظيمة يخرج منها نور عظيم وسمعت قائلا يقول الخيمة الكبيرة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فلما سمعت ذلك هرولت اليها قاصدا نحوها فلما وصلت اليها رأيت النبي صلى الله عليه وسلم جالسا وأبو بكر وعمر بين يديه قال فاستأذنته في الدخول فاذن لي فدخلت وأنا أقول الصلاة والسلام عليك ياسيدي يارسول الله فلما وصلت اليه قبلت يديه وسلمت عليه فرحب بي وتبسم في وجهي ثم تأخرت وجلست قريبا من أبي بكر وعمر بعد ان سلمت عليهما فلما كان بعد هنيهة واذا بجماعة قد أقبلت وقائل يقول هذا عبد القادر الجيلاني فلما وصل الى الخيمة استأذن في الدخول على النبي صلى الله عليه وسلم فاذن له فدخل وهو يقول الصلاة والسلام عليك ياسيدي يارسول الله فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم سلم على أبي بكر وعمر وتأخر وجلس مواجها للنبي صلى الله عليه وسلم فبعد هنيهة جاءت جماعة أخرى واذا بقائل يقول هذا السيد أحمد بن الرفاعي ففعل كما فعل سيدي عبد القادر فلما كان بعد ساعة أخرى قليلة واذا بكبكبة عظيمة وجماعة كثيرة وقائل يقول هذا محمد الحنفي فلما وصل الى النبي صلى الله عليه وسلم فعل كما فعل سيدي عبد القادر وسيدي أحمد بن الرفاعي فلما جلس التفت النبي صلى الله عليه وسلم الى أبي بكر وعمر فقال لهما اني أحب هذا الرجل الاعمامته الصماء أو قال الزعراء وأشار اليك ياسيدي بيده فقال أبو بكر الصديق يارسول الله أتأذن لي ان أعممه فقال له نعم قال فاخذ أبو بكر الصديق عمامة نفسه وجعلها على رأس سيدي وجعل عمامة سيدي على رأسه وأرخى لها عذبة عن يساره وألبسها السيدي ثم استيقظت وعندي من السرور ما الله أعلم به قال فبكى سيدي وبكى من حوله من الاصحاب وفرحوا السيدي بذلك قال فلما هدأ بكاؤهم قال سيدي للشريف النعماني صاحب الرؤيا ياسيدي أريد منك شيأ فقال ياسيدي وما تريد قال أريد منك اذا رأيته مرة ثانية ان تأتيني من عنده بامارة يطمئن بها قلبي فقال السمع والطاعة قال ثم ان الشريف النعماني استأذن سيدي ومضى الى مكانه بعصر العتيقة فلما كان بعد ميعاد سيدي حضر الشيخ الشريف لسماع الميعاد على عادته فلما فرغ سيدي من الميعاد قال له سيدي ما جرى لك ياسيدي في الحاجة التي أرسلتك فيها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ياسيدي لقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وقلت له ان عبدك سيدي محمد الحنفي يسأل فضلك في امارة فقال له نعم قل له بامارة الصلاة التي تصليها عليه في الخلوة قبل غروب الشمس وهي اللهم صل على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم عدد ما علمت وزنة ما علمت وملء ما علمت ومداد كلماتك قال فلما سمع سيدي ذلك

رفع صوته بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ عمامته من على رأسه وأخرج لها عذبة وصار كل من حضر ذلك المجلس ينزع عمامته من على رأسه ويرخى لها عذبة فكان ذلك اليوم يوما مشهودا وصار سيدى اذا ركب الى الروضة أو الى القرافة يرخى العذبة بعدما كان يركب بالطيلسان ثم ان الشريف النعماني رأى النبي صلى الله عليه وسلم مرة أخرى وهو يقول له أخبر محمدا الحنفي انى أرسلت له رجلا من الرجال من أهل الصعيد يبشره بصحة الرؤيا وقلت له قل لمحمد الحنفي يعمل لعمامته عذبة قال فاخبر الشريف النعماني سيدى بهذه الرؤيا الاخرى ثم ان الرجل الصعيدى وصل بعد ذلك وأخبر سيدى برؤياه فوافقت الرؤيا الرؤيا ثم ان سيدى رضي الله عنه رأى في منامه كانه في الروضة وهو راكب على فرس وهو سائر بين خيام مضروبة فسأل سيدى عن تلك الخيام فقيل له هذه خيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فنزلت عن الفرس وجعلت أمشى بين تلك الخيام حتى وصلت الى الخيمة التى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخلت عليه قلت الصلاة والسلام عليك يا رسول الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ثم مد ذراعيه وضمني اليه واعتنقني وأجلسنى بين يديه ثم قال لى يا محمد يا حنفي والله انى أحبك وقد ضمنت لك على الله الجنة فقلت له يا رسول الله ولاصحابى فقال ولاصحابك وأصحاب أصحابك وأصحاب أصحاب أصحابك حتى عددت له أربعين مرة وهو يقول وأصحاب أصحابك وأنا أعد على أصابعى ثم استيقظت من منامى وأنا فرح مسرور بما بشرنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشرت به أصحابى ولله الحمد على ذلك قلت ومن جملة الامور التى اشتهر بها سيدى وشاع بها أمره ما وقع له مع الملك الناصر فرج بن برقوق وهو ما أخبرنى به سيدى أبو الغيث بخل سيدى الشيخ شمس الدين العارف بالله تعالى المعروف بابن كتيلة رحمه الله ونفع به أنه قال كان بالقاهرة رجل يعرف باستادارباش وكان استادار الملك الناصر فرج ابن برقوق وكان رجلا ظالما يرمى الرمايا على المسلمين وكان ذلك في زمن سيدى المشار اليه وكان سيدى كل من جاء اليه وشكى منه بسبب الرميات التى يرميها عليهم يأمره بأن تعاد الرمايا اليه ويجعلوها على بابه فشق ذلك عليه فطلع الى السلطان الملك الناصر بن برقوق وتمثل بين يديه وحل وسطه وقال له يا مولانا السلطان لا ينبغى أن يكون بالقاهرة سلطانان فقال له السلطان ما الخبر فقال هذا الشاب الذى ظهر الذى يقال له محمد الحنفي وكان ذلك في مبدا أمر سيدى يعارضنى في أمور المملكة كلما أردنا أمرا نستعين به على مصالح العسكر يعارضنا فقال السلطان على به الساعة قال فنزل في طلب سيدى جماعة من القلعة فاجتمعوا بسيدى وقالوا له السلطان طلبك فقال سيدى السمع والطاعة لله ولرسوله ثم لولى الامر وقال شدوا الفرس وركب سيدى رحمه الله حتى دخل على السلطان وهو جالس على كرسى مملكته فحضر جمال الدين الاستادار المذكور وتظلم ورفع صوته بالكلام وأغلظ على سيدى بحضور السلطان فقال سيدى للاستادار الله أمرك بظلم

عباده حتى تظلم عباده فقال ايش كنت انا وأشار الى السلطان قال فتغير السلطان على الاستادار لكونه نسبه الى الظلم فطرده فى الحال وقال أخرجوه من بين يدى فاخرجوه من وقته فالتفت السلطان الى سيدى وقال المملكة لى أولك فقال سيدى رحمه الله ليست المملكة لى ولا لك الملك لله الواحد القهار ثم قام سيدى من المجلس متغير الخاطر فركب وخرج من القلعة الى ناحية منية السيرج فدخل السلطان الى بيته فحصل له ورم فى محاشمه فى الوقت فطلب الاطباء فوصفوا له ماء الخيار فجعلوه فى بواط ونزل فيه السلطان محاشمه فما ازداد عليه الامر الا اشدة وكلما استعمل منه ازداد أمره فقال بعض خواصه العقلاء هذا بتغير خاطر سيدى الشيخ الحنفى فعند ذلك قال السلطان على به اطلبوه لاطيب خاطره فنزل الامراء والاكابر لسيدى الى الزاوية فلم يجدوه ففتشوا عليه حتى عجزوا فاخبروا ان سيدى بمنشأة المهرانى فوجدوا سيدى فى بيت له هناك فوقفت الخلق والامراء على الباب وسيدى فى الخلوة لم يظهر لهم من بكرة النهار الى الظهر هذا والسلطان فى أمر مريج من زيادة الالم فاعلموا السلطان بالموضع الذى فيه سيدى فامر السلطان لسيدى بهدية من الذهب والفضة فجعلوها فى اطباق نصف الطبق ذهب ونصفه الآخر فضة وأوصلوها الى الاستاذ وقالوا له ياسيدى خذ بعض هديه للفقراء فاعادها سيدى الى السلطان وقال لهم قولوا له الفقراء محتميون من ذلك فصار الامراء يترددون بين السلطان وبين سيدى ففى آخر مرة أرسل له سيدى رغيفا مبسوسا فى زيت طيب وقال لهم قولوا له كل هذا تبرأ باذن الله ولا يكون لك بالعادة على آذانك فبها اشتهر أمر سيدى وظهر وشاع ذكره ولله در القائل

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد * الاعلى أكمه لا يعرف القمرا

قال سيدى أبو الغيث وهذا ما سمعته من لفظ سيدى الوالد رحمه الله من فيه الى اذنى قلت ولقد بلغنى أيضا ان سيدى لما حضر عند السلطان الملك الناصر وحضر الاستادار أيضا قال الاستادار للسلطان أنظر ياسيدى الى وجهه أحمر من كثرة الذهب فقال سيدى للسلطان يكذب هذا العبد النحس وأما السلطان فلم يتكلم بكلمة قال فعند ذلك قال سيدى أما السلطان فقد حصل له نصيبه وأما هذا يعنى الاستادار فقد انقضت ساعته قلت ولقد بلغنى أيضا ممن حضر المجلس عند السلطان من اوله الى آخره ان السلطان لما أمر باخراج الاستادار من بين يديه التفت الى سيدى وقال له أنت سلطان أم أنا فقال سيدى لا أنا سلطان ولا انت سلطان السلطان من ليس لاحد عليه ولاية وهو الله تعالى فقال السلطان المملكة هى لى أولك فقال سيدى ليست المملكة لى ولا لك قل اللهم مالك الملك الى قوله قدير وقرأ سيدى الآية الى آخرها ثم قال واما أنت ان كنت عادلا فانت كالشجرة المثمرة يستظل الناس بظلك وظلك هو عدلك ويأكلون من ثمرتك وثمرتك احسانك وخيرك لرعيتك وان كنت جائرا فانت كالشجرة التى ليس لها ظل ولا ثمر فانظر فى أمر نفسك ان كنت على هذه الحالة قال ثم قام سيدى من

عند السلطان متغير الخاطر وركب من وقته فلحقه السلطان وضربه بعود من الخيزران كان معه قيل ضربتين وقيل ثلاث ضربات فعند ذلك رفع سيدى الى السماء يده ووجهه وقال اللهم فاشهد ثلاثا فلما حصل للسلطان ما حصل ورجع اليه حاله بأكل الرغيف الذى أرسله سيدى اليه مبسوسا بزيت طيب واشتهر أمر سيدى بذلك وصار اذا الام بعضهم بعضا على أمر لم يفعله يقول له يعنى ينغاظ الحنفى وشاعت هذه الكلمة بين الناس وجرت مثلا الى الآن وبعد ذلك وهى فى السنة الناس يقولونها ويتفوهون بها وأخبرنى بعض أعيان التجار وكان يعرف بالقاضى جمال الدين بن فضيل قال كنت حضرت هذه الواقعة ولى من العمر ما يزيد على عشرين سنة وكنت أسمع الناس يقولون الشيخ الحنفى دعا على السلطان قال وما زال متغيرا على الاستادار واعلم ان هذا الاستادار هو جمال الدين الذى بنى مدرسة الجمالية التى بالقرب من خانقاه سعيد السعداء ومن حبس الرحبة حتى سجنه فى السجن وصادره وأخذ منه مالا جزيلا وآخر الامر انه أرسل اليه وهو فى السجن وقطع رأسه وأخبر السلطان بذلك فقال لا أصدق حتى أنظر اليها فحملوها اليه فى طبق حتى وضعوها بين يديه وكشفوا له عنها حتى نظر اليها ثم قال احملوها للشيخ الحنفى واخبروه بما وقع فحملوها فى ذلك الطبق حتى وضعوها بين يدى سيدى رحمه الله قال فولى سيدى برأسه عنه وأمر برفع الطبق من بين يديه وهو يقول اللهم لا تجعل تدميرنا فى تدبيرنا قال فأمر الاستاذ بدفنها فذهبوا بها فدفنوها مع جثته فى مدرسته آنسه الله بما يستحق والله اعلم وأما ما كان من أمر الاستادار فانه لما غضب عليه السلطان واخرجته المماليك من بين يديه وذهب الى بيته وحصل للسلطان ما حصل ورد الله عافيته استدرك الاستادار فارطه فارسل الى سيدى بشكارة فضة فقال سيدى أبو العباس ياسيدى ما لنا حاجة منه بشئ فقال له سيدى يا أبا العباس لان يعطيك الله على يد من يعاديك خير لك واعز بقاء من ان يعطيك على يد من يواليك ثم جعل سيدى يأخذ الفضة بيديه وينثرها بين الناس ويقول لهم يا عباد الله خذوا من رزق الله فان للمسلمين فيه حقا فانه من بيت المال وأرسل سيدى يقول له يا يوسف هذا لم يغن عنك من الله شيأ فان السهم قل نفذ ما بقى يرد وكان الامر كذلك قلت ومن أعجب ما وقع لسيدى انه كان جالسا وقت السحر والمؤذنون على المنارات ينزهون الله تعالى ويسبحونه وكان سيدى أبو العباس جالسا بحضرة سيدى اذ سمعوا طارقا يطرق باب الدرب فالتفت سيدى الكبير الى سيدى أبى العباس وقال له قم يا أبا العباس وانظر من الطارق فان كانت ابنة جمال الدين الاستادار فأعطها ألف درهم ولا تتركها تدخل الينا قال أبو العباس فقمت ومضيت الى باب الدرب وقلت من هذا فقالت ياسيدى انا ابنة جمال الدين الاستادار جئت أطلب من سيدى شيأ بطريق الصدقة فقلت لها اصبرى حتى أجئ اليك ثم دخلت الى سيدى فاعلمته بها فقال أعطها ما أمرتك به واصرفها قال فدخلت الى بيتى ووزنت لها ألف درهم ودفعتها اليها وقلت لها حلت البركة وغلقت الباب ورجعت الى

سيدي رحمه الله ونفع به هكذا أخبر سيدي أبو العباس عن سيدي الكبير رضي الله عن
سيدي ونفع به آمين قلت وكان من أعوان الاستادار جمال الدين المشار اليه رجل يسمى
شمس الدين بن بدر الدين وكان متحملا عنه بجهات من الضمان فاتفق انه قد انكسر في جهاته
واجتمع عليه مال كثير للاستادار جمال الدين حتى انه ماوسعه الا الهروب قال فاستشار
بعض أصحابه في ذلك فاشار عليه أن يمضي الى زاوية سيدي ويشكو اليه حاله قال فمضى اليه
وكتب له قصته في ورقة وقدمها اليه بعد أن سلم عليه وكان سيدي في ذلك الوقت حوله
جماعة وفيهم أبو العباس وبيده السبحة الكبيرة وهي الموجودة وهو يريد أن ينشرها بين
الجماعة بحضرة سيدي قال فلما فعل سيدي أبو العباس ذلك وأعطى رأس السبحة لسيدي
على جاري العادة قال سيدي لشمس الدين بن بدر الدين اجعل هذه القصة تحت السبحة
حتى تدور عليها وتفرغ منها قال فوضعها تحت السبحة حتى فرغ سيدي من أمرها فعند ذلك
قال له ياسيدي شمس الدين ان شئت تقعد في الزاوية وان شئت تروح الى أي موضع اخترت
ولا تبال بأحد قال فاقمت بعد ذلك مدة سنة ما كان في الدنيا ولا للاستادار بي علم ولا لاحد
من جهته فبعد مضي السنة بينما أنا مار في بعض الشوارع اذا بالاستادار راكب مع جماعته
اذ وقع نظره علي فقال لبعض من معه أمسكوا هذا قال فمسكوني فامر بي الى الحبس فحبسوني
قال فادركتني صلاة الظهر فقلت للسجان دعني أصلي الظهر فقال ما أول عقلك أنت في حبس
الاستادار ومقيد في الحديد كيف نمكنك من صلاة الظهر حتى تهرب قال فسكت فلما
كان صلاة العصر أردت ان أصلي فنعوني فلما كان وقت صلاة المغرب منعوني أيضا فلما كان
وقت العشاء أردت ان أصلي العشاء فنعوني فقال رجل من السجانين دعوه يصلي ولا تخافوا
فانه مايقدر يهرب والباب مغلوق فاذا توضأ وصلى عاد الينا قال فقمت الى الابريق فاخذته
ودخلت الى بيت الراحة فقضيت حاجتي وأردت ان أخرج فلحقتني عبرة وتذكرت الزاوية
فبكيت واستنجدت بسيدي فوالله ما أشعر بنفسي الا وأنا في زاويته ليلا فتوضأت من
الفسقية وقضيت الصلاة التي فاتتني فلما أصبحت صليت صلاة الصبح مع الجماعة وتقدمت
الى سيدي فقبلت يده فلما رآني قال لي لا تخف ماعليك شر قال فاقمت بعد ذلك سنة أخرى فبينما
انا ماش في بعض الشوارع بعد مضي السنة واذا بالاستادار كما رأيته أول مرة فامر بمسكي قال
فمسكوني وقال لي تأكل مال السلطان وتهرب وتتجاهى في الخنق ثم قال خذوا هذا معكم حتى
اطلع به الى السلطان واحليه يحكم فيه قال فوضعوا في يدي الحديد قال فلما كان يوم
الموكب طلع بي الى بين يدي السلطان وشكاني اليه قال فنظر الى السلطان ساعة ثم قال
للاستادار ايش بقي مع هذا تأخذه أطلقه فما عليه شئ قال فاطلقني فرجعت الى زاوية سيدي
وأخبرته بما وقع مع الاستادار ومع السلطان فقال الله الحمد والمنة مابقي عليك سبيل قلت
ومازال شمس الدين بن بدر الدين ملازما لسيدي مجاورا بالزاوية وهو يقرأ القرآن قائما
وقاعدا وماشيا وليس له شغل غير قراءة القرآن وكان سيدي أبو العباس يعطيه جار

الزاويه ويقول له اركب واذهب الى تحت الربع واشتر بها شا لطعام الفقراء فكان هذا دأبه الى أن مات رحمه الله وكان كثير الاوراد والصلاة بالليل محافظا على صلاة الضحى وغيرها وسمعته يوما يقرأ في صورة ص وهو يقول اركض برجلك هذا نقرأها بفتح الراء فقلت ياسيدى شمس الدين برجلك بكسر الراء فقال ماهى بكسر الراء فاعدت عليه الكلام فلم يسلم الى حتى قال لسيدى أبي العباس فقال الصواب مع على فرجع واعتذر وصار يودنى من ذلك اليوم رحمه الله وعفا عنه ومات في زمن الاشرف أيضا وكانت قصة شمس الدين بن بدر الدين مع جمال الدين الاستادار قبل أن يقع لسيدى ماوقع له مع الملك الناصر فرج بن برقوق والله أعلم بالصواب

(الباب الثانى)

فيمن أخذ عن سيدى من المشايخ ومن انتمى اليه وعرف به فمن ذلك ما أخبر به سيدى أبو العباس الكبير المعروف بالحنفى وبالسرى الشاذلى خادم سيدى الاستاذ الكبير الشيخ العلامة القطب الغوث الفرد الجامع شيخ مشايخ العارفين مربى المريدين وعمدة السالكين أبى الاخلاص سيدى محمد التيمى الشاذلى الحنفى تغمده الله برحمته وأعاد علينا وعلى المسلمين من بركاته وبركات علومه وكان سيدى أبو العباس جالسا بزاوية الاستاذ الكبير المشار اليه أعلاه بعد صلاة العصر وبعد الفراغ من قراءة الحزب والربعة الشريفة من يوم الخميس المبارك التاسع عشر من شهر ربيع الآخر عام سبع وأربعين وثمانمائة وكان ذلك بعد الانتقال بالوفاة للاستاذ رحمه الله تعالى وكان من جملة من حضر كلام سيدى أبى العباس الشيخ ناصر الدين الفرز وشهاب الدين ولده والشيخ شهاب الدين المؤذن والشيخ بدر الدين البرهمتوشى والجناب العالى المرحوم الشيخ عمر الركنى صهر سيدى الكبير المشار اليه فيه والجناب العالى المرحوم سنقر المهمندار خادم السبحة وغيرهم قال سيدى الشيخ العارف بالله تعالى مجد الدين اسماعيل نجل سيدى الكبير نفع الله المسلمين ببركته كنت من جملة السامعين أن الاستاذ أقام في درجة القطبانية ستا وأربعين سنة وثلاثة أشهر وأياما وهو القطب الغوث الفرد الجامع هذه المدة ثم قال سيدى أبو العباس ومما يؤيد مقالتى هذه حكاية أحكيها لكم اتفقت لى مع الاستاذ تغمده الله برحمته وأعاد علينا وعلى المسلمين من بركاته وأخذ يقول كنا في صحبة سيدى يوما على شاطئ النيل المبارك وكنا جماعة ومن جملتنا الشيخ أحمد الطيار وقد أراد سيدى التوجه الى الآثار الشريفة في قارب لطيف وقد غربت الشمس لاستهلال شهر الله المحرم الحرام عام ثمانمائة ونحن في المركب فنظر الاستاذ الى الهلال وقال لا اله الا الله محمد رسول الله روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سبحانه وتعالى يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ثم قال اقرؤا الفاتحة واسألوا الله تعالى ان أكون ذلك الرجل قال فقرأنا وبسطنا أيدينا ودعونا الله سبحانه وتعالى فاطرق سيدى ساعة فغشى عليه زمانا حتى

طمنا أنه قد انتقل ثم مضت ساعة وقد فاق من غشوته فرفع رأسه وقال من يبايعني منكم قال سيدى أبو العباس أنا ياسيدى ثم قال امدد يدك فددت يدى اليه فكنت أول من بايع سيدى قال سيدى اسماعيل هذا ما حكاه الجماعة وأنا أسمع ذلك كله وكان الشيخ شهاب الدين المؤذن حاضرا وكان له في عقيدة فقال لى أحضر ورقة واكتب هذه الحكاية فقمت واحضرت ورقة وكتبتها في يومها قلت وكان لسيدى من العمر في ذلك الحين سبع وعشرون سنة قال واعافتح على سيدى بالقطبانية بعد ان تسلك على يد سيدى الشيخ الكبير والامام النحرير العالم العامل العلامة الورع الصالح صاحب المكارم ناصر الدين بن الميلق أعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاته وسيدى الشيخ ناصر الدين المشار اليه أخذ واقتدى بسيدى الشيخ العارف بالله تعالى الشيخ شهاب الدين بن الميلق والشيخ شهاب الدين بن الميلق أخذ واقتدى بعارف وقته الشيخ العارف بالله تعالى القطب الغوث الفرد الجامع سيدى أبى الدر ياقوت العرشى أعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاتهم أجمعين قال وانقطع سيدى على يد الشيخ ناصر الدين المشار اليه ومن الفقراء من يتسلك على يد رجل وينقطع على يد غيره وسبب ذلك موت الشيخ الاول أو غيبته غيبة منقطعة أو غير ذلك ثم ان سيدى ناصر الدين بن الميلق أخذ عن سيدى شهاب الدين بن الميلق جده لامه ثم ان سيدى شهاب الدين أخذ عن سيدى ياقوت العرشى وهو أخذ عن سيدى أبى العباس المرسى وهو أخذ عن سيدى أبى الحسن الشاذلى وهو أخذ واقتدى بعارف وقته السيد الشريف الحسيب النسيب القطب الغوث الفرد الجامع ابى محمد عبد السلام بن بشيش بفتح الباء الموحدة وشين معجمة مكسورة وياء مثناة تحتية ساكنة ثم شين معجمة ابن منصور بن ابراهيم الحسينى ابن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب وكان عبد السلام بن بشيش مالكى المذهب صوفيا وابن بشيش أخذ عن عارف وقته السيد الحسيب النسيب الشيخ الكبير القطب الغوث الفرد الجامع أبى محمد عبد الله الحسنى المدنى العطار المعروف بالزيات وهو صحب واقتدى بعارف وقته الشيخ الصوفى الذى لقب نفسه القطب تقى الدين الفقير بالتصغير فيها وذلك بارض العراق وهو صحب واقتدى بالشيخ القطب فخر الدين ويسمى هذا الرجل أولا بسيدى نجم الدين وسموه أصحابه بهذا الاسم وهو صحب واقتدى بالشيخ القطب نور الدين أبى الحسن على وهو صحب واقتدى بالشيخ تاج الدين وهو صحب واقتدى بالشيخ القطب شمس الدين بارض الترك وهو صحب واقتدى بالشيخ القطب زين الدين القزوينى وهو صحب واقتدى بالشيخ القطب أبى اسحاق ابراهيم المصرى وهو صحب واقتدى بالشيخ القطب أبى القاسم محمد المروانى وهو صحب واقتدى بابى محمد فتح المسعودى وهو صحب واقتدى بالشيخ القطب سعد الغزوانى وهو صحب واقتدى بالشيخ القطب جابر وهو صحب واقتدى بابى الاقطاب محمد بن الحسن السبط الشهيد المسموم ابن على بن أبى طالب سبط سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو

أخذوا واقتدى بجده سيدنا محمد سيد الاولين والآخرين وامام المتقين وحبيب رب العالمين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين وأما نسبة سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه فهو الشيخ الامام الاوحد قطب الزمان والحامل فى وقته لواء أهل الاعيان العالم بالله تعالى والدال عليه زمزم الاسرار ومعدن الانوار القطب الفرد الغوث الجامع علم المهتدين زين العابدين سيدى تقى الدين أبو الحسن على بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصى بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد ابن عيسى بن محمد بن الحسن بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى الله عنه

(فصل)

فى ذكر شئ من مناقب المشايخ الذين انتمى اليهم سيدى على سبيل الاختصار فمن ذلك ما حدثنى به الشيخ خضر المعروف بابن النقيب الرفاعى الرازقى العدل الرضى الصديق قال سمعت بعض الفقراء يقول عن سيدى الشيخ شهاب الدين بن الميلق رضى الله عنه انه كان عنده رجل ناسخ يعرف بالخطيب الطوخى وكان مقدما عند الشيخ قال فبينما الخطيب الطوخى جالس بين يدى سيدى الشيخ شهاب الدين بن الميلق اذ قال له يا خطيب انى أراك تتعب فى مد القلم من الدواة فقال والله يا سيدى ان الدواة تارة تكون صعبة وتارة تكون هينة فقال له يا خطيب ناولنى القلم الذى تكتب به قال فدفع القلم الى الشيخ قال فأخذه الشيخ منه وأخرج من جيبه سكينا وبرأ بها القلم ودفعه الى الخطيب الطوخى وقال له اكتب بهذا القلم بكل مدة كراسة قال فلما سمع الخطيب ذلك من الشيخ تعجب وسكت ولم يرد على الشيخ جوابا وظنا منه ان الشيخ أراد أن يقول له ورقة فقط فقال كراسة فقال له الشيخ مالك سكت قم وافعل ما أمرتك به قال فنهض الخطيب وقدم الدواة ومد منها القلم وكتب بتلك المدة كراسة قال وشاع ذلك الامر بين أصحاب الشيخ فتعجبوا اعجابا عظيما فقال بعضهم ان هذا القلم كان عند الشيخ مدخرا ويمكن أن يكون هو القلم الذى أهداه جبريل الى معاوية كاتب الوحى من الجنة فوصل الكلام الى الشيخ فدعاهم اليه وقال لهم ائتونى من عند أحدكم بقلم قال فاحضروا له قلما فبراه وأعطاه للخطيب وقال له اكتب بهذا القلم بكل مدة كراستين قال فكتب بكل مدة كراستين قالوا وشاع خبر القلم بين الناس حتى كثرت أصحاب الشيخ وصار الشيخ يهرب من الناس ولم يظهر لهم الا قليلا قلت ثم انه حضر ابن النقيب الذى أخبرنى بذلك وقال فى أثناء كلامه وكيف لا يكون الامر كذلك وقد كان شيخه الشيخ ياقوت العرشى يقول آه يا دهشة يا حيرة يا حرف لا يقرأ وذلك لما يعلم الشيخ من حال شهاب الدين بن الميلق رضى الله عنه قلت ومما وقع لسيدى ياقوت العرشى وهو شيخ سيدى محمد بن اللبان والشيخ شهاب الدين بن الميلق رضى الله عنه أنه كان جالسا بزاويته بالاسكندرية اذ سقطت بين يديه عمامة وصارت تترجم وتشير اليه برأسها والشيخ يقول لها ما يحصل الاخير ثم ان الشيخ طلب الغلام وقال له شد الفرس فقال له سمعا وطاعة قال ثم ذهب الغلام فشد الفرس واحضرها الى الشيخ

قال

قال فركب سيدى ياقوت وقال لليمامة تقدمى قدامى قال فطارت اليمامة قدام الشيخ وتبعه الغلام ببعض شئ من الزاد ومازال الشيخ سائرا واليمامة بين يديه طائرة الى أن دخلت قدامه الى جامع عمرو بن العاص رضى الله عنه قال فدخل الشيخ الى الجامع فلما جلس طلب خدمة المسجد فلما حضروا بين يديه قال لهم ادخلوا اطلبوا المؤذن فلان قال فاسرعوا وأحضروه الى الشيخ فاذن له بالجلوس فلما جلس بين يديه قال له سيدى ياقوت أنت يحل لك من ديان يوم الدين كلما رأيت هذه اليمامة تحضن أولادها وتربيهم حتى يريشوا وتفرح بهم تأخذهم أنت وتذبحهم وتأكلهم والله لئن عدت الى مثل ذلك لم يحصل لك معى خير فقال ياسيدى مابلغك عنى من اليمامة فهو صحيح وأنا أستغفر الله تعالى ولا أعود الى مثل ذلك وكان ذلك كله بحضرة اليمامة قال فتقدمت اليمامة عند الشيخ ووضعت منقارها على يد الشيخ كأنها تقبل يده قال فعند ذلك بكى الشيخ وبكى كل من كان حوله وكانت ساعة عظيمة ثم ان الجماعة التابعين للاستاذ احضروا لسيدى ياقوت ماتيسر من المأكول قال فأكل معهم سيدى ياقوت وكذلك الغلام ثم ان سيدى ياقوت قرأ سورة الفاتحة لسيدى عمرو بن العاص ودعا وودع الجماعة وخرج من الجامع وركب وسار قال فخرجت معه اليمامة تطير قدامه كأنها تشيعه فقال لها ارجعى يامباركة لاتكى فى خاطرك وكونى فى أمان الفقراء فما عاد يحصل لك ان شاء الله تعالى الاخير قال فرجعت اليمامة الى وطنها ورجع سيدى ياقوت الى الاسكندرية نفعنا الله به وببركاته فى الدنيا والآخرة قلت ومن بعض كرامات سيدى أبى العباس المرسى شيخ سيدى ياقوت العرشى انه كان يقول هنيأ لمن رآنى أورأى من رآنى أورأى من رأى من رآنى الى سبع ولوشئت لاطلقت يعنى الى يوم القيامة وروى ان أهل ثغر الاسكندرية كانوا فى خفارة سيدى أبى العباس المرسى بل وأهل مصر كلهم فحصل عند أهل الثغر خوف شديد وكانوا أمروا من طرف الحاكم بأخذ الاسلحة والاستعداد للحرب فبلغ ذلك سيدى أبا العباس المرسى فقال سبحان الله العظيم مايأتى الى الديار المصرية عدو فى هذه السنة ولافى التى بعدها الى أن وصل الى سبع سنين ثم قال ولامادمت حيا فلما كان فى مرضه الذى توفى فيه غشى عليه ثم أفاق وكان عنده جماعة ثم قال لهم العدو على دمياط فقالوا له ماسمعنا من هذا شيأ فقال نعم كذا قيل لى ولكنه مايطلع الى البر حتى أموت قال فعند ذلك طلعوا من عند الاستاذ وتوجهوا الى متولى الثغر فاخبروه بماذكره الشيخ فقال ماعندنا من هذا علم فلما أصبح الصباح دخل عليهم المتولى المذكور وأخبرهم ان البطاقة قد وصلت من دمياط وان العدو على ساحلها ولم يمكنهم الريح من النزول الى البر حتى انتقل الشيخ الى رحمة الله تعالى قال فلما توفى الشيخ نزل العدو الى البر وكان من كراماته بعد وفاته انه كان بالثغر امرأة حامل فمات الولد فى بطنها وتعسر خروجه وأقامت يومين وليلتين فى شدة حتى اختلط عقلها ويئست من الحياة قال وكان لها قريب كان صاحب الشيخ فاخذ وقت وفاته من الشيخ طاقية فوضعها على

بطنها وسأل الله بحرمة صاحبها ان ييسر عليها أمرها فتحرك الولد في بطنها فما زالت القابلة تتبعه بالطاقية حتى رمته في الوقت وروى أن سيدى عبد القادر الجيلانى كان يقول هنيأ لمن رآنى أو رأى من رآنى الى يوم القيامة ومن بعض كرامات سيدى أبى الحسن الشاذلى شيخ سيدى أبى العباس المرسى رضى الله عنهما أنه قال رأيت كأنى أطوف بالكعبة طالبا من نفسى الاخلاص وأنا أفتش عليه في سرى فاذا بالنداء من قبل الله تعالى ياعلى كم تدندن مع من يدندن وأنا السميع القريب العليم الخبير وتعريفى يغنيك عن علم الاولين والآخرين ماخلا علم الرسول وعلم النبيين وقال رضى الله عنه رأيت كأنى مع النبيين والصديقين فاردت ان أكون معهم ثم قلت اللهم اسلك بى سبيلهم مع العافية فيما ابتليتهم فانهم أقوى ونحن أضعف فقال لى قل وما قدرت من شئ فايدنا كما أيدتهم وقال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه رأيت كأنى بين يدى العرش فقلت يارب فقال لبيك فقلت يارب فاهتز العرش فقلت يارب فاهتز اللوح المحفوظ والقلم فقلت أسألك العصمة وأعوذ بك من دواعى النفس والهوى والشهوة والشيطان والدنيا فانهن يسقطن من أعلى عليين الى أسفل سافلين في أسرع من لمح البصر وأنت أعلم بذلك ولا حول ولا قوة الا بك فقيل لى لك ذلك وقال سيدى أبو الحسن الشاذلى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم مناما وهو يقول لى أربع لا ينفع معهن الفقه لا قليل ولا كثير وهم حب الدنيا ونسيان الآخرة وخوف الفقر وخوف الناس والله أعلم (تنبيه واستدلال) اعلم أنه قد بلغنا عن سيدى رضى الله عنه أنه أخذ الطريق عن سيدى ناصر الدين بن الميلق رضى الله عنه والشيخ ناصر الدين أخذ عن جده لامه الشيخ شهاب الدين بن الميلق والشيخ شهاب الدين بن الميلق أخذ عن الشيخ العارف بالله تعالى سيدى أبى الدر ياقوت العرشى ورفيقه الشيخ شمس الدين بن اللبان والشيخ شمس الدين بن اللبان أخذ عن سيدى ياقوت العرشى أيضا وسيدى ياقوت العرشى أخذ عن سيدى أبى العباس المرسى والشيخ أبو العباس أخذ عن سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنهم أجمعين ثم بلغنا أيضا أن سيدى أخذ ثانيا عن سيدى شهاب الدين بن الميلق وهو أخذ عن سيدى شمس الدين بن اللبان وهو أخذ عن سيدى ياقوت العرشى وهو أخذ عن سيدى أبى العباس المرسى وسيدى أبو العباس المرسى أخذ عن سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنهم أجمعين قلت ومما يؤيد الرواية الثانية أيضا ما رأيته في بعض الكتب عن الشيخ شهاب الدين بن منصور حازم الدين الدمياطى قال أخبرنى غير واحد من أصحاب سيدى أبى العباس المرسى أنه قال طوبى لمن رآنى أو رأى من رآنى الى سبع مرات قال فسألت عن ذلك الشيخ شهاب الدين بن الميلق تلميذ الشيخ تاج الدين بن عطاء الله قال أخبرنى شيخى تاج الدين بن عطاء الله أنه سمع الشيخ أبا العباس المرسى يقول ذلك وزاد على ذلك ولو شئت لاطلقت يعنى من غير عدد فهذه الرواية الثانية يؤيدها قول سيدى المشار اليه أنا خامس خليفة بعد سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى

الله عنه فان سيدى ان كان أخذ عن سيدى شهاب الدين بن الميلق يكون ذلك موافقا القول سيدى أنا خامس خليفة وان كان أخذ عن الشيخ ناصر الدين بن بنت الشيخ شهاب الدين بن الميلق يدل على أن سيدى يكون سادس خليفة و يكون مناقضا القول سيدى أنا خامس خليفة فالمرجح حينئذ الرواية الثانية لانها موافقة لقول سيدى رضى الله عنه فعلى كلا الروايتين سلسلة سيدى متصلة بسيدى أبى الحسن الشاذلى من غير شك ولا ريب والخلاف المذكور لا يمنع اتصال سلسلته بسيدى أبى الحسن فانه كان رضى الله عنه حنفى المذهب شاذلى الفقراء قلت وسمعت سيدى رضى الله عنه يقول فى بعض مواعيده ان الله سبحانه وتعالى قد أطلعنى على مقام سيدى عبد القادر الجيلانى وعلى مقام سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنهما فوجدت مقام سيدى أبى الحسن الشاذلى أعلى مقاما من مقام سيدى عبد القادر الجيلانى ثم قال وذلك ان سيدى عبد القادر سئل يوما فقيل له ياسيدى من شيخك فقال فيما مضى كان شيخى سيدى حماد الدباس واما الآن فاسقى من بحرين بحر النبوة و بحر الفتوة يعنى بحر النبوة النبى صلى الله عليه وسلم وأما بحر الفتوة فهو سيدى على رضى الله عنه قال وسئل سيدى أبو الحسن الشاذلى فقيل له من شيخك فقال اما فيما مضى فكان سيدى عبد السلام بن بشيش وأما الآن فاسقى من عشرة أبحر خمسة سماوية وخمسة أرضية أما السماوية فجبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل والروح وأما الارضية فالنبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين

(الباب الثالث)

فى ذكر أحواله وطريقته وكيفية صحبته مع أبناء الدنيا من أرباب المناصب وذوى المراتب الدينية والدنيوية على سبيل الاختصار فنقول و بالله التوفيق اعلم أنه تقدم فى الباب الاول أن سيدى رحمه الله تعالى كان ميعاده يوم الثلاثاء ثم اقتضى رأيه أن يكون يوم الاحد لان فى ذلك مخالفة للنصارى لعنهم الله فانهم يجتمعون فى كنائسهم على كفر وضلال و يحسبون أنهم على شئ الا انهم هم الكاذبون فقصد سيدى أن يكون ميعاده يوم الاحد حتى يجتمع المسلمون على ذكر الله عز وجل وعلى توحيده وتنزيهه و يسبحون الله تعالى و يهللونه و يكبرونه و يعظمونه و يسمعون كلامه القديم الذى أنزله على قلب سيد المرسلين وامام المتقين و يأخذون تفسيره من مثل سيدى رحمه الله و يسمعون مواعظ وحكما يدهش عقولهم و يحير أفكارهم و يهديهم الى فعل الخيرات و يشوقهم الى الطاعات و يأخذ كل منهم مشربه من كلام سيدى و يجعلون كلامه حجة فى أعمالهم و يلتمسون ألفاظه و يقتبسون أسراره لان كلام سيدى رضى الله عنه كان شفاء لصدورهم وتوسيعا لعقولهم و يديمون ذلك الى قريب الظهر وتارة الى بعد الظهر فلا يقوم أحد منهم وعليه ذنب من الذنوب ولقد حضرت له مجلسا يوم الاحد وكان فى زمن الشتاء وكان ذلك اليوم كثير المطر فجاء فى

ذلك اليوم خلق كثير دون العادة حتى ان سيدى رحمه الله جعل يقول من مثى فى هذه الامطار وسمع هذه الاسرار حتى حصل للناس وجد عظيم وطرب من كلام سيدى حتى ان منهم من غشى عليه ومنهم من صاح ومنهم من قام ورقص وتواجد حتى وقع من غير اختياره وغاب عن حسه ولم يرجع اليه حاله حتى انفض الناس من الميعاد وكثر الصراخ والضجيج فى ذلك اليوم دون العادة وكل ذلك من فضل الله تعالى ثم من بركة سيدى رحمه الله وكانوا اذا خرجوا من ميعاده يقول بعضهم لبعض ما نظن ان أحدا يخرج من ميعاد سيدى الا وهو تائب أو يقوم الا وهو مغفور له ومنهم من يقول والله نشتهى أن يكون ميعاد سيدى فى كل يوم فان كلام سيدى لا يعلى أحد من سماعه ولقد حضرته فى بعض مواعيده وهو يفسر فى قوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا وكان سيدى جوهرى الصوت وكان كلامه يخرج من صميم قلبه فيزعج القلوب قلت فرفع سيدى صوته وقال يا هذا اعلم أن الذى شبك الكلب مع الكلبة قادر أن يشبك الزانى مع الزانية فى حال زناه ثم قال سيدى فى أثناء كلامه هاه هاه فلقد رأيت الخلق كثر صراخهم وصياحهم وضجيجهم ومنهم من صار يتمرغ على الارض كل ذلك وسيدى طارق برأسه مستغرق متفكر فى ذلك الامر الذى قاله للناس وكلما رأوا سيدى ساكنا متفكرا كلما كثر وجدهم واشتد بهم الامر وزاد صراخهم وعلى ضجيجهم فلما سرى عن سيدى ما كان به جعل يتكلم للناس فى التوبة وما يحصل للتائب من الخير والثواب اذا رجع الى الله تعالى وأصلح ما بينه وبين الله تعالى حتى ذهب عن الناس ما نزل بهم ورجع الى كل ذى حال حاله وكان يوما مشهودا أعاده الله علينا وعلى المسلمين من بركاته بجاه محمد وآله آمين قلت ورأيت أمرا عجيبا وذلك انى أردت الحج الى بيت الله الحرام سنة من السنين وكنت عند سيدى فى زاويته فخطر ببالى ان أسأله فى أمر الحج وأستأذنه فى ذلك فقلت له يا سيدى كان العبد يريد أن يسافر الى الحجاز فى هذه السنة قال فسكت عنى ساعة طويلة ثم قال لى اذا صليت العشاء صل بعدها ركعتى الاستخارة ونم وانظر ما يقع لك فى نومك قال فامتثلت أمر سيدى وفعلت ذلك ثم نمت فرأيت فى تلك الليلة كأنى واقف عند خلوة سيدى ورأيت سيدى جالسا فيها ورأيت الكعبة طائفة به فلما رأيت ذلك صرخت صرخة عظيمة فاستيقظت من نومى وعندى مما رأيت أمر عظيم ثم قمت وتوضأت وصليت ركعتين على باب خلوة سيدى فلم أشعر الا وسيدى قد خرج الى الزاوية فقمت اليه وقبلت يده فقال لى يا أبا العباس ما وقع لك فى هذه الليلة فسكت فقال الشأن لمن يطوف بالكعبة أو لمن تطوف به الكعبة فقلت يا سيدى لمن تطوف به الكعبة قال فوضع يده على صدرى فسكن ما بى وذهب عنى ما كنت أجده وحكى لنا أحمد البطينى الفقير وسيدى أحمد المعروف بابن الشنيف وكان من أهل الدين والصلاح قالا كنا بالجنينة التى كانت بالروضة وكان بها مكان يعرف بدار البقر قال فدخلناها فى الليل فوجدنا فيها رجلا نائما وهو يئن كالحزين فأخذناه وجئنا به الى سيدى فلما رآه سيدى قال ما الذى جاء بك الى هذا

المكان ·

المكان فان بيوت الاولياء لا يجوز عليها أحد الا باذن صاحبها وأنت لما تقدمت سقطت في دار البهائم لكن تب الى الله تعالى ثم علمه كلمات فلما قالهن رد الله عليه حاله فقام عند ذلك وشال في الهواء ونحن ننظر اليه حتى غاب عنا وممّا أخبرنا به الشيخ شمس الدين المعروف بالجدي وكان من أصحاب سيدي قديما قال كنت راكبا مع سيدي بجملة جماعة كثيرة وكنت قريبا منه على عينه وكنت أحب القرب منه فالتفت الى سيدي وقال يا شمس الدين قد خطر لي خاطر وهو اني أريد ان أزور اخواننا من سكان البحر في هذه الساعة وأعود الى الجماعة فقلت له ياسيدي فالجماعة يكونون مع سيدي قال لا ولا أعلمهم بشئ فقلت ياسيدي وكيف يكون ذلك فقال لي اشتغل بالذكر وقل الله الله قال فاشتغلت بالذكر ساعة طويلة حتى غبت عن حسي فلما أفقت رفعت رأسي الى سيدي لاراه على الفرس فلم أره ورأيت الفرس واقفة والناس كلهم واقفون باهتون يظنون ان سيدي راكب على حاله يخيل لهم انه معهم قال فعلمت أن سيدي ذهب الى البحر فلما رأيت ذلك هالني وغبت عن حسي والناس كلهم ساكتون مطرقون رؤسهم الى الارض قال فلما رجع الى حالي التفت الى جهة البحر فرأيته مقبلا من ناحية البحر على حاله حتى وصل الينا وركب الفرس وسار وسارت الناس ولم يعلموا ما الخبر ولا كيف السبب ونسوا ذلك جملة كافية ولم يعلم بذلك أحد من الجماعة غيري ولم أتكلم بذلك لاحد من الناس الابعد انتقاله الى رحمة الله تعالى قلت وأخبرنا الشيخ شهاب الدين المعروف بابن المسدى وكان اماما بزاوية سيدي قال خرجت يوما من الايام الى صلاة الظهر لاصلي بسيدي فرأيت في طريق امرأة جميلة فوقع نظري عليها فملات عيني بالنظر اليها حتى اشتغل قلبي بذلك فلما دخلت الى الزاوية توضأت وجلست انتظر ظهور سيدي فاذا بسيدي قد ظهر واقيمت الصلاة فقمت لادخل المحراب فاشار الى سيدي ان ارجع فرجعت وصلى سيدي أبو العباس فلما جاء وقت العصر فعل كذلك فلما جاء وقت المغرب فعل كذلك فلما جاء وقت العشاء فعل كذلك فعلمت أن سيدي فعل ذلك لعلمه بحالي مع المرأة فندمت على مافعلت وماساعني الا أني نمت في الزاوية على باب خلوة سيدي فلما كان آخر الليل ظهر سيدي فقمت اليه ونزلت على قدميه أقبلهما وأبكي فقال لا تعد الى مثلها فقلت ياسيدي تبت الى الله تعالى وندمت على ما فعلت ومن أعجب ما رأيته في تلك الليلة أنه كان قدم على سيدي رجل من بلاد المشرق وكان قد أعطي من الكرامة أنه كان معه زنبيل أعني مقطفا فكان كلما أراد شيأ من المأكول أدخل يده في ذلك الزنبيل وأخرج منه مااشتهاه باذن الله تعالى قال فلما دخل الى مصر وقع له ما وقع معي فكان يدخل يده في الزنبيل فلا يجد شيأ مما اشتهاه وأقام على ذلك يومين لم يأكل شيأ فشكى حاله لبعض الفقراء فقالوا له عليك بسيدي محمد الحنفي فجاء الى سيدي وشكى له حاله فامره ان يدخل خلوة من الخلاوي التي على ظهر خلوة سيدي أحمد المغربي وعلمه أسماء يقولها ولا ينام ليلته فلما اجتمعت انا بسيدي تلك الليلة وتبت على يديه مما وقع مني قال لي

يا أحمد لا تعد الى مثلها وقد رددنا عليك حالك وعلى هذا الرجل الذى فى الخلوة ثم قال ادعه الى قال فصعدت اليه ودعوته الى سيدى فقال له قد رددنا عليك حالك ولا تعد الى مثلها فقال يا سيدى تبت الى الله تعالى ثم ودع سيدى وسافر الى حيث شاء الله ثم أخبرنى الشيخ نور الدين الشاذلى شيخ الزاوية المعروفة بالخاصية بصندفا قال كانت عند سيدى امرأة تسمى بركة وكانت قائمة بخدمة منزله وكان لها أوراد وصيام وقيام وذكر واستغفار وغير ذلك قالت كنت ذات ليلة نائمة على باب خلوة سيدى التى تنفذ الى المنزل فبينما أنا نائمة اذ سمعت سيدى يتضجر ويتقلق ويتأوه ويقول آه آه ويكرر ذلك وقد كنت سمعته يوما من الايام يقول ان القطب اذا تقطب تحمل بهموم أهل الدنيا كالسلطان اذا تسلطن بل أعظم فلما سمعته يتقلق ويتضجر كانه حامل حملة ثقيلة قلت فى نفسى أظن سيدى تقطب فى هذه الليلة فان هذه الحالة التى هو فيها تدل على ما أخبرنا به قالت ولم أستطع ان أكتم ذلك واذا بزوجة سيدى قد خرجت من بيتها فلما رأيتها قمت اليها فأخبرتها بحال سيدى فسمع سيدى كلامى لها فنادى يا بركة فقلت نعم يا سيدى قال ما هذا الكلام الذى تقولينه لها والله يا بركة ان القطبانية قد أعطيت لنا ونحن شباب وأخبرنى الشيخ نور الدين المخلصى قال زرت سيدى رضى الله عنه فى بعض السنين وكانت زوجتى بصحبتى وكان اسمها ام حبة وكانت اذا دخلت بيت سيدى وسلمت عليه يقول لها ام حبابك يا ام حبة فتنزل على قدميه وتقبلهما وتبكى قال وكانت رحمها الله ذات صلاة وقيام أكثر منى حتى كانت تقول لى فى نصف الليل قم بنا نصلى فى هذا الليل ما تيسر لعلنا نلحق بالقوم فأقوم الى الصلاة فقالت لى كنت فى بيت سيدى فطلعت من السلالم التى جانب خلوة سيدى لحاجة أقضيها فبينما أنا طالعة اذ رأيت طاقة نافذة على خلوة سيدى فنظرت منها فرأيت سيدى جالسا متربعا مستقبل القبلة فأطلت النظر اليه فرأيته قد علا وارتفع وعظمت جثته وصارت تكبر حتى ملأت الخلوة بجميع أركانها وأقام على تلك الحالة ساعة طويلة ثم جعل يصغر قليلا حتى عاد الى حالته الاولى قالت فلما رأيت ذلك ذهل عقلى وتحيرت فى أمرى ثم سمعته يقول لا اله الا الله محمد رسول الله ثم خرج من باب الخلوة قال فأسرعت فى النزول حتى أدركته قبل ان يظهر الى الزاوية فلما أدركته قبلت يديه ولم أستطع ان أكتم ما رأيته فقلت يا سيدى رأيت كذا وكذا ثم غلبنى البكاء فبكيت حتى انفحمت قالت فوضع يده على صدرى فسكن ما بى فلما هدأ ما بى قال لى يا ام حبة أنت رأيتينى من أين قلت يا سيدى من تلك الطاقة قال فالتفت الى جاريته وكان اسمها فرجة وقال لها يا فرجة سدى هذه الطاقة ولم يزد على ذلك ثم ظهر الى الزاوية قال وكان فى زمن سيدى رجل من أعيان المباشرين وجبابرتهم وكان يعرف بابن النمار وكان جبارا عنيدا فظلم رجلا واعتدى عليه فجاء الرجل المظلوم الى سيدى واخبره بان ابن النمار ظلمنى واعتدى على فأرسل سيدى قاصدا يعرف بعبد الرحمن السويفى فى شفاعة ذلك الرجل وقال له اخبره وقل له يا قاضى يقول لك سيدى

ارفق

ارفق بالمسلمين وأحسن اليهم واذكر وقوفك بين يدى الله تعالى قال فخرج السويفى مسرعا نحو ابن النمار فلما وصل اليه قال له ما أمره به سيدى قال فكتب اليه ابن النمار ورقة يقول له فيها ان كنت شيخا فاقعد فى زاويتك ولا تدخل بين المباشرين والفلاحين قال فلما خرج السويفى من عند ابن النمار بالورقة وقرأها سيدى مزقها بيده قطعا قطعا ثم التفت سيدى الى السويفى وقال له ارجع اليه واطلع عنده على دكته وقف عن يساره وامسك أذنه بيدك اليمنى وقل له برفيع صوتك ولا تخف منه يا ابن النمار فانا قد كففنا يده عنك وعقدنا لسانه عن جوابك يقول لك محمد الحنفى قد مزقناك كما مزقنا ورقتك ولو كان على طرفك ألف بسطامى وسوف نذكر بعد ذلك معنى هذا الكلام قال الشيخ عبد الرحمن السويفى فقمت من عند سيدى مسرعا بقلب أقوى من الحديد حتى دخلت على ابن النمار وهو جالس على دكته فلما وصلت اليه طلعت على دكته والناس ينظرون الى فوقفت عن يساره ومسكت أذنه بيدى اليمنى وقلت له يا ابن النمار يقول لك سيدى قد مزقناك كما مزقنا ورقتك وكانت الورقة معى ممزقة فنثرتها بين يديه وعلى رأسه قال فبهت ولم ينطق بكلمة واحدة ثم خرجت من عنده فلم يقدر أحد ان يتبعنى من أعوانه حتى وصلت الى سيدى واخبرته بما وقع منى فوالله ما كانت الا ساعة يسيرة حتى أرسل السلطان هدادين يهدون داره فلم يشعر ابن النمار بنفسه الا والمساحى عمالة فى الدار وصارت خربة ومسك ابن النمار وصودر وأخذ ماله وأمر به الى السجن من يومه ذلك وأما كلام سيدى ولو كان فى طرفك ألف بسطامى فان ابن النمار كان مستند الجماعة من الفقراء يعرفون بالبسطامية ولهم شيخ يعرف بالبسطامى وكان رجلا مباركا ومن بركته أنه قال لولده اذبح لنا غنما واطبخ لنا طعاما كثيرا ومد سماطا فى وسط الزاوية وكان ذلك بالليل فانه سيرد علينا جماعة يأكلون ذلك الطعام قال فامتثل ولده أمره وفعل ذلك ومد الطعام فى وسط الزاوية وكان ذلك بالليل فلما كان بعد ساعة طويلة واذا بفقراء جاؤا فى الهواء من الطيارة وتساقطوا من الهواء فى الزاوية وقعدوا حول السماط فقال الشيخ كلوا وادعوا الولدى قال فأكلوا فلما فرغوا تقدم اليهم ولد الشيخ وقبل أيديهم واحدا بعد واحد الى أن وصل الى كبيرهم المشار اليه فدعا له بخير وتفل فى فمه ثم ارتفعوا ثانيا فى الهواء وذهبوا فكان الشيخ يتكلم بالاسرار الربانية من بركة تلك التفلة ومع ذلك لم ينتفع ابن النمار بشئ من بركة شيخه ومات ابن النمار بالجوع والفقر فى السجن واخبرنى الشيخ شمس الدين بن كتيلة رحمه الله ونفع به قال أخبرنى سيدى أبو الخير ولد سيدى الكبير قال عزم بعض الاكابر على سيدى فركب سيدى معه الى منزله وكان قد صنع له طعاما ووضع فيه سما وخلطه بالطعام وقدم الاناء المصنوع بالسم بين يدى سيدى لعلمه ان سيدى لا يجسر أن يأكل معه أحد فلما أكل سيدى من ذلك الطعام أحس بالسم ثم بعد انقضاء تلك العزومة قام سيدى وركب ورجع الى منزله فى الزاويه وكان قد بقى من ذلك الطعام بقية وكان لذلك الامير ولدان فأكلا ما بقى من ذلك الطعام بغير علم

أبهما فما تابعد ثلاثة أيام وعوفى سيدى من ذلك السم ولم يضره شئ واخبرنى سيدى محمود ولد سيدى الكبير قال كانت عندنا جارية فى البيت تسمى بركة وكانت مباركة محافظة على الصلوات الخمس ولها صيام وقيام وأوراد قد تقدم ذكرها قال سمعتها تقول كنت يوما أصب على يد سيدى ماء للوضوء وهو يتوضأ فورد عليه وارد ومد يده الى فردة قبقابه فاخذها ونهض قائما على قدميه وصرخ باعلى صوته وقال الله أكبر ورمى بها فى الهواء من داخل الخلوة ولم يكن فى الخلوة منفذ ولا كوة واختفت الفردة عن بصرى ولم أعلم من أى موضع خرجت ثم جلس سيدى على دكة الوضوء وأطرق رأسه الى الارض ساعة فلما رجع اليه حاله رفع رأسه وقال لى يا بركة خذى رفيقة تلك الفردة واجعليها عندك حتى تجيئها رفيقتها بعد أيام قلائل قالت فاخذتها منه ووضعتها عندى فلما كان بعد عشرة أيام أو أكثر جاء رجل من التجار من سفره من ناحية الشام وكان من أصحاب سيدى فسلم على سيدى ودفع اليه هدية تليق به وأخرج تلك الفردة التى رمى بها سيدى فى ذلك الوقت وقال له ياسيدى المال مالك قد خرجت عنه لسيدى والله ياسيدى لولا أدركتنى بركتك لكنت هلكت فقال له سيدى احك لى ماجرى لك قال ياسيدى خرج على لص من اللصوص وكنت منفردا عن الركب فهجم على وأخذنى فطرحنى على الارض وقعد على صدرى وأخذ سكينا ووضعها على صدرى ليذبحنى بها فالهمتنى القدرة ان قلت ياسيدى محمدا ياحنفى هذا وقتك فلم أشعر ياسيدى الا وهذه الفردة جاءت فى الهواء وسمعت سيدى يقول الله أكبر الله أكبر فوقعت الفردة على صدر اللص فانقلب على الارض ميتا ونجانى الله منه ببركة سيدى وقد خرجت عن المال والفائدة لسيدى وما هو كثير وقد سلمت من الهلاك وسلم مالى فقال له سيدى يافلان للفقراء الفائدة ورأس المال يرجع اليك ولا تخالف قال فخرج التاجر من منزله وسار يحاسب نفسه على الفائدة حتى جمعها وجاء بها الى سيدى فدعا سيدى الفقراء المجاورين وفرق ذلك عليهم ولم يأخذ منهم درهما واحدا رضى الله عنه ونفع به وأخبرنى سيدى محمود أيضا قال كان فى زمن سيدى أمير عشرة يعرف بالمناطح فكان كل من نطحه برأسه كسر رأسه وكان ذا قوة وشدة وكان الملك الاشرف يحب أن يفعل ذلك بين يديه ويناطح المماليك فيغلبهم ويقهرهم فاتفق ان رجلا جاء الى سيدى يشكو اليه من ذلك المناطح وكان قد حصل للرجل منه تشويش وضرر فارسل سيدى اليه ليشفع عنده فى أمر ذلك الرجل فلم يقبل له شفاعة وغلبت عليه الشقاوة والعناد والطغيان حتى قال للقاصد قل لشيخك والله ان لم تقعد وأنت عاقل والا يجيئ اليك وينطحك يكسر رأسك فجاء القاصد وقال لسيدى ما قاله الامير فقال له سيدى ارجع اليه وقل له يقول لك سيدى محمد الحنفى خذ حذرك الليلة هذه فانه يجيئ اليك وينطحك فاحترس على نفسك وكن على حذر قال فلما قال له القاصد ذلك بهت ساعة عظيمة ولم يرد جوابا فرجع القاصد الى سيدى وأخبره بذلك قال فلما دخل الليل على الامير دخل عليه الوسواس بسبب كلام الشيخ فبينما هو كذلك اذ عرض

عليه

عليه عارض فصاح صيحة عظيمة وقام من فرشه وكشف عن رأسه وجعل ينطح بها الحيطان حتى كسر رأسه وسال دمه على وجهه وثيابه وهو لا يشعر بنفسه الى أن وقع على الارض وجعل يتقلب ويصرخ كالثور فما طلع النهار عليه حتى هلك وأخذه الله أخذ عزيز مقتدر وبلغ السلطان الاشرف ان الامير المناطح هلك وقد أخبروه بما جرى له مع سيدى رحمه الله تعالى (استلحاق) وقد تقدم قبل ذلك أن بركة الخادمة لما كانت تخدم فى البيت وكثرت خدمتها لسيدى ودامت على ذلك كتب لها سيدى وعقد عقده عليها ولم يعلم بحالها أحد من أهل البيت وأمرها سيدى ان تكتم أمرها عن أهل البيت فلما كبرت طلقها سيدى فشق ذلك عليها فلما صعب عليها فراق سيدى تكلمت بذلك وأخبرت نساء سيدى بذلك فقال لها يا بركة ما قلت لك لا تخبرى أحدا بما وقع بيننا وحى أقعدى فى موضعك وكان لها موضع معين تقعد فيه فرجعت الى ذلك الموضع فجلست فيه ولم تعلم ما أراد سيدى بقوله لها أقعدى فى موضعك فلما قعدت فى ذلك الموضع أرادت ان تقوم فما استطاعت القيام وصارت مقعدة الى أن ماتت رحمها الله وكان لها امرأة تصحبها تسمى مريم الطويلة فقالت لها يوما يا مريم قولى لسيدى جاريتك المسكينة بركة تسأل فضلك ان تأذن لها فى القيام قال فجاءت مريم الطويلة وقالت لسيدى ذلك فقال لها قولى لها قومى فرجعت فرحة وقالت لها قال لك سيدى قومى قال فهمت بالقيام فقامت منتصبة وأرادت أن تمشى فما استطاعت فرجعت مريم الى سيدى فاخبرته بذلك فقال لها ما سألتينى الا فى القيام ولم تسألينى فى المشى والسهم اذا خرج من القوس لا يرد وما زالت مقعدة الى أن انتقلت بالوفاة الى رحمة الله تعالى ومما أخبرنا به سيدى أبو العباس رضى الله عنه قال كان سيدى رضى الله عنه يقرئ ثلاثة نفر من الجن على مذهب الامام أبى حنيفة رضى الله عنه وأقام على ذلك مدة طويلة قال فجاؤا يوما من الايام فى غير وقت الميعاد وكان سيدى فى ذلك الوقت يقرئ جماعة وهو مشغول بهم فلما أحس سيدى بمجئ الجان التفت الى سيدى عمر صهره زوج ابنته وقال له يا عمر اذهب اليهم وأقرئهم فانى مشغول بغيرهم قال فذهب سيدى عمر اليهم وأقرأهم فى بيت سيدى نيابة عنه ومما وقع لسيدى عمر ان امرأة من الجن هوته فكانت تتردد اليه وتقرأ عليه القرآن فقالت له يوما يا سيدى أريد ان أتزوج بك قال فقلت لها حتى استأذن سيدى فانى لا أفعل شيأ بغير اذنه ثم قال انه ذهب الى سيدى واستأذنه فى ذلك فقال له لا يجوز هذا فى مذهبنا لاختلاف الجنسية فرجع اليها وأخبرها بما قال سيدى فقالت له ان كان ولا بد فتكون ضيفنا ولو ساعة من النهار قال فاستأذنت سيدى فاذن لى وقال لى امض معها ولا تخف فرجعت اليها وأخبرتها بذلك ففرحت ثم انها قالت لى غمض عينيك يا سيدى قال فغمضت عينى فلم أشعر بنفسى الا وأنا واقف بين يدى ملكهم قال فلما رآنى أهل بى وفرح بى وبرّ بى وأجلسنى بجانبه وقدم لى مأكولا فلم آكل منه شيأ فقال لى كل ولا تخف فان هذا من بيت سيدى محمد الحنفى فكل منه فاكلت منه وكان ذلك من طعام الفقراء قال فلما فرغت من الاكل قال لى

لم لا تتزوج بهذه المرأة التى هى من جهتنا فقلت والله أيها الملك ان سيدى أخبرنى ان هذا لا يجوز فى مذهبنا فقال الملك لا اعتراض على سيدى فيما قال نفعنا الله ببركته

قال سيدى عمر وكان الملك جالسا على كرسيه ووزيره عن يمينه وحوله جماعة من أعيان الجن قال فالتفت الملك الى وزيره وقال له صافح سيدى عمر باليد التى صافحت بها النبى صلى الله عليه وسلم قال فصافحه ثم التفت الى وقال لى قد أذنت لك أن تصافح سيدى محمدا الحنفى بدلا عنه وعنى وتسأله لنا الدعاء ثم ان الملك التفت الى تلك المرأة وقال لها أوصلى سيدى عمر الى موضعه كما كان قال وجعل الملك يتعطف بخاطرى ويقول لى اسأل لنا الدعاء من سيدى وصار يودعنى هو ومن حوله ثم قالت لى تلك المرأة غمض عينيك قال فقبضت على تلك المرأة بيدها وطلعت بى الى منزلى ولم أرمنها الا كل خير ثم ذهبت الى حال سبيلها ثم بعد ذلك توجهت الى سيدى فاخبرته بجميع ماوقع لى مع الملك فقال لى هات يدك وصافحنى قال فصافحت سيدى بيدى فكان بين يدى سيدى وبين النبى صلى الله عليه وسلم يدان يدى ويد الوزير وكانت المدة التى بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين الوزير ثمانمائة سنة قلت وأخبرنى الفقيه نور الدين المعروف بالجولى وكان من أصحاب سيدى شمس الدين بن كتيلة قال أخبرنى سيدى ان مما وقع لسيدى الكبير رحمة الله عليه انه كان راكبا ذات يوم الى الروضة فى جماعة كثيرة من الاتراك والقضاة والتجار والاعيان وهو فى كبكبة عظيمة واذا بابن البارزى كاتب السر على أيام السلطان الشيخى وبصحبته ناظر الخاص ومعهما بعض جماعة وهم قاصدون الى مصر العتيقة فلما جاوزوا سيدى ورأوا مامعه من الخلائق والرؤساء والاتراك وغيرهم تعجبوا من ذلك وقال كاتب السر لناظر الخاص أماترى الى هذا الرجل أى شئ ترك هذا للسلطان ماهذه طريقة الفقراء فقال له ناظر الخاص مالك والاعتراض على الفقراء سلم للفقراء أحوالهم فقال له كاتب السر لابد ما أرسل اليه وأعاتبه فى هذه الساعة وأنت تنظر ثم دعا ركبداره وقال له اذهب الى الشيخ وقل له يقول لك كاتب السر ماهذه طريقة الاولياء هذه طريقة الملوك قال فذهب له الركبدار وقال له ياسيدى ان القاضى كاتب السر يقول لك هذه الطريقة التى أنتم فيها ماهى طريقة الاولياء هذه طريقة الملوك قال فالتفت اليه سيدى وقال له قل لاستاذك أنت معزول قال فرجع الركبدار اليه وقال له ذلك فانقبض خاطره وندم ندما عظيما قال فالتفت اليه ناظر الخاص وقال ماقلت لك لا تتعرض للفقراء ثم ان ناظر الخاص قال للركبدار بالله ياولدى امض الى الشيخ وقل له العبد يستغفر الله فى حق سيدى قال فمضى الركبدار الى سيدى وقال له ذلك قال فقال له سيدى ياركبدار يقول لك محمد الحنفى أنت معزول عزلا مؤبدا فرجع الركبدار من طريقه على الفور الى منزله فما قعد غير ساعة يسيرة الا وقاصد السلطان أتى الى كاتب السر وقال له ياقاضى يقول لك السلطان الزم بيتك فانت معزول فما زال معزولا حتى قتله الملك المؤيد الشيخى فنعوذ بالله من ذلك وأخبرنى سيدى أبو المحامد ولد سيدى محمود ولد سيدى

رحمه الله قال أخبرتني الوالدة رحمها الله قالت اهدت لى امرأة هدية ومن جملتها أترجة كبيرة صفراء فاقع لونها فاقمنا مدة نتمتع برؤيتها ورائحتها حتى انهبطت فشققناها وأكلناها قالت وانقطعت عن سيدى الطلبة الذين كانوا يقرؤن عليه وهم ثلاثة أنفس كما تقدم فلما أكلنا تلك الاترجة وذهبت رائحتها من البيت جاؤا الى سيدى يطلبون القراءة عليه فقال لهم سيدى ما الذى قطعكم عنا قالوا ياسيدى رائحة الاترج قطعتنا عنكم فاننا لاندخل بيتا فيه رائحة الاترج فلم نقدر ان نشم رائحته قالت وكانت زوجة مهتار السلطان عندنا فى ذلك اليوم قالت فحكيت لها حكاية الترجة وقالت لسيدى ياسيدى والله انى أخاف من الجن خوفا عظيما حتى كأنى متبوعة منهم وكان قصدى أن أقول لسيدى على هذا حتى يفيدنى شيأ منه اذا قلته أو فعلته انقطع عنى الخوف منهم ثم قالت ياسيدى ومن يلقى الاترج كل يوم ولعله ينقطع فى غير أوانه فقال لها سيدى اجعى نواه واتخذيه سبحة فانه ينفعك قالت ففعلت ذلك فنفعنى وذهب عنى الخوف منهم وذلك ببركة سيدى رحمة الله عليه ومما بلغنا عن سيدى ابى العباس رضى الله عنه أنه قال كنا يوما مع سيدى رضى الله عنه فى قارب قاصدين الى الروضة فلما توسطنا البحر وصرنا بين الروضة اذ نزل سيدى الى البحر بثيابه وسجادته على كتفه وهو يقول لنا الميعاد بينى وبينكم بر الروضة ثم سقط فى البحر وغاب عنا فلما رأينا ذلك اندهلت عقولنا وتحيرنا فى أمورنا ووقع الضجيج بيننا ثم رجعنا الانفسنا وقلنا لصاحب القارب اقذف الى البر وعجل قال فاسرع فى القذف حتى وصلنا الى بر الروضة واذا بسيدى قد طلع من البحر ومعه ثلاثة رجال وسجادة سيدى على كتف واحد منهم ولم تبتل ثيابهم وصار سيدى يقول لنا سلموا على اخوانكم قال فجعلنا نسلم عليهم ونسألهم الدعاء وهم يدعون لنا ويتبسمون فى وجوهنا فاقاموا عند سيدى سبعة أيام ثم استأذنوا سيدى فى السفر فاذن لهم وكان آخر اجتماعنا بهم ثم قال سيدى أبو العباس لا ولا دسيدى والله لقد رأيت عن سيدى أحوالا لو ذكرتها لكم وأنتم أولاده ماصدقتمونى ومما وقع لسيدى رضى الله عنه أنه كان له مريد من الاتراك يسمى طوغان وكان مواظبا على حضور الميعاد وعلى قراءة الاحزاب التى ألفها سيدى لاصحابه قال فتوفى طوغان الى رحمة الله تعالى فرآه سيدى بعد ذلك فى المنام وهو فى سلسلة وهو بين ملكين وهما يسحبانه على الارض وقد اندلع لسانه على صدره واسود وجهه فعرفه سيدى لما رآه فقال له ياطوغان فقال نعم ياسيدى فقال مالى أراك فى هذه الحالة هل أذنبت ذنبا تستحق به ما أنت فيه قال نعم ياسيدى ذنب واحد قال وماهو قال ياسيدى ان لفلان عندى وديعة وهى أربعة دنانير ذهب فجعلتهم فى جفير السيف وأتت على ذلك أياما قلائل فلما مرضت مرض الموت لم أوص بهم الى صاحبهم فجميع ما أنا فيه بسببهم بالله ياسيدى لا تنسانى واسع فى خلاصى قال فاستيقظ سيدى من النوم فلما صلى الصبح أرسل لوصى طوغان وقص عليه المنام فقال ياسيدى أنا أحضر لك السيف كما هو وسيدى ينظر فى هذا الامر قال فلما أحضر السيف أخذه سيدى وأخرجه من جفيره وقلب الجفير

فعرف الدنانير منه فتعجب الناس من ذلك ثم أرسل سيدي خلف صاحب الذهب وسأله عن ماله عند طوغان فقال ياسيدي أربعة دنانير قال فدفعها اليه سيدي والناس ينظرون ويتعجبون من ذلك الامر قال فلما كانت الليلة الثانية ونام سيدي رأى طوغان على أحسن حالة كهيئته في الدنيا بل أحسن وأجمل صورة فسأله سيدي عن حاله فقال له بخير ياسيدي ببركتك نجاني الله مما كنت فيه فجزاك الله عني خيرا نفعتني في الدنيا والآخرة ومما وقع لسيدي رحمه الله ما أخبرني به سيدي محمود ولد سيدي قال حكت لي الوالدة رحمها الله قالت كانت امرأة جارة لنا تعرف بستيت بنت اردان تتردد الينا في حياة سيدي فجاءت الينا يوما فرأت حول سيدي جماعة من النساء الحسان لبعض الامراء والخاصكية على هيئة حسنة وجمال عظيم ولباس فاخر وروائح طيبة وهن محدقات بسيدي فلما رأت ذلك ستيت بنت اردان أنكرت على سيدي بقلبها قالت فما استتم خاطرها حتى نظر اليها سيدي وقال لها ياستيت انظري الى جماعتك وتأملي حسنهن وجمالهن ثانيا قالت فرأيت وجوههن عظاما تلوح بلا جلد ولا لحم ورؤيتهن شنيعة قالت ففزعت من ذلك وغشي علي فلما كان بعد ساعة أفقت من غشوتي وجئت الى سيدي وقبلت يده واقدامه وجعلت أبكي وأستغفر الله فقال لي سيدي والله ياستيت ما أنظر الاجانب الا كما نظرت اليهن في هذه الساعة فلا تظني الا خيرا ولولا أنك عندي عزيزة ما كان يحصل لك الا الضرر ولكن حصل خير ياستيت ان لي في بدنك علامات علامة تحت ابطك الايمن وعلامة في فخذك الايسر وعلامة في صدرك وهن كذا وكذا وجعل يصف لها العلامات التي في بدنها تحت ثيابها فقالت والله ياسيدي صدقت والله ان زوجي لم يعلم بهن الى الآن وانا أستغفر الله وأتوب اليه مما وقع مني وأخبرني سيدي أبو الغيث عن والده الشيخ العارف بالله تعالى المحقق شمس الدين بن كتيلة نفع الله به قال كان بالمحلة رجل من الفقراء وكان مبغضا لي حتى قال يوما من الايام والله ان لم يقعد ابن كتيلة وهو ساكت في أدبه والا قطعت مصارينه في بطنه قطعا قال سيدي فاخبرني بذلك رجل من المحبين قال فما وسعني الا اني جهزت حالي وسافرت الى القاهرة الى سيدي وشكوت حالي له فقال يا محمد ما يحصل الا الخير قلت فاطمأن قلبي بكلام سيدي فاقمت عنده بعض أيام فلما كان وقت سفري جئت اليه واستأذنته في السفر فقال لي يا محمد اذا توجهت الى المحلة لا تدخلها الا بالذكر وجز على مكانه وقل للذاكرين يرفعون أصواتهم بالذكر فسوف ترى من تقطع مصارينه قال سيدي فلما دخلت الى المحلة أخذنا في الذكر كما أمرنا سيدي ومررنا على ذلك الفقير وهو قاعد على بعض الدكاكين ورفعنا أصواتنا بالذكر فلما رآنا وسمع الذكر أخذ الفقير في القيء وصار يتقايأ والناس ينظرون اليه والى ما يخرج من فمه قطعا قطعا وما زال على تلك الحالة حتى وقع ميتا في ذلك اليوم وقد تقطعت مصارينه في بطنه وطاعت من خلفه حتى وقعت بين يديه وهو ينظر اليها وما ت ولم يعلم أحد ما جرى له بعد موته الا الله سبحانه وتعالى قال سيدي أبو الغيث أخبرتني والدتي رحمة الله عليها قالت كنت جالسة ذات

يوم بين يدى سيدى رحمه الله وأنا بنت ست سنين أو سبع سنين وكان معه سبحة يديرها باصابعه قالت فنظرت اليها فاعجبتني تلك السبحة ففهم منى سيدى ذلك فقال لى خذى هذه السبحة لولدك أبى الغيث الذى تلدينه من الشيخ شمس الدين بن كتيلة فقالت ياسيدى وكيف هذا قال نعم ترزقين منه ولدا او يقول قال أبى وقال جدى قال وكان الشيخ شمس الدين يقول قال لى سيدى يوما يا محمد ترزق من بنتى ولدا يكون سبب دخولك الجنة قال وأخبرنى سيدى أبو الغيث أيضا قال أخبرتنى الوالدة رحمها الله قالت احتاج سيدى رحمه الله الى جارية تخدم فى البيت فلما يسر الله بثمنها أرسل بعض أصحابه الى سوق النخاسين يشترى جارية مع بعض التجار والدلال ينادى عليها فأخذوها باذن سيدها ليعرضوها على سيدى فلما دخلت بيت سيدى لم تجد فيه شيأ من متاع الدنيا كما كانت ترى عند سيدها الاول فقالت فى نفسها كيف ينبغى لصاحب هذا البيت الذى مافيه شئ من أمر الدنيا واحتقرت بيت سيدى وصارت تحدث نفسها بمثل ذلك واذا بسيدى قد دخل الى البيت فقاموا اليه أهل البيت وقبلوا يده وصاروا قياما حتى جلس سيدى فقالوا له ياسيدى هذه الجارية جاؤا بها ليعرضوها على سيدى وظاهر حالها انها كارهة لهذا البيت وخاطرها ماهو طيب فقال لهم سيدى ما يحصل الاخير هل بقى عندكم شئ من الحمل البطيخ الذى جاء اليكم فقالوا والله ياسيدى فرغ فقال أظن أنه بقى قطعة منه قال ففتشوا فوجدوا قطعة فقالوا نعم ياسيدى بقى منه قطعة لاغير فقال ائتونى بها وبسكين وطبق من نحاس فاحضروا له طبقا كبيرا ثم تناول تلك القطعة البطيخ وجعل يشق منها بالسكين فى ذلك الطبق حتى امتلأ الطبق فقال لهم هاتوا طبقا آخر فاتوا به فجعل يشق فيه بالسكين من تلك القطعة التى معه بطيخا له لب لونه غير لب الاول فقال هاتوا طبقا آخر فاحضروا له طبقا آخر فجعل يشق فى ذلك الطبق الثالث حتى اذهل عقول الحاضرين وصاروا يتعجبون ويبكون حتى ارتفعت أصواتهم بالبكاء وبكت معهم تلك الجارية وهرولت نحو سيدى مسرعة وهى فى غير وعيها حتى انكبت على قدمى سيدى تقبلهما وتبكى قال فوضع سيدى يده اليمنى على ظهرها واليسرى على صدرها حتى سكن مابها وهى تقول ياسيدى والله أخدم تراب هذا البيت ورؤية سيدى تكفينى قال فقام سيدى وظهر الى الزاوية وارسلوا ثمنها الى سيدى فخرج سيدها وأقامت عندى مدة طويلة ثم توفت رحمة الله عليها وشاهدت من سيدى أحوالا عجيبة لاتحصى قلت وأخبرنى الشيخ شمس الدين المعروف بالشافعى وهو مشهور بالعدالة والتقوى وكان من خواص أصحاب سيدنا الشيخ شمس الدين بن كتيلة قال كنا بصحبة سيدى المشار اليه ذات ليلة فى الروضة واذا بسيدى الكبير قد ظهر فطلب الحاج على الغلام تابعه وكان رجلا مباركا رحمه الله وعفى عنه فلما حضر قال له سيدى شد الفرس فقال ياسيدى الفرس مشدودة وكان الحاج على شدها فى تلك الساعة من هذه الليلة من دون العادة قال فلما قدم الفرس لسيدى وركب أشار الى الحاج على أن يتبعه قال فتبعه وحده وانقطعنا

مع الفقراء وكل منا يقول ياترى الى أين يذهب سيدى قال فلما كان بعد ساعة أوساعتين اذا بسيدى قد أقبل وبصحبته مع الحاج على الغلام نعجة من الغنم الضأن قال فدخل سيدى الى البيت ووضع الحاج على النعجة فى الدوار قال فسألنا الحاج على عن ذلك فقال هذه النعجة لها ستة أشهر من حين خرجت من الدوار ونحن نقول ياترى من أخذ النعجة فلما كان فى هذه الليلة دعانى سيدى فخرجت بصحبته وأنا أمشى خلفه فجعل يسلك شوارع الروضة حتى وقف على باب دار فقال لى الحرق هذا الباب قال فطرقته فخرج صاحب الدار فلما رأى سيدى تحير فى أمره وبهت فقال له سيدى أدخل هات النعجة التى لها ستة أشهر وهى عندك قال فرجع الى بيته وجاء بها حتى وضعها بين يدى سيدى فقال لى سيدى خذها ياحاج على قال فأخذتها ورجعت بها مع سيدى ولم أعلم من يكون هذا الرجل ولم يعلم سيدى أحدا بذلك الرجل وستر عليه قلت وأخبرنى الفقير الى الله تعالى الشيخ نور الدين ابن شعيب وكان من أصحاب سيدى محمد الغمرى قال أخبرنى القاضى شمس الدين السخاوى المالكى الذى تولى قضاء المدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وكان من أصحاب سيدى محمد الحنفى قال كانت علينا فلاحة وكنت مجاورا بزاوية سيدى رحمة الله عليه فرفع فينا الفلاحون من أهل محلة القصب عند الامير فطلبونى بسبب الفلاحة وضيقوا على حتى صرت فى أمر عظيم قال فاخبرت سيدى بما وقع لى من الضيق والاهانة وان الامير طلبنى ليعملنى الفلاحة ويرسلنى الى البلد فى الترسيم ويلزمنى بالفلاحة وقد كان والدى قد توفى الى رحمة الله تعالى فقال لى سيدى قد قضيت حاجتك وكفاك الله شر الامير قال ففى ذلك اليوم أخبرنى واحد من أصحابى أن الامير قد ركب فرسا حرونا وساقه فما زال الفرس يعدو فى شوطه حتى وصل الى منزل فيه خوخة فدخل الفرس منها بقوة فانكسر ظهر الامير ووقع عن الفرس ميتا وتولى الاقطاع غيره فى ذلك اليوم وهو رجل من أصحاب سيدى قال فركب الامير الثانى وجاء الى سيدى وأخبره أن السلطان أنعم عليه باقطاع ذلك الامير وهو فرح مسرور فقال سيدى للفقراء اطلبوا لى شمس الدين القصبى قال فحضر بين يديه فقال سيدى للامير ان هذا من أولادنا الفقراء وقد حصل له مع الامير الذى سبق ماهو كذا وكذا وقص عليه القصة ففى الوقت كتب الامير منشورا لسائر الحكام ان هذا الفقير من جملة مجاورى الحنفى بزاويته ولا يتعرض له أحد وهو معتوق من الفلاحة ودفعه الى بحضور سيدى فرحم الله سيدى ونفع به آمين ومما وقع لسيدى مع رجل يعرف بابى بكر العجان وكان يشار اليه بالمشيخة وكانت له زاوية فى حارة الاتراك قريبة من زاوية سيدى وكان ينتمى الى السطوحية وكان رجل من بعض الاتراك وقف بيتا على زاوية سيدى فبلغ الشيخ العجان ذلك فمضى الى منزل الرجل التركى وأرسل لزوجته وقال لها أنا ما كنت أحق من الشيخ الحنفى وانى رجل فقير ومحتاج وليس هو محتاجا الى ذلك وتكلم لها فيه بكل كريهة فقالت له لاتحمل هما مكتوب الوقف عندى وأنا

أعمل لك ماتريد وكانت زوجة الواقف تميل الى الشيخ أبي بكر العجان فلما أن توفي زوجها
الجندي الواقف للمكان المذكور أخفت مكتوب الواقف وذكرت أن المكان ملك لها
فارسلت خلف الشهود ووقفت المكان على الشيخ أبي بكر العجان وأعطته مكتوب وقفها
الذي جددته والحال ان زوجها الجندي المتوفى كان في حال حياته كتب للمكان الذي وقفه
نسختين نسخة أعطاها السيدي محمد الحنفي المشار اليه ونسخة عنده وزوجته لم تعلم بالنسخة
الثانية فوضع العجان يده على المكان المذكور مدة واستعمله باسم زاوية العجان فبلغ سيدي
ذلك فسكت فتكلم في ذلك بعض أصحاب سيدي غيرة على الزاوية فبلغ العجان ذلك فمضى الى
بعض الامراء وتظلم لهم وشكى لهم من أصحاب سيدي فاتفقوا معه ان يطلعوا الى السلطان
ويعلموه بذلك الامر ويستأذنوه في هدم زاويته عليه قالوا ما ننزل من عند السلطان حتى
يأذن في هدم الزاوية قال فبلغ ذلك الخبر لسيدي فقال سيدي رحمه الله ان قدروا يسألون
السلطان في ذلك الامر ما أعود أجلس على سجادة الفقراء فلما كان من الغد طلعوا الى
السلطان فلما انفض الموكب تقدموا الى السلطان وقالوا يا مولانا السلطان ان الشيخ
الحنفي قال فالتفت السلطان اليهم مغضبا وقال لهم ماله قال فسكتوا فعرفوا ان في وجه
السلطان الغيظ والغضب قال فتلجلجوا في الجواب ولم يقدروا على الكلام قال ثم ان
السلطان أمر بامساكهم فمسكوا بين يديه فامر بهم الى الاسكندرية فنزلوا بهم في الوقت الى
البحر وسجنوهم في الجب وأصبحت ديارهم قاعا صفصفا وأخبروا سيدي بذلك فقال لا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم مضت مدة طويلة ولم يرسل سيدي الى السلطان في ذلك ولم
يراجعه في الكلام والشيخ المعروف بالعجان يستولي أجرة البيت مدة سنين وكان ذلك
البيت بجوار زاوية سيدي وكان فيه جندي من مماليك السلطان ساكنا بالاجرة وهو
يدفع الاجرة الى العجان كل ذلك وسيدي ساكت ويقول ان كان الموضع موعودا بشئ
لابد منه ثم ان المملوك الذي كان ساكنا في البيت الموقوف صار يشوش على فقراء الزاوية
ويرمي عليهم الكلام فحصل لهم بذلك غاية الحصر والهم وكان بالعادة ان الاوقاف تكون
عند دوادار السلطان وكان الدوادار في ذلك الوقت على زمن الاشرف برسباي رحمه الله تعالى
سودون السودوني وكان الواقف لما وقف الاول دفعه الى سودون المذكور فاطلع عليه
ورده اليه فدفعه لزوجته فلما حصل التنازع بين جماعة سيدي وبين العجان توجه الى
السلطان الدوادار ورمى نفسه عليه وأرسل يساعده فارسل بطلب مكتوب الوقف من
المرأة فراحت اليه ورفعت المكتوبين الذي يشهد لسيدي والذي يشهد للشيخ العجان
فاخفى سودون السودوني مكتوب الوقف الاول الذي وقفه على زاوية سيدي وأظهر
مكتوب الوقف الثاني الذي يشهد للعجان فسأل السلطان الامير سودون عن الوقف الذي
عنده للعجان فقال له عندي يا مولانا السلطان فقال له السلطان والوقف الذي على زاوية
سيدي قال ما هو عندي ما عندي الا وقف العجان فقال له السلطان اذهب وائتني به حتى

أنظر فيه قال فرجع الدوادار الى بيته فاخذ الوقفين وقرأهما ثم أخذ أحدهما ووضع احدهما مع الاوراق التى عنده ووضع الآخر فى جيبه وطلع للسلطان فكان الذى وضعه فى جيبه لامر يريده الله هو وقف سيدى والذى خلفه فى البيت هو وقف العجان فلما وقف الدوادار بين يدى السلطان قال له أين الوقف الذى طلبته منك قال يامولانا السلطان حاضر ثم أخرجه من جيبه وناوله للسلطان فقرده السلطان ونظر اليه وتأمله فوجده وقف سيدى قال فالتفت السلطان الى الدوادار وقال له ياقليل الدين ياقليل التقوى أنت تقول لى وقف سيدى ماهو عندك وهو هذا أنتم ماترجعون عن عنادكم ولا عن طغيانكم ياكاذب ياخنازير والله لولا انك عزيز لاحقتك باصحابك الذين هم فى السجن انزل فى ساعتك هذه واكشف رأسك لسيدى واستغفر فى حقه وأعطه هذا المكتوب أنت ياسودون تعرف الحق وتغطى عليه أنت ماتعرف تاريخ هذا الوقف سابقا على تاريخ العجان انزل لابارك الله فيكم قال فنزل الدوادار خائبا خجلا فى غاية مايكون من الفضيحة من السلطان ومن سيدى فنزل الى بيته أولا وجعل يتروى فى نفسه والحياء من سيدى يمنعه أن يمضى اليه وتحير فى نفسه وأمره قال فبلغ سيدى ماوقع للدوادار مع السلطان وكان قد خرج الدوادار من منزله الى بيت سيدى وتكلم معه فى قضية العجان وقد صار يحاجج سيدى فى ذلك قال العبد جامع هذا الكتاب وكنت حاضرا ذلك المجلس ورأيت سودون السودونى وهو شيخ أشقر صاحب لمعة عظيمة أحمر الوجه ورأيت الاتراك الذين كانوا حول سيدى وفى خدمته يرفعون أصواتهم على الدوادار بالكلام ولم يرد عليهم جوابا وقد كانت ساعة صعبة وسيدى يشير الى الاتراك بيده حتى يسكتهم ويرجعوا عن الدوادار فوالله العظيم لقد رأيته يقول فى تلك الساعة لناواحد وهو واحد لايدخل أحد بينى وبينه قبل ان يسكت الاتراك عن الدوادار ثم نزل الدوادار من القلعة وهو يتروى فى نفسه هل يمضى الى سيدى بالمكتوب أم لا وهو متحير فى أمره وكان سيدى بلغه ماوقع بينه وبين السلطان وانه أمره ان يمضى بمكتوب الوقف الى سيدى فالتفت سيدى الى سيدى أبى العباس وقال له قم فى ساعتك وامض الى الدوادار تجده على دكته فى الدوار وتجد الوقف فى يده وهو ينظر فيه فقل له السلام عليكم ثم اقرأ سورة ألم تركيف الى أن تصل الى قوله ترميهم بحجارة فكررها فى نفسك حتى ترتعش يده ويقع الوقف من يده فأسرع فى أخذه من على الارض واتنى به مسرعا ولاتخف منه وكن آمنا على نفسك فان أحدا لايتبعك من عنده قال فذهب سيدى أبو العباس مسرعا الى الدوادار والوقف فى يده وهو ينظر اليه ففعل سيدى أبو العباس ما أمره به سيدى وصار يكرر قوله تعالى ترميهم حتى ارتعشت يد الامير الدوادار فوقع الوقف من يده على الارض قلت فأسرع سيدى أبو العباس وأخذ الوقف وخرج به مسرعا حتى وصل به الى سيدى قال فلحقه الدوادار على الفور حتى دخل الى زاوية سيدى مسرعا فوجد سيدى قد سبقه الى دخول الخلوة والدوادار فى أمر عظيم وهم كبير

بسبب ارتعاش يده وقصد ان يكشف رأسه ويستغفر الله في حق سيدي فوقف على باب الخلوة ينتظر خروج سيدي مدة فلم يخرج فرجع الدوادار الى بيته وهو في كرب عظيم وما زال على ذلك كل يوم الى أن مات قلت وأخبرنا سيدي محمود قال حدثني سيدي عبد الرحمن السويفي قال كان سيدي في ابتداء أمره اذا احتاج الى شئ من النفقة اقترضه من أصحاب أهل الدنيا على ذمة الله تعالى فاذا حصل له شئ من الفتوحات دفع الى كل ذي حق حقه قال فضاق عليه الامر في بعض الاوقات وكثر عليه الدين حتى صار عليه نحو الستين ألف درهم قال فاستحى سيدي من الناس غاية الحياء واستكثر الناس ما على سيدي من الدين قال فعند ذلك طلب سيدي جميع أصحاب الدين فحضروا عنده وكان عنده في ذلك الوقت جماعة من القضاة والاتراك وبعض الامراء فقال بعضهم لبعض مال هؤلاء الجماعة قد حضروا عند سيدي فاخبروا بخبرهم وان لهم على سيدي ديونا كثيرة قال فتشاوروا فيما بينهم واتفقوا على انهم يتحاصون ذلك القدر الذي على سيدي ويدفعونه الى أصحاب الدين ويعطون كل ذي حق حقه فبينما هم على الاتفاق اذا برجل قد دخل الى الزاوية وهو ذو هيبة عظيمة ووقار وعليه ثياب فاخرة وعليه طيلسان أبيض ومعه كيس ملآن من المال فسلم على سيدي وعلى الناس وجلس بين يدي سيدي ثم قال له ياسيدي كل من له عليك دين فليتقدم يأخذ دينه ثم طلب ميزانا فاحضروا للسيدي ميزانا وصار وايتقدمون واحدا بعد واحد وصار ذلك الرجل يزن لكل واحد منهم دينه ويعطيه له ونحن ننظر ذلك حتى فرغ جميع ما في الكيس وما بقي لاحد على سيدي شئ من المال ثم استأذن سيدي وخرج من بين يديه ونحن ننظر اليه حتى خرج من باب الزاوية ولا نعلم من أين جاء ولا من أي موضع ذهب قال وتعجب الناس من ذلك عجبا عظيما قلت فقال سيدي أبو العباس لسيدي من ذلك ياسيدي فقال هذا صير في القدرة أرسله الله تعالى يوفي عنا ديننا قال فنكسنا رؤسنا عند ذلك وتجنا وغبنا عن حسنا فلما استيقظنا من غشوتنا وجدنا سيدي قام من المجلس ودخل الخلوة ولم نعلم به رضي الله عنه وأخبرني سيدي بركات ولد سيدي محمود ولد سيدي الكبير عن سيدي عمر قال كان لسيدي عادة في كل سنة يحيي ليلة النصف من شعبان ويذبح فيها ذبائح كثيرة ويطبخ فيها طبيخا وطعاما فاخرا ويكثر من ذلك قال فدعاني سيدي يوما وقال لي ياعمر قد هجمت علينا الشعبانية ولم نستعد لها والوقت ازف ولم يكن معنا في هذا الوقت غير ما في هذا الكيس ثم أدخل يده في جيبه وأخرج كيسا مطويا ودفعه الى وقال أنظر ما فيه ففتحته فاذا ما فيه بعض فضة فقال لي ياعمر والله هذا المبلغ عسى أن يكفي حباش المطبخ قال فقومت جميع ما طلبه من حباش المطبخ فاذا هو بقدر ما في الكيس ثم طويته ولفيت عليه خيطه ودفعته الى سيدي فوضعه في جيبه ثم قال لي ايش تطلب من العسل فقلت كذا وكذا ثم قال لي فاثمن ذلك فقلت كذا وكذا قال فاخرج الكيس من جيبه وقال أنظر ما فيه فاذا هو مثل ما ربطته بيدي ففتحته فاخذت ما فيه من الفضة فاذا هو المبلغ الذي

عينته ثمن العسل ثم ربطت الكيس ولفيت عليه خيطه وناولته لسيدى فأخذه و وضعه فى جيبه ثم قال ونطلب قرعا وقلقاسا قلت نعم ياسيدى قال وماثمن ذلك قلت كذا وكذا قال فأخرج ذلك الكيس من جيبه وقال لى انظر مافيه قال ففتحته وأخذت مافيه فاذاهو بقدر الثمن الذى ذكرته ثم طويت الكيس وناولته لسيدى فاخذه و وضعه فى جيبه ثم قال بقى علينا حاجة كثيرة نطلب بقرة وأربع خرفان فقال بكم تساوى ياعمر قلت ياسيدى أما البقرة فتكون بثمانية اشرفيات وأما الخرفان فاربعة الجملة اثناعشر دينارا قال فوضع يده فى جيبه وأخرج منه الكيس وقال لى أنظر مافيه فاخرجت مافيه فاذاهو اثناعشر دينار الاتزيد ولاتنقص قال وكانت هذه القصة فى زمن الاشرف الظاهر جقمق فان الملك الاشرف برسباى رحمه الله كان يتفقد الزاوية فى المولد وفى الشعبانية بالبقر والغنم والدراهم وغير ذلك ثم قال سيدى عمر والله العظيم كل ماذكرته جرى ووقع بحضورى وأنا أنظر وأتعجب وانا كلما آخذ مافى الكيس أطويه وألف عليه بالخيط فاذا دفعته الى سيدى آخذه بالربطة التى ربطته بها فكلما احتجنا الى شئ أخرج ذلك الكيس من جيبه وأخذنا منه حتى اكتفى سيدى بما يصرفه على الشعبانية وأغناه الله عن الناس وأخبرنا سيدى أبو العباس قال أصابنى صداع فى رأسى حتى طردعنى النوم فلما أصبحت شكوت ذلك الى سيدى فقال لى اكشف رأسك قال فكشفت رأسى فوضع يده على رأسى ومسح رأسى وقال البس عمامتك فوضعتها على رأسى فوالله العظيم الذى لااله الاهو ماعرض لى من ذلك الوقت صداع الى الآن وأخبرنا سيدى محمود ولد سيدى الكبير قال أخبرتنى الوالدة رحمها الله قالت لدغت بعقرب فى حياة سيدى فحصل لى من ذلك ألم شديد عظيم وحرقان وجعلت أصيح من شدة الالم واذا بسيدى قد دخل الى وقال ماالخبر فاخبروه بخبرى قالت وكنت قد لدغت فى ابهام رجلى اليمنى قالت فتفل سيدى بريقه على موضع اللدغة فوالله ما كأنى لدغت ولم أجد بعد ذلك ألما ببركة سيدى رحمه الله وأخبرنى الشيخ عبد الرحمن القمنى رحمه الله قال كانت لى زوجة مباركة تعرف بام أبى الفتح فدخلت الى بيت سيدى يومامن الايام قالت فرأيت فى يد سيدى كيسا أبيض على هيئة خريطة قالت فلما تقدمت اليه وقبلت يده قال لى ياأم أبى الفتح خذى هذا الكيس وادخريه عندك للفتوح الذى يأتى من القلعة اليك قالت فاخذته من يد سيدى بعد ان قبلتها وقلت فى نفسى ياترى ماهذا الفتوح الذى يأتينى من القلعة وليس لى ولالزوجى تعلق بالقلعة فلما رجعت الى بيتى قلت لزوجى الشيخ عبد الرحمن اتفق لى مع سيدى كذا وكذا فصار الآخر يقول كقولى ويتعجب ويقول كأن سيدى اطلع على أمر مغيب عنا فامتثلى ماأمرك به سيدى فلعله يكون خيرا ان شاء الله تعالى فلما كان بعد مدة ماتت امرأة لبعض الاتراك الخاصكية وذلك أنها كانت حاملا فلما أخذها الطلق وضعت بنتا وماتت فى نفاسها بالخلاص فشق ذلك على زوجها مشقة عظيمة وحمل همها بسبب ذلك وصار يقول من يربى هذه المسكينة وهو

متحير فى أمره قالت أم أبى الفتح وكان معى صبى أرضعه فقالت له جماعته وأصحابه من الاتراك و بعض من النساء ان فى مصر امرأة تسمى أم أبى الفتح زوجة الشيخ عبد الرحمن القمنى مرضعة ولها ولد صغير ترضعه قالت أم أبى الفتح فجاءتنى جماعة من النساء وسألتنى فى ذلك وقلت لى يا أم أبى الفتح اقبلى هذه البنية اليتيمة وأرضعيها ولا بد لك من فتوح كثير ان شاء الله تعالى قالت فاخذتها وأرضعتها وألفتنى وألفتها من فضل الله تعالى وصار الخاصكى يتفقدنى بالمأكل والمشرب وغير ذلك ويعطينى كلما فرغ الشهر أشرفيين فكنت كلما أعطانى الاشرفيين أجعلهما فى ذلك الكيس الذى أعطاه لى سيدى فبعد قليل مات الخاصكى فطلع بعض اخوانه الى السلطان واخبره بموته وان له بنتا صغيرة رضيعة يتيمة ولها مرضعة قد رتب لها أشرفيين كل شهر قال فرسم السلطان بان الاشرفيين فى كل شهر يكونان للمرضعة وأكد فى ذلك قالت أم أبى الفتح فكنت كلما فرغ الشهر ووصل الى المبلغ أجعله فى ذلك الكيس حتى امتلأ ذهبا وفضة فقال لى زوجى الشيخ تقى الدين عبد الرحمن القمنى انظرى يا أم أبى الفتح ما أشار به سيدى وما أعلمك به قبل موته وكيف جاءنا الفتوح من القلعة فرحم الله سيدى ونفع به ومن بركات سيدى رضى الله عنه ان شابا من مصر العتيقة يعرف بابراهيم المعرف وكان صاحب سطوة فى حال شبوبيته وكانت بركة الخادمة فى خدمة بيت سيدى تريد ان تقول لسيدى عليه وتعلمه باحواله عسى أن يلاحظه وينصلح حاله ويرجع عما هو فيه لانه كان ولد ابنتها وقصدها له كل خير قالت فدخلت يوما الى سيدى فوجدته نائما فتقربت منه حتى صرت تحت اقدامه ثم جعلت فى تحت اقدام سيدى وجعلت أوشوش اقدامه قالت ففتح سيدى عينيه فرآنى تحت اقدامه فقال لى يا بركة قبلت شفاعتك فى ابراهيم قالت فصرخت صرخة كادت نفسى ان تخرج فلما رجع الى حالى قال لى يا بركة اذا جئت الينا غداة غد فاصحبى ابراهيم معك فقلت حبا وكرامة فلما كان من الغد جاءت به معها وقالت له اذهب الى سيدى وقبل قدمه واجلس تحت اقدامه قال ففعل ذلك فاقبل سيدى عليه وجعل يحدثه بسرائر أمره بالرجوع الى مصر العتيقة وقال له أكثر من خدمة الشريف النعمانى فانه ليس له ولد وأرجو من الله ان تكون خليفته من بعده قلت فرجع ابراهيم المعرف من وقته الى مصر العتيقة وجعل يخدم الشريف النعمانى بتلطف حتى اشتهر أمره وصلح حاله وعرف بين الناس بالخير والصلاح وصار يدعى بابن النعمانى فلما انتقل الشريف النعمانى بالوفاة الى رحمة الله تعالى جلس ابراهيم فى مجلسه المشهور بالنعمانية وورث المقام بها بعده وصار له فقراء ومريدون واشتهر بالمشيخة ونسب الى النعمانى وذريته الى الآن قلت والمشهور عن سيدى ان زوجته وابنته وأخته وجاريته اتفقن على السفر صحبة الحاج مع صهر سيدى أخى زوجته قال فاستأذنوا سيدى فى ذلك فاذن لهم وأوصاهم بحمل الاذى وكف الاذى والتصدق على الفقراء وبسط اليد بالكرم وان لا يردوا سائلا ولا يمنعوا عطشانا من الماء وأوصاهم بالمحافظة على الصلوات الخمس وغير ذلك من أفعال الخيرات فحفظوا وصيته وعملوا

به اذهابا وايابا فاتفق انهم بعد التوجه كانوا على ساحل البحر وكانت الجارية حاملة بنت سيدى على كتفها وكانت بقرب البحر قالت فجاءت فى تلك الساعة موجة عظيمة فصدمت البر والجارية جالسة على جانب البحر والبنت على كتفها فوصل الماء اليهن وابتلت الجارية ووصل بعض الماء الى البنت الصغيرة قالوا فسمعنا صيحة عظيمة وقائلا يقول الله أكبر الى الصغيرة ورأينا ذراع سيدى ممدودا قد حال بينها وبين الموجة وجاءت موجة أخرى أعظم من الاولى وذراع سيدى حائل بين الموجة وبين الجارية ثم اختفى ذلك وكان سيدى فى ذلك الوقت فى خلوته بمصر فرأى ذلك من كان حاضرا معه وقد أخبرنا بعض أتباعه بذلك بعد مجيئنا من السفر قال فسئل سيدى عن ذلك فقص عليهم القصة وقال اكتبوا تاريخ هذا اليوم وهذه الساعة فكتبوا ذلك فلما ان جاء الحج ووصلوا الى البيت الذى لسيدى واستقر بهم المجلس حكوا ما وقع لهم وما شاهدوه وما سمعوه من قول سيدى الله أكبر فعند ذلك أخرجوا التاريخ وقرؤه فاذا هو موافق لذلك اليوم وتلك الساعة قال وكان سيدى يخبر بما وقع له من الكرامات على عادة السلف من الاولياء المتمكنين ويستدلون على ذلك بقوله سبحانه وتعالى وأما بنعمة ربك فحدث قلت وقد سمعت سيدى محمودا يقول كان سيدى عهد الى والدتى حين خروجها الى السفر كلمات تقولهن كل ليلة تحفظ نفسها وتحفظ بها الحاج قال لها اياك ان تغفلى عنها فما يحصل للحاج خير واجعلها فى بالك واتخذيها حرزا فقالت له السمع والطاعة ياسيدى قالت فلم أزل أقولهن كل ليلة والحاج فى أمان بقراءتى له تلك الكلمات فلما كنا فى الرجعة وقربنا من العقبة غلب على النوم تلك الليلة فنمت ولم أقل الكلمات لامر قدره الله تعالى فوالله ما استيقظت من نومى الاعلى عجيج الحاج جميعه وهو فى أمر عظيم ووجل وخوف وقلت ما الخبر فقالوا ان العرب أخذوا من الحاج كذا وكذا جمالا محملة وحصل من العرب ضرب وطعن فى الحج وغلبت العرب على الحج ومضوا بالاجمال فقلت انا لله وانا اليه راجعون قال فلما هدأ الحج قرأت تلك الكلمات ونمت فرأيت رجلا ذا هيبة وجمال وعليه هيبة ووقار وهو يقول لى قد غفلت عن الكلمات التى علمها لك صاحب الوقت حتى حصل للحاج ما حصل فقلت له ياسيدى من تكون انت قال أبو بكر الصديق قالت فاستيقظت وقد ازددت ندما على ندمى ومازلت أحمل هم ذلك حتى دخلت الى مصر وقد اجتمعت بسيدى فقال لى يازهرة ألم أعهد اليك وأوصيك ان لا تقطعى تلك الكلمات عند نومك فقلت ياسيدى وكان أمر الله قدرا مقدورا فقلت ياسيدى ان أبا بكر الصديق جاءنى من دون الصحابة فقال ان لنا نسبا منه يعنى ننتسب اليه قالت وكان سيدى قال لى قبل ذلك انه ينتسب الى أبى بكر الصديق وله عادة يغيثنا فى جميع النوائب وعن سيدى محمود أيضا قال حدثتنى الوالدة رحمها الله وذلك بعد وفاة سيدى رحمه الله قالت كنت يوما فى البيت انتظر دخول سيدى واذا به قد دخل على فقمت اليه وقبلت يده فلما جلس قال لى يافلانة ان فلانا وفلانا قد عزما على ان أكون عند كل منهما فى تلك الليلة وقد وعدتهما بذلك وكانت

تلك الليلة ليلتي مع سيدي فقلت له والله ياسيدي الليلة ليلتي ولا أتركها الغيري أبدا فقال لي ما يحصل الا الخير قالت فبات سيدي عندي تلك الليلة الى أن خرج لصلاة الصبح فلما فرغ من السبحة كنت واقفة عند باب الخلوة وقد انصرف الناس وتأخر منهم رجلان فقال أحدهما لسيدي والله قد حصل لي بركة سيدي بسبب بياته عندنا فقال الآخر والله ياسيدي وأنا كذلك وسيدي ساكت يسمع كل واحد منهما ينظر الى صاحبه ويتعجب من كلامه فلما دخل سيدي قبلت يده ووقفت اليه وقلت له ما سمعته من كلام الرجلين ياسيدي أنت الليلة ما فارقتني فقال لي يافلانة اذا كان العبد مخلصا الى الله تعالى خلق الله ملائكة على شكله يصدقون مقالته قال وحكت لنا بركة الخادمة التي تقدم ذكرها قالت رأيت سيدي يوما في بيته وقد وضعوا بين يديه صحنا فيه باذنجان مشوي وبعض خبز وهو يأكل وحوله جماعة من النساء وهن ذات حسن وجمال عليهن ثياب فاخرة ولهن روائح عطرة وهن من نساء الامراء والخاصية وغيرهم من أبناء الدنيا قالت فلما نظرت الى سيدي يأكل وهذه النسوة حوله خطر ببالي ما يخطر ببال الناس وقلت في نفسي والله ياسيدي أنت في هذه الساعة في زهر بستان والله ان السلطان ما هو في هذه الحالة قال فوالله ما تم خاطري حتى ناداني سيدي وقال لي يابركة فقلت نعم ياسيدي فقال تعالى فاسرعت اليه ووقفت بين يديه فقال لي اجلسي فجلست فقال لي يابركة أنظري الى وجوه تلك الجماعة اللاتي حولي من النساء قالت فنظرت اليهن فاذا هن صفر الوجوه عمش العيون ولعابهن سائل من أفواههن على صدورهن ومناخرهن تسيل قيحا ولهن رائحة كريهة كأنهن والله قد خرجن من القبور قال فلما نظرت اليهن استقذرتهن وانكرتهن فالتفت الى سيدي فقلت أف ياسيدي فقال والله يابركة ما انظر اليهن ولا الى غيرهن الا على هذه الهيئة فاحسني ظنك بالفقراء والا يخف عليك قالت فقلت أنا ياسيدي أستغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه اللهم اني تبت من حقك ياسيدي الى الله تعالى ومن كراماته ما أخبر به سيدي الشيخ الامام العالم العلامة المحقق العارف بالله تعالى شمس الدين بن كتيلة قال كنت يوما جالسا في ميعاد سيدي قريبا منه فلما ختم المجلس افتتح الواعظ يعني المادح وأنشد شيأ من كلام سيدي عمر بن الفارض قال فجعلت أتواجد على كلامه وأنا قاعد وأحرك رأسي فحانت مني التفاتة فرأيت سيدي ينظر الي قال فأطرقت برأسي الى الارض وسرى عني ما كنت أجده من التواجد فغلبني النوم فنمت وأنا قاعد والمنشد ينشد فرأيت في نومي سيدي عمر بن الفارض واقفا على باب زاوية سيدي وفي فمه قصبة من الغاب الفارسي طرفها في فمه والطرف الآخر تحت عتبة زاوية سيدي كأنه يشرب شيأ من تحت العتبة قال ففتحت عيني وأنا متعجب مما رأيت فالتفت الى سيدي وقال رأيت ياشمس الدين بعينك قال فكشفت رأسي وقبلت ركبة سيدي واستغفرت الله تعالى وذهب عني ما كنت واجده قلت ومن المشهور عن سيدي رضي الله عنه أنه كان يقول لو كان عمر بن

الفارض موجودا في زماننا ما وسعه الا الوقوف ببابنا قال ومن كراماته رضي الله عنه ما أخبرني به الفقيه شهاب الدين المعروف بابن النجار قال أخبرني الشيخ الصالح نور الدين بن علي المعروف بابن عراق الهيثمي أحد أصحاب سيدي قال لما نزل سيدي الى الغربية ومعه جماعة كثيرة طلع الى المحلة الكبرى وقد كان ذلك في زمان سيدي الشيخ الصالح الزاهد العابد أبي بكر الطريني قال وكنت بصحبة سيدي وفي خدمته وكان الحاج نور الدين بن النوساني ذلك الوقت متدركا بصندفا فلما سمع بسيدي ركب اليه وعزم عليه وعلى جميع من معه قال فاجاب سيدي دعوته وركب معه الى صندفا وأقام عنده يومين في الضيافة وسيدي أبو بكر الطريني يتردد اليه وكذا قاضي القضاة شهاب الدين العجمي وغيرهما من الاعيان المشهورين قال وقد بذل الحاج نور الدين بن النوساني المجهود في الضيافة وأكثر من الذبائح والاطعمة والحلوى قال وما دخل على سيدي الا وهو مشدود الوسط من فرحه بسيدي وبمن كان معه قال الشيخ نور الدين بن عراق وكانوا اذا مدوا السماط بين يدي سيدي يأكل الفقراء وغيرهم وسيدي جالس على رأس السماط ولم يمد يده الى اللقمة الواحدة والحاج نور الدين النوساني ينظر اليه ولم يمكنه أن يعترض عليه لم يستطع ان يكلمه في شئ من ذلك قال وكان في هذه الضيافة جماعة من أهل بلقينا في خدمة سيدي وهم منتظرون له وقصدهم ضيافته وان يركب معهم الى بلادهم فاجابهم سيدي على ذلك فركب معهم الى بلدهم فاقام عندهم يوما وليلة ولم يأكل عندهم شيأ قال الشيخ نور الدين وكنت قد تجاسرت على سيدي في الكلام فتقدمت اليه بعد ما ركب من محلة أبي الهيثم فقلت له ياسيدي رأيتك لم تأكل شيأ منذ أربعة أيام وقد تعجبت من ذلك فقال لي والله ياولدي كان بنا وارد فكرهنا ان ندنسه بشئ من هذا الطعام الفاني قلت ومما أخبرنا به أيضا الفقيه شهاب الدين ابن النجار قال أخبرتني زوجة الشيخ نور الدين بن عراق الهيثمي انه كان يحضر ميعاد سيدي يوم الثلاثاء بالقاهرة وهو في منزله بمحلة أبي الهيثم قالت وذلك اني دخلت عليه يوما وهو بمعبده الذي يتعبد فيه فلم أجده فيه وكان ذلك عقب صلاة الصبح يوم الثلاثاء قالت فالتفت يمينا وشمالا فلم أره فتأملت موضع جلوسه فوجدت جبته السوداء مطروحة في ذلك الموضع فاخذتها ورفعتها بيدي عن الارض ووضعتها في مكانها فاندهل عقلي وأسرعت في الخروج ووقفت على باب المعبد ساعة طويلة وأنا متفكرة في أمره واذا به قد تنحنح وقال لي يافلانه فقلت له نعم فقال لك في صحبتنا سنون كثيرة وأنت قائمة بحقي وبخدمتي وما رأيت منك الاخيرا فاكتمي أمري فانه ما بقي لنا من العمر الا القليل ويقع الفراق بيننا فقلت له ياسيدي وما مقدار ما بقي فقال مقدار شهر وأريد من فضلك لا تعلمي أحدا بحالي واكتمي ما رأيت فقلت له بالله عليك ياسيدي أين كنت فقال اما تعلمين ان هذا اليوم يوم ميعاد الاستاذ سيدي محمد الحنفي أتظني اني انقطع عن ميعاد سيدي أبدا سواء كنت قريبا منه أو بعيدا قالت فوالله ما أقام بعدها غير شهر واحد وانتقل الى رحمة الله تعالى وأخبرني

النقيب زيادة خادم زاوية سيدى ان زوجته كانت مرضت مرضا شديدا أشرفت فيه على الهلاك وكانت ساكنة فى طبقة على الزاوية والناس يدخلون عليها وكانوا يسمعونها تضج من شدة الالم وتقول ياسيدى أحمد يابدوى خاطرك معى وصارت ملازمة لهذا الكلام مدة طويلة فلما كان بعد ذلك دخلوا عليها فوجدوها قد طابت وزال عنها ذلك الالم وكانوا فى ذلك اليوم قد فارقوها بعد صلاة العشاء وقطعوا العشم منها وهى لم ترد لكل من ناداها جوابا وقد أيقنوا بموتها فقالوا لها يافلانة كنت الليلة قد أشرفت على الموت وماقلنا انك تصبحين فى الدنيا قلت ان حكايتى عجيبة فقالوا وماهى قالت بينما أنا فى هذه الليلة نائمة اذ رأيت رجلين قد دخلا على وقالا لى قومى كلمى فقلت أكلم من فقالا رجلا أرسلنا خلفك فقلت لهما والله ماأقدر أمشى من شدة مرضى فقالا قومى نحن نعينك قالت فاخذانى ومضيا بى الى المدرسة المعروفة بالمؤيدية فقالا ادخلى فدخلت وأنا بينهما أتوكأ عليهما حتى أقعدانى بين يدى رجل جالس وعلى وجهه لثامان وعليه جبة عظيمة واسعة الاكمام وهو عريض الصدر أحمر الوجه أحمر العينين فقال لى كم تنادينا وتستغيثين بنا أنت ماتعلمين انك فى حمى رجل من الرجال الكبار المتمكنين وأنت تستغيثين بنا فى موضعه وفى حماه أنت تظنين اننا نتعرض عليه فى موضعه ومحله ونهجم عليه اماتعلمين ان الادب بين الفقراء مطلوب فلاتعودى تتعبين فى هذا القول بل قولى أغثنى ياسيدى محمد ياحنفى خاطرك معى فاستيقظت من نومى فوالله كأنه ما كان بى مرض وقد شفانى الله تعالى وقد أصبحت بخير وعافية قلت وأخبرنى ولد سيدى الكبير سيدى مجد الدين اسماعيل أدام الله النفع ببركته قال حدثنى أحمد الرزاز من أهل مصر العتيقة قال كنت أصنع فى كل يوم قدحين من الارز العزيزى واضع ذلك فى ماعون جيزى أحمر نظيف وكان يقوم بى وبعائلتى ويكفينا مؤنة كل يوم لايزيد ولاينقص قال فطبخت يوما من الايام على عادتى وصببته فى الماعون وخرجت به الى السوق فلم أشعر الا وسيدى خرج راكبا وبين يديه جماعة كثيرة وهو قاصد الاثر الشريف فلما وصل الى التفت نحوى وقال احمل هذا الارز معك وسر بنا الى الجامع الكبير يعنى جامع سيدى عمرو بن العاص وخذ ثمنه قلت سمعا وطاعة قال ثم قمت وحملت ذلك الماعون على رأسى وكنت قويا فى نفسى لاسيما وقد أذن لى سيدى بحمله فحملت ذلك ولحقت سيدى الى الجامع الكبير فلما دخلوا وجلسوا وضعت ذلك الطعام بين يديه وأصحابه جلوس بين يديه وعن يمينه وعن شماله فدفع الى سيدى دراهم وقال اشتر لنا خبزا وائتنا بشئ من الاصحن والاوانى نغرف فيها الطعام قال فاسرعت واشتريت خبزا وجئت بالاصحن والاوانى كما أمرنى ثم قال لى اجلس واغرف واملا الاصحن والاوانى فجعلت اغرف فى الصحون وأقول ياترى ان كان هذا يكفى أصحاب سيدى فقال لى سيدى سم الله واغرف فصرت أقول بسم الله وأغرف حتى ملأت الصحون والاوانى فقام بعض الفقراء ومد السماط بين يدى سيدى فقال سيدى لاصحابه بسم الله سموا وكلوا فوالله

العظيم لقد أكلوا وفضل فى جميع الاصحن الطعام والخبز أيضا فقال لى سيدى ارفع بقية العيش والطعام واذهب به الى بيتك وأطعم من شئت قال فحملت ذلك وساعدنى بعض الفقراء الى منزلى فأكلنا وفرّقنا وفضل عندنا منه شئ كثير ثم ركب سيدى الى الاثر الشريف ولم يعطنى شيأ فحملت هما بسبب ذلك وقلت فى نفسى ان كنت يا فلان تقدر على طبخ الارز العزيزى كل يوم فما بقى لك حيلة تطبخ غدا شيأ فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وحملت هما كثيرا وجلست على الدكان وأنا حزين القلب قال فلم أشعر الا وسيدى قد رجع من الاثر فى اليوم الثانى فقمت ووقفت فى موضعى ودعوت له فأشار الى بيده فأسرعت نحوه وقبلت يده فوضع يده فى جيبه فأخرجها مطبوقة وقال لى خذ هذا الفتوح قال فمددت يدى اليه فأعطانى صرة فأخذتها وقبلت يده ومضيت وأنا أقول عسى أن يكون ثمن الزيزات وما يصرف عليها غدا ان شاء الله تعالى قال فلما رجعت الى منزلى وأنا فرح من ذلك وفككت الصرة فوجدتها عشرة دنانير فوالله العظيم هم رأس مالى الى الآن وأنا عائش فى بركة سيدى من ذلك ولم أحتج الى أحد ولم اقترض من أحد شيأ ومن كراماته ما أخبرنا به الفقيه شهاب الدين المعروف بابن النجار قال حدثنى الشيخ الصالح الورع الزاهد طلحة المنشأوى من أهل المنشأة الكبيرة التى تنسب اليها السخاوية قال دخلت على سيدى الكبير عائدا له فى مرض موته الذى مات فيه فجلست عند رجليه وقبلتهما وبكيت فلما أحس بى قال لى يا طلحة قلت نعم يا سيدى فقال لى يوم مبارك وكرر ذلك قال فانتحبت بالبكاء فقال لى يا ولدى يكون نظرك على من تعرفه من أصحابنا فانهم اخوانك يا طلحة وانما قلنا لك يكون نظرك على من تعرفه فان من لا تعرفه كثير واعلم يا طلحة ان لنا أربعمائة ولى قد خرجوا من هذه الزاوية وفى رواية ثلاثمائة وستين على قدمى هذا يعنى على طريقتى كلهم داعون الى الله وأصحابنا بالغرب كثير وبالشام والروم أكثر وأكثر أصحابنا باليمن لا يعلمهم الا الله تعالى وأما سكان البرارى أهل الكهوف والمغارات فكثير وصار يكثر من هذا الكلام حتى غبت عن حسى فلما أفقت من غشوتى ودعته واستأذنته فأذن لى ودعا لى فكان ذلك آخر اجتماعى بسيدى رحمه الله قال وأخبرنا أيضا الفقيه شهاب الدين بن النجار المذكور قال حدثنى سيدى طلحة انه لما نزل سيدى الى بلاد الغربية ودار على أصحابه فى بلادهم وأماكنهم وأحيى قلوبهم وأنعش خواطرهم طلع الى المنشأة الكبيرة فتلقاه اعمى وكان والدى قد انتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى قال فانزله اعمامى فى الزاوية ووقفوا فى خدمته وقاموا بحقه وكنت أنا صغيرا وعلى رأسى طاقية وكنت يتيما وكانت الوالدة تعيش وكان اعمامى وأولادهم يحيفون على فى أمر الزيقات ولا يعطونى منها الا القليل قال فلما صار سيدى عندنا فى الزاوية قالت لى الوالدة يا طلحة أخرج الى سيدى وأشك اليه بما تفعل أولاد عمك فيك وانهم يمنعونك ما تستحقه من الزيقات قال فخرجت الى سيدى فقبلت يده وجلست بين يديه وأخبرته بحالى مع أولاد عمى قلت فلما سمع كلامى بكى ووضع يده على

رأسى

رأسى وقال لى والله ياطلحة كلهم ينقرضون ولا يتخلف بعدهم غيرك و يصير كل ما فى أيديهم فى يدك وما يعمر البيت الا أنت قال ففرحت بذلك فرحا شديدا قال فلما بلغت من العمر خمس عشرة سنة تزوجت ورزقت خمسة أولاد ذكور وانقرض أولاد عمى كلهم وماتت أولادهم جميعا و وقع ما قال لى سيدى عليه وما عمر البيت غيرى فرحم الله سيدى وعفا عنه ونفع به آمين ومن كراماته ما أخبرنا به الفقيه نور الدين الطوخى جزاه الله خيرا قال بينما أنا جالس على باب زاوية سيدى الكبير رحمه الله اذا أنا برجل مار على وفى رجليه قيد وهو يجره و يسرع فى مشيته ففهمت أنه مظلوم وهارب من الحبس فقال لى هذه زاوية سيدى الحنفى قلت له نعم أدخل أدخل فقال ياسيدى أنا مستجير بالله ثم بسيدى ياسيدى خبئنى وأجرك على الله فقلت له لاتخف ولا تحزن فلك الامان ان شاء الله تعالى ثم قمت اليه وأخذت بيده وأدخلته زاوية سيدى و أدخلته فى خلوة وأغلقت عليه الباب فلما كان بعد ساعة طويلة اذا بمملوك قد أقبل ودخل الى الزاوية وبيده سيف مسلول وهو موهوج يقول هل جاءكم رجل هارب مقيد فبينما هو كذلك اذ ظهر سيدى من الخلوة فقلنا له اذهب الى سيدى فسلم عليه تحصل لك البركة قال فتقدم الى سيدى وسلم عليه وجلس بين يديه فقال له سيدى ضع سيفك على الارض واطمئن على نفسك فما يحصل الا الخير قال الفقيه نور الدين الطوخى فتقدمت الى سيدى وأخبرته بخبر الرجل المقيد فطلبه سيدى فتوجهت الى الخلوة واطلقت ذلك الرجل فحضر بين يديه فقال له استاذه انت هربت من حبسك فقال له نعم والله ياسيدى ماهربت الا خوفا قال فاقبل سيدى على ذلك الجندى وقال له ايش حكاية هذا الرجل المسكين فقال له ياسيدى له عندى ست سنين وهو فى الحبس مقيد فقال له سيدى لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم كيف تلقى الله تعالى يوم القيامة وكيف حالك اذا سألك الله تعالى عن ظلم هذا الرجل وماذا يكون جوابك لله تعالى قال فاطرق الجندى رأسه خجلا وعرض له البكاء فبكى حتى غشى عليه فلما أفاق قال ياسيدى مرنى بشئ أفعله قال ان طلبت النجاة يوم القيامة فاسأل هذا الرجل براءة الذمة فانك لاتقدر ان تدخل الجنة الا أن ترضيه قال ياسيدى اشهد على انى قد أسقطت مالى عليه من المال الى يوم تاريخه فقال له ادفع اليه وصولا بالتعليق حتى لا يكون عندك له طلب قال سمعا وطاعة فدفع اليه وصول التعليق وفك عنه القيد وخلع عليه ملابسه وزوده ببعض دراهم وأمره بالرجوع الى بلده وصار ذلك المملوك من ذلك اليوم من أصحاب سيدى وفى خدمته الى ان انتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى قلت وحدثنى سيدى محمود ولد سيدى الكبير رضى الله عنه قال أصابتنى فاقة شديدة بعد وفاة سيدى فدخلت اليه وجلست عند ضريحه قبال وجهه وقرأت شيأ من القرآن وذكرت الله تعالى وأهديت ذلك الى روح سيدى ثم قلت بعد ذلك ياسيدى ولدك محمود قد اشتد به الجوع والفاقة وهو فى هذا الوقت لم يجد شيأ يقتات به وكذلك عائلته بهذا الحال وقد كنت عهدت الينا عند موتك وقلت لنا من كانت له حاجة

متعسرة فلبأت الينا ويطلب حاجته منا فانه ليس بيني وبينكم غير ذراع من تراب وكل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب فليس برجل ثم قمت من عند الضريح وخرجت فجلست في البيت وأنا حامل حملة عظيمة من ضيق المعيشة وسوء الحال قال فبينما أنا جالس في منزلي فلم أشعر الا برجل دخل علي وعلى رأسه طبلية فيها خروف مشوي وخبز كثير ومعه رجلان معهما طعام وغير ذلك وهم يقولون ياسيدي محمود اقبل هذا فانه قد أرسله لكم محبكم فلان ولا تؤاخذوه عليه قال فأخذت ذلك الطعام وفرقت على الوالدة منه وعلى أهل البيت جميعا ولم يفرغ ذلك حتى يسر الله علينا كل خير فرحم الله سيدي ما كان أشفقه علينا في حياته وكذا في مماته قلت ومن كراماته ما أخبرني به سيدي محمود أيضا فقال والله الذي لا اله الا هو انه قد حصل لي في وقت آخر ضيقة وشدة حتى انه لم يبق لي حيلة الى شئ استتر به بين الناس سوى قميص مرقع وسخ وجبة بيضاء خلقة وسخة واشتد الامر وضاق بي فقصدت الى مقام سيدي وهجمت عليه وجلست عند الضريح قبال وجهه وشكوت حالي اليه وقلت له ياسيدي انا ولدك محمود وقد اشتد بي الحال وضاق بي الامر حتى صرت لا أقدر على شئ استتر به بين الناس غير هذا القميص المرقع الوسخ وهذه الجبة الدنسة وقد ضاق صدري مما أنا فيه ثم قمت ونزعت عني القميص والجبة عن جسدي وألقيتهما عند رأس الضريح وأنا أبكي وكان ذلك وقت العشاء الاخيرة ثم ذهبت الى البيت فنمت تحت الغطاء وأنا عريان حزين ضيق الصدر وأنا نائم فوالله ما استيقظت الا بعد طلوع الشمس والوالدة تقول يا محمود اقعد يا ولدي فان خوند بنت ططر التي كانت زوجة الاشرف جاءت اليك ومعها هدية فجلست والتفيت في ملاءة الفرش واذا بها قد دخلت ومعها جارية حاملة القماش فسلمت علي وقالت ياسيدي محمود خاطري عندك والله ما أعلمني بحالك الا سيدي في هذه الليلة وهو يقول لي يا فلانة روحي الى أخيك محمود واكسيه فانه جاء الينا وشكا حاله لنا وما نام هذه الليلة الا عريانا ما عليه شئ يستتر به وكان عليه خلق جبة وخلق قميص قد رقعهما ونزعهما عن بدنه ورماهما عند الضريح وخرج من عندي باكيا فأدركيه واكسيه قال ثم قدمت الى القماش الذي جاءت به فاذا هو بردتان احداهما لونها صافي والاخرى لونها كحلي وثوب بعلبكي رفيع وبطائن كذلك وشقة شرب قال فتسامع الجيران بذلك فجاؤا اليها وسلموا عليها وقاموا اليها قال فأقامت معهم ساعة وأنا ملفوف بالملاءة ثم عمدت النساء الى القماش فأخذوه ففصلوه ملوطتي طرح وملوطتي بعلبكي وقميصي شرب ثم أخذت كل امرأة شيأ من القماش وجعلن يخطن ذلك فما أذن الظهر حتى لبست قميصا وملوطية طرحا وأخذت النساء بقية القماش وخطنه فما كملت ثلاثة أيام حتى كملت الخياطة وكانت خوند زوجة الملك الاشرف قد دفعت الي نفقة كثيرة وأغناني الله من فضله ببركة سيدي رضي الله عنه قلت ومن كراماته ما أخبرني به الفقيه علي نور الدين المعروف بالطوخي المتقدم ذكره قال كنت يوما جالسا في زاوية سيدي وذلك في زمن الملك الظاهر جقمق واذا برجل من بعض المباشرين قد دخل الى الزاوية

وهو موهوج خائف قلت وكان سيدى الكبير جالسا على باب خلوته وبين يديه جماعة فلما
وقع نظر المباشر على سيدى هرول اليه مسرعا حتى قبل يده وسلم عليه وجلس بين يديه وشكى
اليه حاله وانه قد انكسر عليه مال للامير زين الدين أبى الفرج الاستادار فقال له سيدى
ما يحصل الا خير ان شاء الله تعالى قال فاقام ذلك الرجل فى زاوية سيدى تحت نظره مدة أيام
فأرسل الاستادار يطلبه ويسأل سيدى فى أمره وأن يرسله اليه وعليه الامان قال فطلب
سيدى ذلك الرجل فحضر بين يديه فقال له سيدى ان الامير زين الدين أرسل يطلبك منا وأرسل
يقول سيدى يرسله لنا وله الامان فقال له ياسيدى انى أخاف أن يعاقبنى ولا لى قدرة على
عقوبته ولا جلده فقال له لا تخف اذهب اليه وأنت تقول ما أقول لك فقال وما أقول ياسيدى
فقال قل بسم الله الخالق الاكبر حرز لكل خائف لا طاقة لمخلوق مع الله عز وجل ثم كررها
سيدى عليه حتى حفظها ثم طلب خاطر سيدى وذهب الرجل مع قاصد الاستادار فما غاب سوى
قدر ساعتين ثم رجع الى سيدى وعليه خلعة سنية وبيده وصول التغلبق وأخبر سيدى بانه
اعاده الى وظيفته وترك له ما عليه من المال فرحم الله سيدى ما كان أكثر نفعه للناس قلت
وأخبرنى سيدى بركات ولد سيدى محمود ولد سيدى الكبير قال بلغنى أن رجلا من التجار
المحبين من أهل مصر العتيقة أرسل لسيدى مطبقة فيها خشتنانك وغيره مع رجل من جهته
فبينما هو مار فى الطريق اذ راودته نفسه أن يأكل مما فى هذه المطبقة قال ففتحت المطبقة
وكانت نحاسا وهى طبقات طبقة فوق طبقة وهى أربع طبقات أو خمس طبقات غير الغطاء
قال فلما أردت ان أتناول منها منعت نفسى وقلت لا أكون خائنا ثم وضعت الغطاء مكانه
فوقع لى ذلك ثلاث مرات وأنا أمنع نفسى فلما وصلت الى سيدى وضعتها بين يديه وبلغته
الرسالة بالسلام فقال لى جزاك الله عنى خيرا ثم فتح سيدى المطبقة وجعل يطعم الفقراء
ويعطيهم بيده المباركة قال فاستأذنته فى الرجوع فقال لى اصبر حتى تأخذ حق طريقك
فقبض قبضة أولى فأخذتها فى كمى ثم قبض قبضة ثانية فاخذتها أيضا فى كمى ثم قبض الثالثة
وقال لى خذ فقلت ياسيدى هذا كثير فقال اما تعلم انك قد منعت نفسك عن الاكل ثلاث
مرات من المطبقة خوفا من الخيانة ولو زدت لزدناك قلت وأرسل آخر من أصحابه مطبقة
ملآنة عجمية من مصر العتيقة أيضا مع رجل من خدامه فلما صار بين مصر والقاهرة
راودته نفسه على الاكل منها قال فمال الى ذروة كوم فى طريقه وأكل منها وسوى موضع أكله
بيده فلما وصل الى سيدى وضعها بين يديه وجعل سيدى يفرق على الفقراء حتى فرق على
الجميع الا ذلك الرجل القاصد فانه لم يعطه شيأ فقال له ياسيدى بقى العبد فقال له ياولدى
أنت حودت فى ذروة الكوم وأكلت نصيبك فقال ياسيدى أنا أستغفر الله العظيم وأتوب
اليه قال فوضع اليه سيدى نصيبه ولم يخيبه فرضى الله عنه ما كان أحسن خلقه وألين
كلامه وأرفقه بالناس وأخبرنى رجل من أصحاب سيدى يعرف بالشيخ موسى الجديلى
ورأيته وأعرفه رحمه الله وكان عنده طرف وله وكان الغالب عليه سلامة الصدر وحسن

الظن وسداجة باطن *(قال المؤلف)* رحمه الله ان سيدى أعطاه طاقية من طواقيه بيده وقال له ياموسى اجعلها عندك ذخيرة فكل من شكى اليك وجع رأسه المسه بها بيدك وكل امرأة عسر عليها الطلق اجعلها على رأسها تسهل عليها الولادة واحتفظ عليها واذا حضرتك الوفاة فأمر أهلك أن يجعلوها على رأسك وان تدفن معك فانه يحصل لك بها البركة ان شاء الله تعالى قال فوالله ماشكى الى أحد صداع برأسه وألبسته طاقية سيدى الاعافاه الله تعالى ولا عسر الطلق على امرأة ووضعتها على رأسها الا تضع سريعا وهى عندى الى الآن حتى تدفن معى وهى على رأسى قلت وكان الامر كذلك رحمه الله وعفى عنه آمين

قال وكنت يوما بين يدى سيدى مع الفقراء والسبحة تدار بين يديه والجماعة محدقون به اذ دخل عليه رجل فسلم عليه وقبل يده وقال ياسيدى لى أخ له مدة فى السجن عند تغرى بردى المؤيدى الدوادار وكان هذا فى زمن الظاهر جقمق قال فقال له سيدى توكل على الله ياولدى بلغنى ان هذا الدوادار المذكور طلب أن يحدث ديوان الاحباس المذكور ويمنع المستحقين حقوقهم من الرزيقات ويقطع أرزاقهم وكان هذا الرجل اجتمع باخيه وهو فى السجن وأعلمه بانه يمضى الى سيدى ويعلمه بحاله قال فجلس الرجل بين الجماعة ساعة والسبحة دائرة بينهم وكانت ألف حبة كل حبة قدر الليمونة الكبيرة وهم يقرؤن عليها سورة قل هو الله أحد ثم انقضت السبحة وجمعها النقيب ووضعها مكانها على باب المنبر قال سيدى بعد ذلك للفقراء اقرؤا الفاتحة وادعوا الاخى هذا الرجل بأن الله يحسن خلاصه من السجن فقرؤا الفاتحة وسألوا الله تعالى فى ذلك وأقاموا بعد ذلك ساعة طويلة وسيدى جالس مكانه لم يدخل الخلوة دون العادة فلم يشعروا الا والرجل الذى قد كان فى السجن دخل الى الزاوية فلما رآه أخوه قام اليه واعتنقه وتباكيا ثم جاء به الى سيدى وقال له ياسيدى هذا أخى قد خلص من السجن ببركة سيدى فقال له أخوه ياأخى كيف وقع لك وما كان سبب خلاصك فقال أنت ماقلت لى أنا أريد أن أمضى الى سيدى واعلمه بحالك قال نعم والله بينما أنا جالس فى السجن فى هذه الساعة اذ أرسل خلفى الامير وقال لى أخرج سافر الى البلد فقبلت يده وخرجت من عنده وجئت الى سيدى قال فصار الناس يتعجبون من بركة سيدى ويبكون فلما هدأ حالهم تقدم الاخوان واستاذنا سيدى فى السفر فاذن لهما فخرج كل منهما من عند سيدى مجبور الخاطر والناس ينظرون اليهما ويتعجبون ثم قام سيدى ودخل الخلوة

قال وحضرت ميعاد سيدى رحمه الله فلما انقضى الميعاد وانفض الناس الا القليل واذا برجل دخل الى الزاوية وهو مع رسول فى الترسيم فى زنجير معه والرجل الذى مع الرسول ذو هيبة عظيمة وشكل عظيم وجمال فلما صارا بالقرب من خلوة سيدى جلسا فلما كان بعد هنيهة ظهر سيدى فقاما اليه وقبلا يده فاذن لهما سيدى بالجلوس فجلسا اليه ثم التفت سيدى الى ذلك الرجل وقال له المخدوم من أى البلاد فقال له ياسيدى عبدك الحاج ابراهيم ابن سابق من بلد يقال له دملو فقال له مرحبا بك مرحبا فقال له الرسول ياسيدى هذا من

فلاحي مجبك التمرازي وقد انكسر عليه بعض مال وله مدة في السجن ودلوه على صدقات سيدي فقال ما يحصل الا الخير ثم التفت سيدي الى الشيخ ناصر الدين الغرز رحمه الله وأمره ان يذهب الى التمرازي ويأتي به قال فأسرع الغرز رحمه الله وذهب الى الامير واحضره في الوقت بين يدي سيدي فقبل يد سيدي وجلس فاهل به سيدي وصبر هنيهة حتى استقر به المجلس ثم أقبل على الامير وقال له هذا الرجل بلغنا انه من فلاحيكم وله مدة في السجن وما كنت أظن أن المخدوم يقع منه هذا في حق مسلم لما أعلم فيك من الخير ومحبة الفقراء فقلت ياسيدي بعد ما جاء الى سيدي ما عاد يحصل له الا الخير فقال له سيدي بارك الله فيك كم لك من المال قال ياسيدي هو يعرف ما عليه فالتفت سيدي الى الحاج ابراهيم بن سابق وقال كم له عليكم قال له ياسيدي مائة ألف وستون ألف فقال سيدي للامير كم تخلون للفقراء من هذا المبلغ فقال الامير والله العبد لا يملك مع سيده لا مالا ولا روحا ولو أمرني سيدي ان أترك المال جميعه تركته فقال له سيدي اترك للحاج ابراهيم ثمانين ألفا وخذ منه ثمانين الفا موزعة على الاقساط واخلع عليه وأمره ان يذهب الى بلده تفرح به عائلته وأهله واجبر بخاطره يجبر الله بخاطرك ويكسرك يوم القيامة بين يديه فقال ياسيدي السمع والطاعة فعند ذلك أمر الامير الرسول أن يفك عنه الترسيم ثم أرسل الامير الى البيت فاحضر له خلعة سنية فارخاها عليه بحضور سيدي عليه ورسم ان لا يأخذ منه أحد شيأ لا ترسيما ولا حق طريق ولا غير ذلك ثم أمره الامير بالسفر الى بلده وزوده سيدي بقراءة الفاتحة وسافر الى بلده وصار يتردد الى سيدي الى ان انتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى ومما وقع لسيدي ان رجلا دخل الى الزاوية وهو متضعف نحيف البدن مصفر اللون خلق الثياب كأنه خرج من قبر ومعه رجل آخر من السجانين فدخل الى سيدي فوجده جالسا على باب خلوته وحوله جماعة من أصحابه فقبل يد سيدي وجلس بين يديه قال فنظر اليه سيدي وقال مرحبا مرحبا مالي أراك في هذه الحالة فقال له والله ياسيدي لي أربع سنين في السجن ما خرجت منه الا في هذه الساعة وانا قبل ذلك مضى على سنتان وأنا ضعيف وقد قتلني الجوع والعري وأكلتني البراغيث والقمل والبق فسمعت بسيدي فسألت السجان أن يخرجني من الترسيم مع أحد من جهته حتى أجئ الى سيدي واعلمه بحالي فعطفه الله علي وأرسلني مع هذا الرجل متحفظا بي وأنا ياسيدي من فلاحي الامير طوغان الاستادار قلت وكان ذلك في زمن الاشرف برسباي ثم قال الرجل لسيدي فبالله ياسيدي أنظر في حالي فانه مالي الا الله قال فالتفت سيدي الى بعض قصاده وقال له اركب وتوجه الى الاستادار وائتني به سريعا قال فخرج القاصد مسرعا وركب الى الاستادار فما ذهبت ساعة يسيرة الا وقد ركب الاستادار وتمثل بين يدي سيدي فلما جلس واستقر به المجلس قال له سيدي ياطوغان ان هذا القباء الذي عليك مليح قال فاسرع الامير الاستادار ونزع القباء الذي كان عليه وطواه ووضعه بين يدي سيدي وقال له ياسيدي هذا

القباء صار حلالا يا سيدى حراما على فقال له سيدى بارك الله فيك يا طوغان اشتره منى فقال اشتريته من سيدى بخمسين ألفا فقال سيدى يا طوغان أنت بخيل فقال له يا سيدى اشتريته بمائة ألف أزنها بين يدى سيدى فى هذه الساعة قبل أن أقوم من هذا المجلس فقال له سيدى بعتك هذا القباء بمائة ألف فقال له الامير اشتريته من سيدى بمائة ألف كل ذلك والامير يترجم بين يدى سيدى ثم ان سيدى طلب ذلك الرجل الذى كان قال له أقعد فى الزاوية حتى أطلبك قال فلما حضر الرجل ووقف بين يدى سيدى قال سيدى للامير طوغان المائة ألف التى صارت للفقراء عندك خذها عن هذا الرجل الذى له عندك فى الحبس أربع سنين وهو فى هذا الحال أنظر اليه يا طوغان فنظر اليه الامير فعرفه قال وكان على ذلك الرجل الفلاح مائة ألف فقال سيدى للامير طوغان ما يكون جوابك عند الله تعالى اذا سألك يوم القيامة عن هذا الرجل وهو فى هذه الحالة من الجوع والعرى والمرض والقمل والبق والقهر وتحمل الهم وضيق الصدر وأنت تتنعم وتأكل الطيبات والشهوات وتنام مع السرارى والزوجات على فرش الحرير والجوارى تخدمك وأنت جالس على السرير وقد نسيت هذا المسكين وهو فى شدة وتعب وأنت فى راحة ونعيم

ومازال سيدى يكرر هذا الكلام حتى أبكى الامير بكاء شديدا وبكى كل من سمع هذا الكلام حتى اشتفى والامير يقول وأنا أستغفر الله العظيم وأتوب اليه ثم ان الامير دفع الى ذلك الرجل وصول التعليق ودفع اليه دراهم يكتسى بها وأذن له أن يقيم عند سيدى فى الزاوية حتى يعافيه الله تعالى فاذا عوفى يسافر الى بلده فاقام ذلك الرجل فى زاوية سيدى حتى شفاه الله تعالى وملك عافيته وشكر الله تعالى على ذلك ثم استأذن سيدى فى السفر فاذن له ومازال يتردد الى سيدى الى ان انتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى

وحكالى رجل من أهل أبى صير بلدنا يقال له الريس أحمد ويعرف بابن غير وكان صاحب مركب فقال وقع لى مع سيدى الحنفى حكاية عجيبة وذلك انى كنت فى ساحل بولاق والمراكب فارغة وأنا منتظر رزق من عند الله تعالى واذا بجماعة من جهة الامير يبغا المظفرى وكان صاحب أبى صير فجاؤا الى المركب ورسموا عليها حتى يبعثها الامير الى الصعيد الى بلد تسمى فرجشوط يوسقها قمحا قال فحصل لى أمر عظيم بسبب ذلك وحملت هما كبيرا فقال لى بعض الناس رح الى سيدى محمد الحنفى فمضيت اليه فلم أجده فى الزاوية فقالوا لى انه ركب الى الروضة فمضيت الى الروضة فوجدته فلما دخلت اليه وسلمت عليه قبلت يده وقلت له يا سيدى أنا رجل غريب ذو عائلة ولى مراكب وان الامير يبغا المظفرى طلب يسفرنى ويبعثنى الى فرجشوط أوسق قمحا الشونته وأكون معه فى السخرة حتى ينقضى شغله وأعدم ماله جلد على ذلك ويضر ذلك بالعيال فقال لى ايش اسمك فقلت اسمى أحمد فقال لى يا أحمد تعال لى غدا وما يحصل الاخير قال فمضيت الى المركب وغمت فيها فلما أذنوا على المأذن قمت وشددت وسطى وأسرعت الى الروضة فى ميعاد سيدى فلما دخلت

عليه ورآني سكت زمانا ثم قال لي يا أحمد ترد غدا ان شاء الله تعالى تقض حاجتك قال فضيت وجئت اليه اليوم الثالث فقال لي اصبر قليلا قال فأقمت عنده في ذلك اليوم وأكلت من سماطه فاذا نحن برجل دخل الى سيدي وقال له ياسيدي ان السلطان قد أخذ بيبغا وأرسله الى الاسكندرية والمدينة في هذا اليوم في أمر مريج قال فالتفت الى سيدي وقال لي يا أحمد قم فاذهب الى المراكب لئلا يحدث فيها حادث قال فقبلت يده وسألته الدعاء فدعا لي وخرجت مسرعا فوجدت المركب على حاله فبعث الله لنا بالمعاش وانحدرنا في خير وعافية وأمان وكان ذلك ببركة سيدي أعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاته وبركات علومه آمين

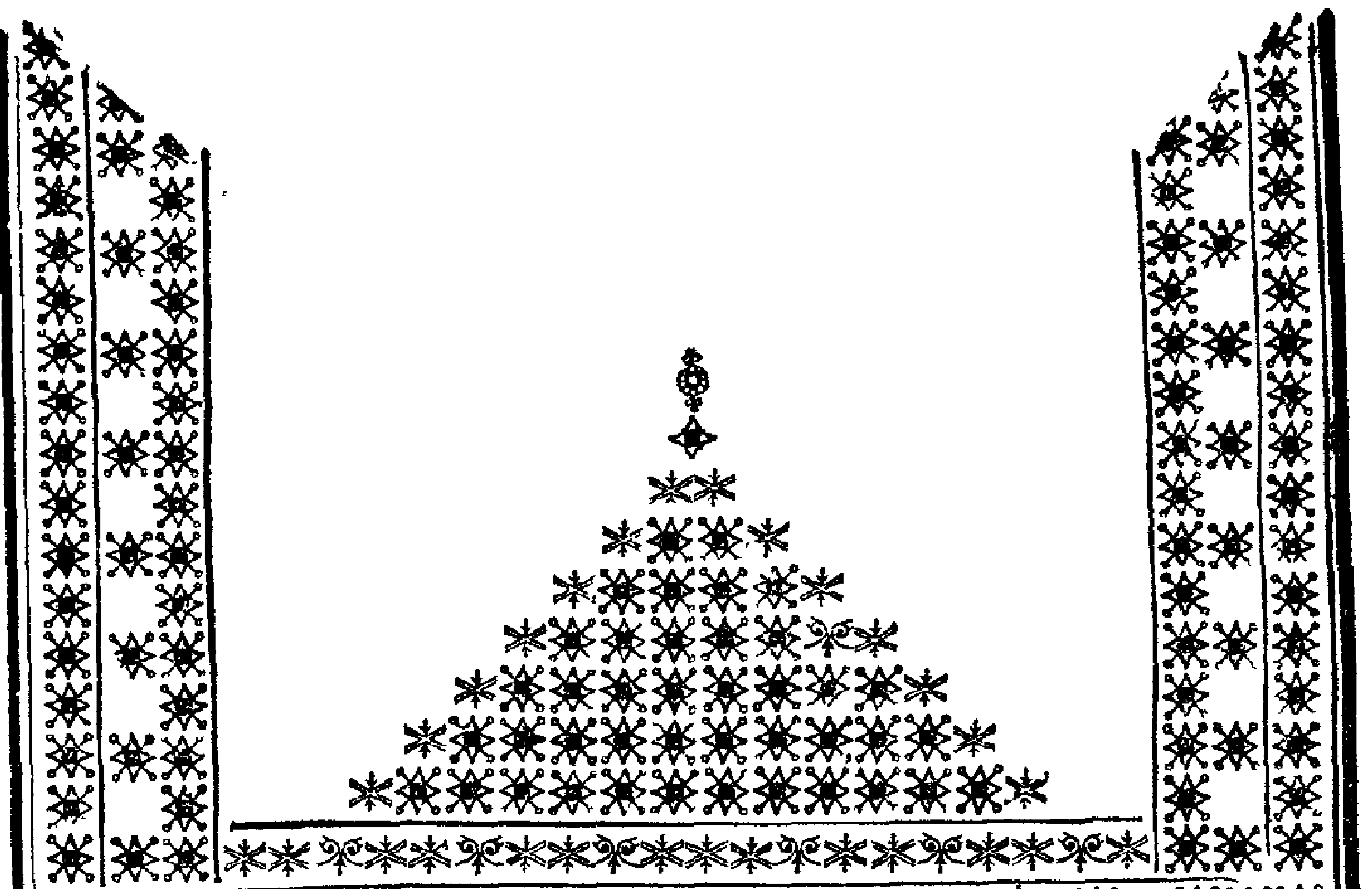
تم الجزء الاول من مناقب السلطان الحنفي ويليه الجزء الثاني أوله ومن كراماته رضي الله عنه ما أخبرني به سيدي أبو الغيث ولد سيدي رضي الله تعالى عنه

(الجزء الثانى من كتاب)

السر الصفى فى مناقب السلطان الحنفى قطب الغوث شمس الدين سيدى محمد التيمى البكرى الشاذلى الصديق رضى الله تعالى عنه تأليف العلامة الفاضل الشيخ على بن عمر الشهير بالبتنونى

(تنبيه)

قد عن لنا أن نطبع أيضا بذيل هذه المناقب بعد حزب النور الرسالة المسماة المآثر النفيسة فى مناقب السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها وذلك تتميما للفائدة ولتكون امدادات هذه الطاهرة علينا وعلى جميع المسلمين عائدة



(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد فيقول العبد الفقير الى رحمة ربه القدير الشيخ على البتنونى انى ذكرت كرامات سيدى الكبير شمس الدين محمد الحنفى فجمعت منها البعض وشرعت فى الآخر وهذا أوان الشروع فى ذلك فأقول

فمن كراماته رضى الله عنه ما أخبرنى به سيدى أبو الغيث ولد سيدى نفع الله به قال أخبرنى الوالد رحمه الله ورضى عنه ومتعه بالنظر الى وجهه الكريم ان امرأة من بعض نساء الامراء جاءت الى بيت سيدى فاشرفت على الفقراء المجاورين بالزاوية فرأتهم يأكلون على السماط فتأملت الى الاوانى التى فيها الطعام فرأتهم أصحنا ملية صغارا فانكرت ذلك بقلبها جهلا منها ببركات سيدى فاضمرت فى نفسها أنها تصنع أطعمة كثيرة وتدعو سيدى الشيخ وجماعته حتى يأكلوا ويشبعوا فلما رجعت الى منزلها وفعلت ما قالت فى نفسها من انواع الاطعمة واللحومات وذبحت من الغنم ماذبحت وغير ذلك من الاوز والدجاج وأكثرت ثم دعت سيدى أعاد الله علينا من بركاته وجماعته الفقراء وكان من جملة الفقراء سيدى يوسف القطورى المعروف بابى طاقية فاجابها سيدى والفقراء والشيخ يوسف المذكور قال الشيخ يوسف لسيدى يا سيدى ما جعت قدر هذا اليوم وكان ذلك فى وسط النهار فقال له سيدى أدخل المطبخ فدخل اليه فقدموا اله نحو نصف بقرة فاكله فقدموا اله شيأ آخر فاكله فما زالوا يقدمون له وهو يأكل نخاف الطباخون ان يأكل ما عندهم فاخرجوه وأغلقوا الباب فلما قدموا السماط ووضعوا عليه شيأ كثيرا

من

من أنواع الاطعمة واللحم وغير ذلك قال سيدي امسكوا أيديكم يا فقراء ثم قال يا يوسف كل
ما في هذا السماط قال فجعل يوسف يأكل والناس ينظرون اليه حتى أكل جميع ما كان
على السماط فلما ركب سيدي ورجع الى الزاوية ادركته المرأة صاحبة الطعام ودخلت
الى البيت فقال لها سيدي يا فلانة قد عرفت ان البركة في طعام الفقراء وفي أوانيهم فقالت
له يا سيدي أنا استغفر الله العظيم واتوب اليه فقال بعض الفقراء لسيدي يوسف المذكور
يا سيدي ما صنعت بالطعام الذي اكلته كله قال اوصلته الى الاسارى الذين هم ببلاد الافرنج
واخبرني الفقيه شهاب الدين السملاوي المعروف بابن النجار قال بلغني ان سيدي لما نزل
الى الغربية طلع الى بلدة يقال لها قطور وهي بلد الشيخ يوسف المتقدم ذكره فاقام بها عند
اصحابه يومين فلما أن اراد ان يركب للسفر اذا برجل جاء الى سيدي ومعه صحن كبير من
عسل النحل وصحن كبير ملآن من البيراف فوضعهما بين يدي سيدي وقال بالله يا سيدي
أجبر بخاطري قال فاكل سيدي من ذلك واكلت جماعة الفقراء ثم قال سيدي يا جماعة
من فيكم يأكل هذه اللقمة من العسل عن سيدي ابي العباس ولقمة أخرى من البيراف
بشرط ان تنزل اللقمتان الى بطنه قال فما رد احد على سيدي جوابا فقال سيدي انا آكل
عنه ذلك قال فاكل سيدي لقمة من العسل ولقمة من البيراف ثم امر برفع الصحنين وقال
لصاحب العيش ارفع العيش واطعمه لاهل البيت بحسب البركة ثم ركب سيدي وسافر
فلما دخل سيدي الى البيت وسلم عليهم خرج الى سيدي ابو العباس قال فجلس سيدي
ابو العباس بين يدي سيدي وقال يا سيدي من أعجب ما جرى لي منذ يومين كنت جالسا في
مكاني هذا اذ دخل على فلان الخاصكي ومع غلامه صحنان احدهما فيه عسل نحل والآخر
فيه بيراف ووضعهما بين يدي وقال يا سيدي كل من هذين وابعث البقية الى بيت سيدي قال
فاكلت من هذا لقمة ومن هذا لقمة ثم حملت الصحنين ومشيت بهما الى الباب وقلت يا فرح
احلي هذا الى أهل البيت واخبريهم انه من عند فلان فتبسم سيدي ونظر الى الفقراء
الذين كانوا معه في ذلك الوقت وحكوا ذلك لسيدي ابي العباس قال سيدي ابو العباس الله
أكبر والله انها بركة كبيرة وأخبر بذلك ايضا الفقيه نور الدين المخلصي شيخ المخلصية بصندفا
الا انه اخبرني ان القضية كانت ببلدة يقال لها سيلا وهو المرجح فان سيدي نور الدين المخلصي
كان اسن من الفقيه احمد بن النجار وقد صحب سيدي قبله بسنين كثيرة والله اعلم واخبرني
الشيخ نور الدين علي المعروف بالسيسي وكان من اصحاب سيدي المتقدمين قال وكنت
مع سيدي بالروضة بجملة الفقراء والفقراء جلوس بين يدي سيدي اذ دخل عليه مغربي
وعليه آثار السفر والخير والصلاح والخفر فسلم على سيدي ووقف بين يديه وقال يا سيدي
اسألكم عن شئ في الطريق الى الله تعالى قال له سيدي اسأل قال فسأله مسألة في علم
التصوف فاجابه عنها ثم سأله عن مسألة أخرى فاجابه عنها فقال له سيدي اسأل يا مغربي عما
شئت أجبك وان لم يكن عندي جواب اجبتك من اللوح المحفوظ قال فعند ذلك بهت

كل من في المجلس حتى صار لهم ضجيج ثم طلع المغربي من عنده فطلبناه فلم نجده قال سيدي للجماعة أتعرفون من هذا قالوا لا يا سيدي فقال لهم هذا رجل من الرجال المعدودين ببلاد الغرب جاء كم يعلمكم الادب مع الاستاذ يعني انه مع علو مرتبته وارتفاع منزلته لم يقدر ان يسأل سيدي عن تلك المسائل الا وهو واقف بين يديه بادب قلت وكيف لا يكون ذلك وقد كان يحضر مجلس سيدي في ميعاده مثل الشيخ جلال الدين البلقيني الذي قال لسيدي بعد ما انقضى مجلسه وانصرف وجلس بين يديه والله يا سيدي رأيت اربعين تفسيرا للقرآن وطالعت فيها ما رأيت هذا التفسير الذي ذكره سيدي في هذا المجلس وكان اذذاك الوقت قاضي القضاة وممن حضره ايضا في مجلسه شيخ الاسلام العيني الحنفي وكذا حضر مجلسه ايضا شيخ الاسلام شمس الدين البساطي المالكي وكذا القاضي علم الدين الاخنائي وكذا شيخ الاسلام الشيخ سراج الدين البلقيني الذي قبل سيدي بين عينيه وقال له انت تمكث في الارض زمانا طويلا لان الله تعالى يقول وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض وانت تنفع الناس قلت وسمعت سيدي رضي الله عنه يقول في بعض مواعيده لما ان استغرق في الكلام حتى خرج عن افهام الناس وههنا كلام لو ابديناه لكم لخرجتم مجانين ولكن نطويه عن غير أهله وكان يحضر مجلسه جماعة من أهل الوعظ ومن طلبة العلم ومعهم مشايخهم ومعهم الاوراق والمحابر يكتبون كلام الاستاذ ويخبرون عنه ويتبركون به وكذلك العباد المنقطعون في الجبل المقطم والكهوف والمغارات وسكان القرافة جميعهم يحضرون مجلس الاستاذ رحمه الله تعالى وكان للاستاذ أحوال عجيبة مع الله تعالى لا يعلمها غير الله منها انه ظهر يوما من الخلوة وطلب شهاب الدين امام الزاوية وخطيبها وناظر الكتب وفقيه مكتب السبيل وقد كنت معه في المكتب أساعده في قراءة الاولاد وقد كان يعرف بالشيخ شهاب الدين بن المسدي قال فلما حضر بين يدي الاستاذ قال له جهز حالك للسفر مع الحج واذا دخلت الى مكة كن مقيما بها وانزل في رباط ربيع ولا تخرج منه ولا تقطع أخبارك عنا قال وكان قد بقي على خروج الحج ثلاثة أيام قال فامتثل ما أمره به الاستاذ وجهز حاله وسافر الى مكة المشرفة فاقام فيها نحو العشرين سنة وتوفي بها ولم يخرج منها الى حين ما علم بانتقال الاستاذ فجاء الى هذه البلدة قاصدا الى زيارته وعاد الى مكة وقد كان في كل سنة يرسل الى الاستاذ من الهدية ما يلائمه ولا يقطع اخباره عنه وقد صار شيخ رباط ربيع وهو رباط معروف بمكة وكان للاستاذ بمكة رجل من أصحابه يعرف بابي العباس وهو من مشايخ الصوفية فنزل الشيخ شهاب الدين عنده باذن الاستاذ وأرسل له سيدي كتابا معه بالوصية عليه قال ولما جاء الشيخ شهاب الدين بن المسدي الى الاستاذ ليودعه عند السفر بكى عند فراقه ثم قال يا سيدي هذا الفراق فتى الاجتماع قال يا أحمد في الجنة ان شاء الله تعالى قال فازداد حزنا على حزنه وبكاء على بكائه قلت ومما وقع لسيدي زين خلف المشالي مع الاستاذ ان الاستاذ ظهر يوما من الخلوة وقال اطلبوا لي الشيخ خلفا قلت

وكان

وكان الشيخ خلف من أهل الفضل والعلم وهو أحد مشايخي وقد كان حنفي المذهب رحمه الله قال فلما حضر الشيخ خلف وجلس بين يديه قال له جهز حالك واذهب الى البرلس ولا تخرج منه الا باذن منا فقال سمعا وطاعة ثم قال له وادع الناس الى الله تعالى واشغل من تختار منهم بالعلم قال وكان للشيخ خلف في المذهب مصنفات منها شرح مجمع البحرين لم يسبق اليه ولم يكمله وقد عمل فيه قطعة عظيمة أبدع فيها وأغرب وله شئ في المعاني والبيان وكان عالما في علم البديع وله باع طويل في المناظرات وصحبته شهرا وقرأت عليه متنا وشرحا قال فلما دخل الى البرلس باذن الاستاذ أقام بها سبع سنين يعلم الناس ويفقههم في الدين ويدعوهم الى الله تعالى حتى انتفع منه خلق كثير واتوا اليه وتعرفوا به قال فلما مضت السبع سنين أرسل اليه الاستاذ يطلبه فحضر وأقام عنده بعض أيام قلائل ثم أمره بالاقامة في مصر العتيقة قال فلما سجن ابن الاشرف بالاسكندرية وتسلطن الملك الظاهر جقمق أرسل الى الاستاذ يطلب منه الشيخ خلفا ليشتغل عليه في مذهب الحنفي فاستأذن الاستاذ فاذن له فتوجه الى الاسكندرية واجتمع بالعزيز فرتب له جرايه وما يحتاج اليه من المأكل والمشرب والملبس وأمره بالاقامة في الاسكندرية فأقام بمدرسة هناك قال ولما دخلت الاسكندرية مع سيدي أبي الفضل رحمه الله اجتمع به وعزم عليه واضافه في مدرسته التي هو مقيم بها قال سيدي أبو الفضل نزل ببعض المدارس ثم أرسلني الى سيدي خلف وأرسل الشيخ شمس الدين بن القصبي المالكي الذي كان تولى القضاء بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم فذهب العبد بصحبة الشيخ شمس الدين بن القصبي وأرسل الشيخ أبو الفضل معنا فرسا الى سيدي خلف ليركبها فاجتمعنا بالشيخ خلف وسلمنا عليه وقال لنا يوم مبارك وظن اننا جئنا بغير صحبة أحد فقلنا له ان سيدي أبا الفضل حضر الى الاسكندرية في المكان الفلاني فعند ذلك نهض مسرعا وخرجنا معه ماشين الى أن وصلنا الى الشيخ أبي الفضل فقام اليه وسلم كل منهما على الآخر ثم ان سيدي خلفا حلف على الشيخ أبي الفضل فقام معه الى المدرسة التي هو فيها فمد له سماطا فيه جبن وعسل وقال ذلك في خاطر الفقراء فبينما نحن نأكل على السماط واذا بنائب أمير الاسكندرية قد جاء الى الشيخ أبي الفضل فجلس خلف المنبر حتى ارتفع السماط فقام اليه أبو الفضل واعتنقه وكان له به معرفة ثم ان الامير حلف على سيدي أبي الفضل أن يكون تلك الليلة القابلة عنده في منزله دار السعادة قال فتوجهنا معه وأقمنا عنده تلك الليلة الى الصباح وكانت ليلة عظيمة قال فلما أصبحنا جاء الينا قاضي القضاة الشيخ شهاب الدين بن المحلي فأقمنا عنده في ضيافته أربعة أيام وأرسل يقول للامير لا تكلف خاطرك لسيدي أبي الفضل في شئ قال فلما مضت الاربعة أيام ركب سيدي أبو الفضل وخرج معه قاضي القضاة حاتم زمانه في الكرم والسخاء ثم رجعنا الى البلاد في عافية وأمان وما أحسن ما قال بعضهم

* مضت لنا أويقات * بالانس والمسرات * ترى يرجع مافات * يادمعتي فسيلي من العينات *

ومن كراماته ما أخبرني به الشيخ فتح الدين السكندري وكان من أهل العلم قال كان والدي من أصحاب الاستاذ الحنفي وكان تاجرا صاحب مال فقصد الحج ومعه من القماش الاسكندراني ماله صورة فلما دخل مصر قصد الى زيارة الاستاذ حتى يأخذ بخاطره فلما دخل عليه أهل به ورحب وقال له يوم مبارك فقال والدي خاطرك على محسوبك فانه يريد السفر الى الحج في البحر قال فسكت الاستاذ هنيهة ثم قال له ان كان ولابد فلا تسافر في مركب جديدة فقال سمعا وطاعة قال فلما وصلت الى الطور وجدت مركبا جديدة ورأيت جماعة من أصحابنا التجار قد نزلوا فيها وقالوا لي يا فلان بالله لا تسافر الا معنا فقلت لهم مالي عدل في السفر واحتججت لهم باني ضعيف فقالوا لي ان كان ولابد فارسل ما معك من القماش معنا أمانة فاذا شفاك الله فالحقنا في مركب غير هذه قال فانصاغ عقلي لكلامهم ووضعت القماش الذي كان معي معهم وتأخرت عنهم يومين قال فلحقتهم في مركب أخرى فلما سار وا غير قليل الا وجدت مركبهم قد انكسرت وذهب جميع ما فيها من القماش وما وصلنا الى جدة الا ونحن في كرب عظيم وقد صرنا فقراء لا نملك شيأ من الدنيا الا القوت اليومي قال ولده الشيخ أبو الفتح ومامات والدي الا فقيرا ومن كراماته ما أخبرني به الشيخ شمس الدين بن عمر قال بينما أنا نائم ذات ليلة اذ رأيت نبي الله يعقوب عليه السلام يشير الى الاستاذ بيده وهو يقول لا يبلغ الرجل مقام الاولياء حتى يكون مثل هذا يعني محمدا الحنفي قال فاستيقظت من نومي فرأيت وجه الاستاذ يتلألأ نورا ومن كراماته ما أخبرني به ظهير الدين المؤذن وقد كان رجلا دينا قال رأيت الاستاذ ظهر يوما من خلوته وقال اطلبوا الي يوسف أبا طاقية قال فلما حضر بين يديه قال له يا يوسف أخرج في هذه الساعة الى ناحية قليوب ولا تكلم أحدا في الطريق ولو كلمك أحد لا تكلمه ولا تغفل عن ذكر الله تعالى فقال له سمعا وطاعة ثم خرج من ساعته الى ناحية قليوب وهو يذكر الله تعالى واذا هو بثلاثة رجال بقرب البلد راكبين على خيولهم ومع كل واحد منهم رمح ومتقلد بسيف قال فتوجهوا نحو الشيخ في الطريق وقالوا له أين تريد أيها الشيخ فاشتغل بذكر الله زيادة فقال واحد منهم ما أنت الا ذاكر فجعل يذكر ولا يلتفت اليهم حفظا لوصية الاستاذ قال فلما رأوا منه ذلك احترموه وتركوه في حاله وصاروا يتبعونه من بعيد حتى دخل قليوب فدخل بعض الازقة فوجد مسجدا فدخله وكان على وضوء فصلى ركعتين لله ثم جلس يذكر الله وكان هؤلاء الجماعة من أهل قليوب وكانوا يقطعون الطريق ومسكنهم في ذلك الزقاق قال فلما رأوا الشيخ دخل ذلك المسجد ذهبوا الى منازلهم ووطنوا خيولهم ورجعوا الى المسجد فتوضؤا وصلى كل واحد منهم ركعتين ثم قالوا للشيخ صل بنا صلاة العصر فاقاموا الصلاة وصلى بهم ثم جلس يذكر الله فجلسوا معه وذكروا الله وكذلك صلى بهم صلاة المغرب ثم ذهبوا منازلهم وحملوا بعض زاد فاخر فلم يأكل منه شيأ لانه عرف أنهم قطاع الطريق وان كسبهم حرام وجعل يذكر الله الى وقت العشاء

فأقام الصلاة وصلى بهم صلاة العشاء وجلس يذكر الله الى أن أخذ مشروبه فختم الذكر ودعا الله تعالى وقام الى جهة من جهات المسجد فوضع جنبه على الارض ليستريح سويعة قال فنام الجماعة كلهم بعيدا عنه ولم يذهبوا الى منازلهم قال فلما جاء الثلث الاخير من الليل قام الشيخ يوسف لورده فلما أحسوا به قاموا أيضا وتوضؤا وصلوا معه ما شاء الله تعالى ثم جلس يذكر الله تعالى فجلسوا يذكرون الله معه الى أن صلى الصبح وصلوا معه صلاة الصبح ثم قرأ الشيخ يوسف حزب الاستاذ حتى فرغ منه وهم يسمعون له قال فلما طلع النهار خرج الشيخ يوسف يريد القاهرة ويعلم الاستاذ بما وقع له فخرجوا معه وقالوا له والله ياسيدى نحن صرنا عبيدا لك ولا نفارقك ونحن معك حيث ماتتوجه كل ذلك وهو يذكر الله وهم يتبعونه الى أن وصل الزاوية فدخلوا معه الى الاستاذ وكان سيدى فى تلك الساعة على باب الخلوة فتقدم اليه الشيخ يوسف وقبل يده فقال له بارك الله فيك يا يوسف كما حفظت الوصية وجئت بالجماعة قال فلما رأوا الاستاذ ورأوا ما عليه من الهيبة والوقار انكبوا على قدميه يقبلونهما ويبكون ويقولون ياسيدى نحن عبيدك وقد تبنا على يديك ونحن نستغفر الله ولا نعود الى ما كنا فيه قال والاستاذ يقول لهم ما يحصل الا كل الخير ثم أخذوا عليه العهد وبايعهم على الكتاب والسنة وأكل الحلال وترك الحرام والشفقة على خلق الله تعالى والعمل بالطاعة فقبلوا ذلك من الاستاذ وأقاموا عنده ذلك اليوم والليلة قال فلما أصبحوا استأذنوا من الاستاذ بالرجوع الى قليوب وهم يبكون فاذن لهم وصاروا من جملة الفقراء المحبين ولا يقطعون حضور ميعاد سيدى وكل قليل يزورون سيدى ويتمتعون برؤيته ويلازمون الاذكار والاحزاب وصاروا من أهل الاجتهاد والصيام والقيام وكانوا فى الورع يضرب بهم الامثال ومن كراماته ما أخبرنى به الشيخ شمس الدين بن عبد القادر وهو معروف بالصدق والديانة والعدالة والصيانة قال أخبرنا الشيخ شمس الدين بن كتيلة رحمه الله قال جاء رجل الى الاستاذ وقبل يده وجلس بين يديه ثم قال ياسيدى قد بلغنى انكم تعلمون علم الكيمياء والمقصود من سيدى ان يعلمنى هذا العلم ليغنينى عن سؤال الناس واستعين بذلك على طعام الفقراء والعيال قال فقال له الاستاذ ان أردت ذلك فاقم عندنا سنة كاملة بشرط انك كلما أحدثت تتوضأ وكلما توضأت تصلى ركعتين فقال سمعا وطاعة ياسيدى فأقام ذلك الرجل فى زاوية الاستاذ سنة كاملة على هذا الحكم قال فلما بقى من السنة يوم واحد تقدم الرجل الى الاستاذ وقال له ياسيدى غدا آخر السنة فقال له فى غد ان شاء الله تعالى تقضى حاجتك قال فلما كان من الغد قال له الاستاذ قم واملأ دلوا من البئر لاجل الوضوء فقال له سمعا وطاعة قال ثم قام وشمر اكمامه وشد وسطه وملأ من البئر دلوا فطلع الدلو مملوأ فضة قال فصبه فى البئر والاستاذ ينظره ثم ملأ دلوا آخر فطلع مملوأ ذهبا فقال له الاستاذ خذ من ذلك ما شئت فقال والله ياسيدى ما فى شعرة تشتهيه فقال له صبه مكانه واذهب الى بلدك فانك قد صرت كلك كيمياء قال فعند ذلك ذهب ذلك

الرجل الى بلده وأقام فى زاوية هنالك وصار يدعو الناس الى الله تعالى حتى انتفع على يديه خلق كثير وأرسل يقول للاستاذ ياسيدى والله هذه هى الكيمياء الحقيقية فجزاك الله عنى خيرا قال ومات ذلك الرجل عن فقراء ومحبين ومعتقدين وكلهم متبعون طريقته حتى لحقوا به رضى الله عنه وأخبرنى سيدى شمس الدين بن عبد القادر قال أخبرنى الشيخ شمس الدين بن كتيلة قال كان الاستاذ اذا صلى كان يصلى عن يمينه أربعة روحانية وعن يساره أربعة جثمانية فاما الاربعة الروحانية فهم من الملائكة وأما الاربعة الجثمانية فمن أولياء الله ولا براهم الا الاستاذ وأخبرنى الشيخ أبو الخير عن ابنة الاستاذ واسمها الست قطر الندا قالت كانت لى ابنة صغيرة فوقعت من أعلى مكان عندنا فى البيت قالت فاندهلنا وصحنا بأعلى أصواتنا وقلنا أدركنا ياسيدى محمد ياحنفى فانشعر الا وشخص قد وضعها بين يدى وقال ياسيدة خذى ابنتك فهى سالمة قالت له من تكون قال أنا من الجن من اتباع الاستاذ وقد كان عهدنا ان لا نضر أحدا من أولاده ولا من اتباعه الى يوم القيامة ولا نستطيع أن نخالفه وأخبرنى الشيخ نور الدين الخلصى قال لما توفى الشيخ أبو بكر الطرينى وقد تخلف بعده أخوه سيدى محمد فكان أبو بكر قد عهد الى أخيه سيدى محمد عند موته أنه يلازم باب المدفن ولا يفارق عتبة الضريح فاقام سيدى محمد على ذلك مدة من السنين قال الشيخ نور الدين فبينما أنا نائم فى بعض الليالى اذ رأيت الاستاذ فى المنام وهو راكب على فرس بيضاء وهو واقف على باب زاوية الخلصية وحوله جماعة ومن جملتهم الشيخ محمد الطرينى والاستاذ يقول سلموا على أخيكم محمد الطرينى فانه قد أعطى الولاية فى هذه الليلة قال فلما استيقظت صليت الصبح ومضيت الى الزاوية فوجدته فسلمت عليه وأخبرته بالمنام فقال لى بشرك الله بالجنة يانور الدين وجزاك الله عنا خيرا قال فما مضت بعض أيام قلائل حتى هرعت الناس اليه وازدحموا عليه وكثرت حوائجهم اليه وشاع ذكره وانتشر أمره وقد أعطى الشفاعة عند الملوك وغيرهم من الامراء وابناء الدنيا وأرباب الدول والمناصب والحكام وأكابر البلاد فلا ترد له كلمة ولا يخالفه أحد فى شفاعته وكانت الولاة والكشاف والقضاة يترددون اليه فى الزاوية ويتأدبون فى حقه ويقضون له حوائجه ولم يزل مؤيدا منصورا وكان كلامه لا يرد وذكره وتسبيحه لله لا يعدع ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فرحم الله سيدى محمد الطرينى ورضى عنه وجعل الجنة مثواه ونفع به وبسلفه آمين ما كان أشفقه على المسلمين وأعزه لاهل الحق والدين فلقد كان سيدى كلما سمع عنه ذلك الامر يقول اللهم زده خيرا وأعنه على الخير واجعله ممن يهدى به آمين ومما وقع للاستاذ ما حكته ابنته الست قطر الندا الملقبة بام المحاسن قالت كنت مع والدى بالروضة بالقاعة الكبرى المطلة على بحر النيل السعيد فلما كان وقت الغروب واذا بشئ مثل الندا قد ملأ الجو واذا بجماعة صاعدين من البحر عليهم الثياب البيض الزاهرة والعمائم النظيفة والطيالسة نازلة على أعقابهم وعليهم أنوار وبهاء عظيم فدخلوا من طيقان القاعة

واصطفوا

واصطفوا للصلاة فلما قام الاستاذ لصلاة المغرب صلوا معه جميعا بصلاته قياما وركوعا
وسجودا فلما سلم الاستاذ سلموا وذكر سيدى وذكروا ودعا الله تعالى ودعوا ثم تقدموا الى
الاستاذ وقبلوا يده ونزلوا من الموضع الذى صعدوا منه الى البحر بثيابهم وكان ذلك فى
منتهى زيادة النيل قالت فقلت ياسيدى اماتبتل ثيابهم من الماء فتبسم وقال هؤلاء جماعة
من عباد البحر ومسكنهم فيه جاؤنا للزيارة وقال الشيخ أبو الغيث قد حكت لى أيضا سيدتى
قطر الندا قالت قام الاستاذ لورده فى الليل فرأى فى دور القاعة التى فى بيته رجلا واقفا
فقال له الاستاذ من أنت فقال ياسيدى لص فقال له اسرق واقض شغلك فقال ياسيدى
ما أقدر أتحرك بحركة قط فدعاه الاستاذ عنده فجاء اليه فجعل سيدى يتلطف به ويقربه اليه
وهو يقول ياسيدى تبت الى الله على يدك قالت فكانت توبته صادقة واستمر فى خدمة
والدى بالزاوية الى أن توفى الى رحمة الله تعالى قلت وأخبرنى الشيخ أحمد المعروف بابن
لاشين الابوصيرى قال مما وقع لى مع الاستاذ رحمه الله انى كنت واقفا ذات يوم فى الزاوية
فدعانى الاستاذ فاسرعت اليه ووقفت بين يديه فقال يا أحمد أخرج فى هذه الساعة الى
القاهرة وشق شوارعها وأسواقها وارفع صوتك بين الناس وقل يا أهل الاشواق من أهل
الاسواق يقول لكم محمد الحنفى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى أفانت تقدر تفعل هذا
فقلت ببركة سيدى ان شاء الله فقال قم وافعل ما أمرتك به ولا تخالف ولا تخف قال فخرجت
من ساعتى وجعلت أشق الاسواق والشوارع وارفع صوتى وأقول ما أمرنى به سيدى
والناس يسمعون كلامى ويبهتون ويتعجبون منى ومن قوة جنانى ولم أترك بالقاهرة لا شارعا
ولا سوقا ولا قيسارية ولا غير ذلك الا سلكت ذلك الموضع وقلت هذا الكلام وأقمت على ذلك
ثلاثة أيام حتى شاع هذا بين العلماء والقضاة والامراء وبلغ ذلك السلطان الاشرف ولم يقدر
أحد من أهل المدينة ينطق بكلمة ولا يتفوه بشئ الا أنهم يسمعون ما أقول وهم سكوت
قال فمررت ذات يوم على مجلس من مجالس الشهود ووقفت حذاءهم ورفعت صوتى وقلت
يا أهل الاشواق من أهل الاسواق يقول لكم سيدى محمد الحنفى حافظوا على الصلوات
والصلاة الوسطى قال فنادانى رجل من ذلك المجلس فجئت اليه فقال لى بحضرة أصحابه
ياولدى ماهذا الا قول الله تعالى ايش كان سيدك قال فلم التفت اليه ووليت عنه وصرت
أقول ما كنت أقوله حتى وصلت الى زاوية الاستاذ فرآنى سيدى فدعانى عنده وقال لى
يا أحمد ايش جرى لك فى ذلك اليوم ولم يقل لى قبل ذلك اليوم شيئا فقلت ياسيدى جرى لى مع
رجل من الشهود ماهو كذا وكذا فقال لى يا أحمد ماعليك منه ولكن ان شاء الله
ما يحصل الا خير فكن على حالك ولا تبال قال فصرت ملازما لما أمرنى به الاستاذ فلما كان
اليوم الرابع من ذلك اليوم مررت بذلك المجلس الذى فيه الشهود وأنا أقول ما كنت أقول
فدعانى واحد منهم وقال لى ياسيدى شئ لله من خاطرك ياسيدى يا شمس دين الله يا حنفى

اما تعرف يا سيدى ما الذى جرى للرجل الذى قال لك ما قال فقلت لا قال انه قد مات بالامس ودفن فقلت انا لله وانا اليه راجعون قال فرجعت واخبرت الاستاذ فقال لى يا أحمد كل شئ بقضاء الله وقدره ثم قال لى لا تعد تفعل ما أمرتك به وحكى أن الاستاذ السيد محمود قال مما وقع لى مع مملوك خاصكى وكان من أصحاب سيدى عمر وكان اسمه شادبك وكان سيدى عمر جعله وصيا على ماله بعد موته قال فدخلت على سيدى عمر وقلت له كيف تجعل هذا وصيا على مالك ويصير له كلام على الاخت وتكون تحت حجره وتحت أمره ويحصل لها بسبب ذلك قهر فقال كيف أفعل فقال اجعل لها النظر وتصير تقبض وتصرف وأنت تعرف يا سيدى انها دينة وأمينة فقال سمعا وطاعة فاشهد عليه بذلك ورفعوا الامر الى قاض حنفى وحكم بصحة الوصية فبلغ الخبر الى المملوك الذى كان وصيا فشق عليه ذلك وحقد فى نفسه على سيدى محمود وقد أضمر له سوأ فركب المملوك وتوجه الى الوزير المعروف بالبباوى وقص عليه القصة وسلطه على سيدى محمود وقال له خذ منه من المال ما شئت فارسل الوزير الى سيدى محمود فحضر اليه وكان أرمد بعينيه قال فلما وقف بين يديه قال له احضر لى ستة آلاف دينار والا أعلم السلطان بما فعلت قال وكان فى ذلك الوقت والدى قد انتقل قال فامر بى فى الترسيم فاقمت فيه أياما ثم انه أرسل الى فلما وقفت بين يديه أغلظ على فى الكلام وكلمنى كلاما سيأ وسألنى ثم قال لى بعد ذلك نبدل الستة آلاف بستمائة دينار فلم أرد عليه جوابا لانى ليس معى من ذلك ولا دينار واحد ثم قال لى أخرج وائتنى بذلك والا فعلت وتركت وهددنى بالضرب قال وبعد ذلك أمر بالقائى على الارض وأمر بضربى فوالله العظيم لقد رأيت والدى فى هذا الوقت واقفا امامى على هيئته التى كان عليها فى الدنيا ومعه عكاز وهو يشير به الى الوزير قال ففى الوقت أمر الوزير باقامتى من على الارض والهم الله تعالى المملوك ان يقول للوزير ان مرسومكم يكون عندى فى بيتى فى الترسيم فادخلونى فى الترسيم حتى يغلق ذلك المبلغ قال فامر الوزير ان أتوجه الى منزلى وآته به قال سيدى محمود فاخذنى بصحبته وأراد أن يوقع بى أمرا فتركته ودخلت منزلى فالهمنى الله تعالى النوم فرأيت فى تلك الليلة والدى وهو يقول لى لا تخف فانك تخلص على أحسن حال فجلست ذلك اليوم فى منزلى فرأيته فى الليلة الثانية كانى نزلت عنده فى قبره وهو جالس فيه وهو يقول لى اما ما كان من أمر شادبك فانه قد انقضى شغله على آخر هذا الشهر فقلت يا سيدى ما يصدقنى أحد فقال قل هذا الكلام ولا تبال بمن كذب أوصدق قال فلما أصبحت واذا بشادبك جاء الينا وجعل يعتذر الى فقلت له يا شادبك انتهى شغلك آخر هذا الشهر فقال لى يا سيدى أنا أستغفر الله العظيم فى حقك ولا تؤاخذنى فقلت له والله اذا خرج السهم من كبد القوس لم يرد قال فكشف لى عن باطنه فرأيت تحت لباسه شيأ كهيئة البطيخة قال لى والله انى رأيت والدك فى هذه الليلة وهو يعاتبنى بسببك وقد ضربنى بحربة بيده فى بطنى فانا أتألم منها الغاية الآن

فقلت

فقلت له والله يا شادبك قد نفذ الامر قال والله فكان الامر كذلك فمات شادبك آخر الشهر قلت وحكى لى الشيخ شمس الدين بن كتيلة رحمه الله قال لما تزوجت بابنة الاستاذ ونقلتها الى المحلة الكبرى بعد وفاة سيدى فكانت النساء يأتين اليها ويسلمن عليها فكانت تطعمهن من جميع ما فى المنزل ولا تدع واحدة منهن تخرج حتى تطعمها وذلك من مكارم أخلاقها ومن سخاوة نفسها قال فلما طال الامر على قلت لها يابنت سيدى أنا ما أقدر على هذا الحال فانى فى ذلك الوقت فقير وأنا على باب الله فقالت له أنا ما أكلفك بشئ تشتريه ولا يكون خاطرك الا طيبا قال فما تم لنا كلام حتى دخلت علينا امرأة ومعها دقيق وأرز وبصحبتها جدى سمين وبعض من القرع فقام أهل البيت وأخذوا ذلك منها وذبحوا وطبخوا وأكلنا وقد وسع الله علينا قال فنمت تلك الليلة فرأيت الاستاذ فى النوم وهو يقول لى يا محمد مالك تقهر ابنتى وتقول لها كذا وكذا كم بعت بيتا عليها كم بعت قاعة كم بعت حانوتا عليها فقلت والله ياسيدى ما بعت شيأ من ذلك الا أن الوقت ضيق على الفقير فقال لى يا محمد اجعلنى سجنك فكلما ضاقت عليك الحال قل ياحنفى قال فامتثلت أمره فوالله ما ضاقت على الا وقلت ياحنفى وأكررها مرارا حتى يبعث الله لنا الخير من جميع الجهات حتى كنت ما أعرف أضع الرزق فى أى موضع من كثرته وكل ذلك من بركته رضى الله عنه قلت ومما وقع لابنة الاستاذ والدة سيدى أبى الغيث رضى الله عنه أنها لما حملت بسيدى أبى الغيث وكانت فى زمن الوحم قد اشتهت شيأ من طلع النخل وذلك بعد وفاة الاستاذ فارسلت زوجة سيدى الى الخولة الذين كانوا فى الجنينة التى كانت بالروضة تطلب منهم كوز طلع لابنة الاستاذ فجاء القاصد للخولى محمد البطنى ولاحمد بن الشنيف وقال لهما ان بنت الاستاذ طالبة شيأ من طلع النخل فانها تتوحم عليه فقالا سمعا وطاعة قال ثم دخلا الجنينة وصار كل واحد منهما يطلع نخلة لعله يظفر بشئ من الطلع فلم يجدا شيأ من ذلك فقالا للقاصد والله ما وجدنا شيأ فرجع القاصد وأخبر زوجة الاستاذ فاخبرت بنتها بذلك فاغتمت غما شديدا قال فلما كان من غداة اليوم الثانى جاء أحمد بن الشنيف أحد الخولة الى بيت سيدى وأرسل لزوجته كوزين من الطلع واعتذر وقال والله ما دلنا عليهما الا الاستاذ فى هذه الليلة جاء الينا مناما وقال يا أحمد ان ابنتى آمة الله زوجة الشيخ شمس الدين بن كتيلة أرسلت لكم قاصدا تطلب منكم شيأ من الطلع وانها تتوحم فما وجدتم لها شيأ قال نعم ياسيدى ما وجدنا شيأ فقال له افتقد النخلة التى وراء باب الجنينة عن يمينك فتجد فيها كوزين فلما أصبحنا أخبرنى أحمد الخولى بذلك ثم طلع الى تلك النخلة التى دله عليها سيدى فوجد فيها هذين الكوزين وأرسلهما اليكم فهذه كرامة منه رضى الله عنه قلت ومما وقع لسيدى مما يحكيه عن نفسه وقد سأله بعض أصحابه عن سبب تأليفه الحزب المبارك المشهور فقال كنا فى ابتداء الامر محافظين على حزب سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه فكان بعض الناس

يستطيلونه فاستخرت الله تعالى وجمعت هذا الحزب من الكتاب والسنة قال فلما فرغت
من تأليفه أخفيته ولم أعلم به أحدا وقلت انى لا أظهره الا باذن سيدى أبى الحسن
الشاذلى فبينما أنا نائم ذات ليلة وهو يقول لى يا محمد اظهر حزبك الذى ألفته وأمر أصحابك
يقرؤنه فقلت يا سيدى ان حزبكم فيه كلة جمعت خير الدنيا والآخرة فهل فى حزبى شئ
من ذلك فقال نعم قلت وما هو قال قولك فيه واعصمنى من كل هلكة قال فلما أصبحت أظهرته
باذن سيدى أبى الحسن الشاذلى وأشهرته بين أصحابى فحفظه الناس وداوموا عليه ولله
الحمد والمنة قال وسمعت الشيخ شمس الدين بن كتيلة قال كنا فى مجلس الاستاذ رحمه الله وكنا
جماعة فجرى فى المجلس ذكر ابليس لعنه الله فقال رجل من الحاضرين لعنه الله فالتفت
اليه الاستاذ وقال له ولو كانت لعنته تجوز ولكن لا تعود لسانك الا على الخير قال رضى
الله عنه يقول كنت يوما من الايام فى بيت الاستاذ مع ابنته وبيننا طعام ولحم واذا بقط قد
تعرض لنا وخطف قطعة لحم من المائدة قال فقلت له لعنك الله وطردته فقالت ابنة الاستاذ
يا سيدى ما شأنك تذكر اللعنة على لسانك ثم قامت عن المائدة فقلت لها الى أين فقالت الى
والدى واخبره بما وقع منك فقلت لها بالله عليك لا تخبريه فانى أستغفر الله وأتوب اليه قال
فرجعت وجلست مكانها على المائدة وهى تقول لى يا سيدى مثلك يقول ذلك وأنت
رجل يقتدى بك وتفتى المسلمين فى أمور دينهم فقلت لا أعود لمثل ذلك أبدا قلت وكان
الشيخ شمس الدين رحمه الله تعالى يقول عن الاستاذ رضى الله عنه انى سمعته يقول والله
ماذكر فى مجلسى ذمى بسوء ولله الحمد على ذلك قال وكان سبب ذلك ان رجلا كان فى مجلس
الاستاذ فقال له كنت عند القاضى ولى الدين بن قاسم فسألته فى شئ من الدنيا فاعطانى
أربعين درهما فقال الاستاذ رحمه الله الذى لا شئ لك عنده ما أعطاك خذه فقال الرجل
لا اله الا الله ومتى كان القاضى ولى الدين بن قاسم قال فلما سمع الاستاذ منه ذلك نهض من
مجلسه قائما ودخل الخلوة وأغلق عليه الباب وصرنا نحن فى خجل عظيم واستحياء منه قال
بعض الجماعة لذلك الرجل هكذا تفعل حتى احرمتنا ان نتمتع برؤيته وفرقت بيننا وبينه حتى
قال فازددت والله خجلا على خجلى وصرت متحيرا فى أمرى فضيت الى خلوة فدخلتها وأغلقت
على الباب وجلست أستغفر الله تعالى مما قلته قال فلما كان بعد ساعة سمعت خلوة الاستاذ
قد فتحت واذا به قد ظهر وجلس مكانه قال فاسرعت اليه وقبلت يده وقلت يا سيدى أنا
أستغفر الله مما صدر منى فقال ما أحسن هذا وصرت من ذلك الوقت تابعا لطريقته فرحمه
الله ما كان أحسن تعليمه لاصحابه وما كان ارأفه بهم وما كان أشفقه عليهم فجزاه الله عنا
خيرا قلت

ومما وقع للاستاذ رحمه الله ان رجلا من أعيان الناس دخل يوما اليه وسلم عليه وجلس بين
يديه ومعه شاب من طلبة العلم فسأل الاستاذ فى ذلك الشاب ان يرسل مكاتبة للشيخ شهاب

الدين

الدين بن جبران بمجلسه فى المكان الفلانى شاهدا من طلبة العلم وهو فقير الحال فكان جواب الاستاذ له ان رأيت ان تركب معنا غداة غد الى الروضة فقال سمعا وطاعة قال فلما أصبح ركب الاستاذ فى جماعة من وصحابه وقصد الى الروضة وبصحبته ذلك الرجل الشفيع فبينما الاستاذ سائر بين مصر العتيقة وبين المدينة اذ وقع نظره على ذلك الشاب فوجده مستقبل القبلة مكشوف العورة وهو يبول فى الطريق قال فطلب الاستاذ ذلك الرجل الشفيع فلما حضر قال له يحل لك من الله تعالى ان تشفع فى هذا الشاب وهو يفعل ذلك قال فالتفت الشفيع الى ذلك الشاب فلما رآه على تلك الحالة قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قال ياسيدى أنا أستغفر الله تعالى وأتوب اليه ولا أعود أتكلم فى مثل هذا أبدا ولا أقع فيه فانظروا الى هذا السيد العظيم الذى قد أطلعه الله تعالى على هذا الشاب انه يقع منه هذا الامر فى ذلك اليوم وكيف قال لذلك الرجل الشفيع ماترى يافلان ان تركب معنا غدا الى الروضة حتى يريه كيف حال ذلك الشاب فرحم الله سيدى لقد كان ينظر بعين قلبه مالا ينظر بعين رأسه ورأيت الشيخ أحمد بن لاشين الابا صيرى المتقدم ذكره قال قدم فقير الى المدينة فنزل فى حارة تعرف بعطية فريج فى مسجد فيها تصلى فيه الاتراك وغيرهم وكان ذلك الفقير عريانا وفى وسطه مئزر وسروال وله شعرة اذا حلها تغطى اكتافه فأقام فى تلك الزاوية يذكر الله تعالى ليلا ونهارا حتى هرع الناس اليه وازدحموا عليه وصاروا يحملون له الاطعمة والخبز والهدايا الحسنة والذهب والفضة وصار على بابه القضاة والامراء والتجار وأرباب الدول قال لى أحمد بن لاشين فلما سمعت به مضيت اليه ودخلت عليه فرأيته فى خلوة ورأسه مكشوف وهو عريان وفى وسطه مئزر وهو جالس على سجادة وعيناه محمرتان وهو يذكر الله تعالى ذكرا خفيا والناس يدخلون اليه ويتبركون به وهم يتعجبون من أمره فلما رأيت ذلك ملأت نظرى منه قال ثم رجعت الى الاستاذ وأخبرته بما رأيت منه فقال لى ياأحمد وما اسمه قلت ابراهيم فقال اذهب اليه وقل له ياابراهيم كلم محمدا الحنفى قال فلما قال لى الاستاذ هذا الكلام غاب صوابى قال فعرف الاستاذ حالى فقال لى مالك يا أحمد اذهب وائتنى به ولا تبال به قال فذهبت اليه بقلب مثل الحديد حتى دخلت عليه فلم أجد فى زاويته أحدا من المخلوقات لا من الرجال ولا من النساء وهى خالية فقلت انا لله وانا اليه راجعون قال ثم دخلت عنده فوجدته جالسا وحده فقلت له السلام عليكم ورحمة الله قال فرد على السلام ثم جلست بين يديه هنيهة وقلت له ياشيخ ابراهيم كلم الاستاذ الحنفى قال فتغير لونه كأنه صبغ بزعفران ثم قال لى ياسيدى أكلم من فقلت سيدى محمدا الحنفى فقال أى شئ أكون أنا وما مقدارى حتى يبعث الى الشيخ الحنفى وانى رجل مسكين وغريب قال فقلت له ياشيخ ابراهيم لابد من رواحك اليه قم ولا تتهاون ولا ينبغى أن تتأخر عنه قال فسكت ساعة ثم قال بالله عليك يافقير خذ هذين الزوجين الاوز كلهما أو بعهما وسدعنى

فقلت لا تطل فلابد من رواحك معي اليه قال فرفع طرف السجادة فوجدت تحتها فضة كثيرة فقال يا فقير خذ من هذه الفضة ما يكفيك وسد عني هذا الطلب فقلت له يا شيخ ابراهيم قم بلا كلام فلابد من رواحك قال فلما رأى مني الجد قام وخرج معي وهو متغير لونه فاخذته ومررت به على مسجد الست مسكة ولم أمر من سويقة السباعين مراعاة لخاطره حتى وصلنا الى باب الزاوية فاراد أن يرجع ثم قال لي ياسيدى سد عني غيبة الاستاذ وقل له انه وصل الى باب الزاوية واستحى أن يدخل قال فقلت له يا شيخ ابراهيم لا تكره الاجتماع على الاستاذ فان اجتماعك به يحصل لك منه خير كثير وينظر لك وهذه المدينة ما هي قليلة ومثلك يحتاج الى معرفة سيدى ولم أزل به أخاطبه حتى أدخلته الزاوية فرأينا الاستاذ جالسا على باب الخلوة قال فلما وقع نظره على الاستاذ اضمحل وعرف مقام الاستاذ وتلاشى عنده مقام نفسه ولم يعلم ان في الزاوية مختبا فمنذ ذلك تقدم الى الاستاذ وجلس بين يديه على ركبتيه طارقا رأسه الى الارض قال فلما رأيت ذلك تأخرت فتكلم معه الاستاذ بكلام خفي وهو طارق رأسه لا يستطيع ان يرد عليه جوابا قال فلما كان بعد ساعة يسيرة قد أشار اليه الاستاذ بالقيام فقام من بين يديه ورجع الى خلفه قليلا حتى خرج من باب الزاوية فمشيت وراءه قليلا ورجعت عنه فلما كان من اليوم الثاني ذهبت اليه لانظر كيف حاله بعد ذلك قال فلما وصلت الى زاويته لم أجدها مخلوقا ولا لها حس امثل العادة ولم أجده فخرجت من الزاوية فالتفت يمينا وشمالا فوجدته جالسا على دكان بسويقة السباعين فلما رأيته من بعيد رجعت الى زاوية الاستاذ قال فلما كان آخر النهار مضيت اليه فلم أجده أصلا فسألت عنه صاحب الدكان فقال والله يا فقير ما كان شيأ كان وقد ارتحل من هذا المكان ولم نعلم أين ذهب والزاوية مقفولة كانه لم يكن بها أنيس ولا حس حسيس قال فرجعت الى الاستاذ فقال لي يا أحمد أين صاحبك فقلت سبحان من يعلم بحاله فقال لا اله الا الله والله يا أحمد يا ولدى هذه مائدة لا يجلس عليها طفيلي رضي الله عنه قلت وأخبرني سيدى محمود رضي الله عنه قال كان من جملة أصحاب والدى امرأة مغربية وكان اسمها منصورة وكانت من الطيارة وهي تحفظ القرآن فقال لها يوما الاستاذ يا منصورة أطعمينا حب العزيز فقالت سمعا وطاعة فغابت مقدار عشرة أيام من غير زيادة ثم حضرت ومعها حب العزيز أخضر بعروقه فقال لها الاستاذ من أين هذا قالت من جهة يزرعونه للصدقة على الفقراء فقال لها الاستاذ هو صدقة عليك وهدية لنا قال وكان من جملة أصحابه امرأة تسمى مرحبة قالت له يوما ياسيدى ما أحسن السجود بين الملائكة على السماء فقال لها محبة الله خير من ذلك قال فاستغرقت في المحبة ثلاثة أيام فلما أفاقت قال لها يا مرحبة شاهدت مقاما يليق بك ومما اخبرني به الفقيه علم الدين سليمان السملاوى رحمه الله قال كنت يوما واقفا بزاوية الاستاذ الحنفي مع بعض الفقراء واذا بقائل يقول يا سملاوى كلم الاستاذ قال فاسرعت اليه وتمثلت بين

يديه فقال يا سليمان اخرج فى هذه الساعة وانت تذكر الله ولا تغفل عن ذكر الله حتى تصل الى مصر العتيقة ثم عد الى الروضة فاذا اطلعت البهاشق فى شوارعها وانت تذكر الله وعليك بالمواضع الخربة المهجورة وأكثر من ذكر الله فيها حتى تشهد لنا المواضع والبقاع والخرابات والعمران والطرقات يوم القيامة قال فقمت من ساعتى وخرجت وأنا أذكر الله تعالى جهرا رافعا صوتى حتى وصلت الى مصر العتيقة ثم عديت الى الروضة ومشيت فى شوارعها ثم دخلت الى المواضع الخربة المهجورة وأنا أذكر الله فيها فرأيت دارا خربة فدخلتها فاذا فيها عبدا اسود و بين يديه رجل ذا هيئة عظيمة كهيئة القاضى وتحت ذلك العبد سجادة مفروشة وذلك الرجل يقرأ فى كتاب والعبد يشرح له فيه قال فلما دخلت ذلك الموضع قلت السلام عليكم ورحمة الله فرد على السلام فقال لى ذلك العبد كان الاستاذ الحنفى أمرك بذلك فقلت له نعم فقال لى من وفق للذكر فقد أعطى منشور الولاية قال فلما فرغ ذلك الرجل من قراءته قرأ الشيخ سورة الفاتحة ودعا الله تعالى وقال لى اقرئ الاستاذ منا السلام فقلت له سمعا وطاعة ثم خرجت من عنده وأنا أذكر الله تعالى حتى دخلت على الاستاذ فقال لى يا سليمان ايش جرى لك مع العبد قال فسقطت على الارض كالمغشى عليه فلما رجع الى حالى قلت يا سيدى قال لى من وفق للذكر فقد أعطى منشور الولاية فقال صدق هكذا روى عن سيدى المرسلين صلى الله عليه وسلم قال ثم حكيت له ما رأيت من العبد ومن أدب الرجل الذى كان معه فقال لى يا سليمان أنظر الى هذا العبد الذى لا يعبأ به الناس ولا يلتفت اليه أحد على هذه الحالة التى هو فيها فاياك يا سليمان ان تحتقر باحد من الناس وسلم للناس أحوالهم تسلم فان التسليم أسلم ومن سلم سلم قال وقد كنت قبل ذلك لا أعتقد فى أحد من الفقراء ولا أعبأ بهم حتى أدبنى الاستاذ فأنا الآن اعتقد فى جميع الفقراء وأحسن ظنى بهم واحترمهم واعتقد بركاتهم رحم الله الاستاذ ما كان أحسن ظنه بالمسلمين والطفه بالفقراء والمساكين قلت ولقد صدق الفقيه سليمان فى ذلك فلقد كان الاستاذ كذلك مع وجود ارتفاع منزلته وعلو رتبته وعظم شأنه وما أعطاه الله من الهيبة والوقار وقد كانت الملوك والامراء وأرباب الدول والمناصب والمراتب العلية يجلسون بين يديه طارقين رؤسهم الى الارض كأن على رؤسهم الطير من هيبته لا يلتفت أحد منهم يمينا ولا شمالا فاذا انصرف أحد من بين يديه لا يقدر ان يعطيه ظهره بل يمشى الى خلفه خطوات حتى يبعد عنه و يعرف ان الاستاذ قد اشتغل بغيره من الناس ومع وجود هذا كله من جملة محبيه رجل يعرف بشمس الدين بن مكى أعرفه كان قد احتاج الى الاستاذ فى حاجة وذكرها له عسى أن تقضى على يديه فكثرت الناس على الاستاذ حتى اشتغل عنه فانقطع عن الاستاذ أياما وكان يقرأ بجوقة وكان له صوت عظيم وكان يقرأ ليلة ميعاد سيدى وله رفيق آخر يقرأ بجوقة أخرى يعرف بشمس الدين بن كاتب الدجاج

أعرفـه وصحبتـه وكان سليم الصدر حسن الظن بالناس فلما انقطع شمس الدين بن مكى عن عادته وعن حضور ليلة الميعاد عرف الاستاذ أنه قد وجد علة فى قلبه فارسل له بعض الفقراء قال فلما حضر كان الاستاذ فى البيت فظهر فرآه واقفا فكشف الاستاذ عن رأسه واستغفر فى حقه فجعل ابن مكى يبكى ويقول ياسيدى أنا أستغفر الله فالذنب منى لا منك قال فلما هدأ ابن مكى من بكائه أعطاه الاستاذ شيأ من الدنيا له صورة ومما وقع للاستاذ أيضا أنه كان راكبا فى بعض الايام مع أصحابه قاصدا الى الروضة واذا به قد صاح صيحة عظيمة ونزل عن الفرس ثم أخذ طيلسانه من على رأسه وشد وسطه ففعلوا أصحابه كلهم كذلك ثم مشى فمشوا معه فبعد ساعة حل الاستاذ وسطه وركب الفرس فركبوا خيولهم وساروا معه ولم يعلموا لذلك سببا الا أن بعض الفقراء قال كان الاستاذ تحركت عليه نفسه ففعل ذلك تأديبا لها وتواضعا لله تعالى قال سيدى أبو الخير ولد الاستاذ رضى الله عنه قال قلت يوما لوالدى ياسيدى قد اشتقنا الى الروضة فعسى أن تركب اليها ونكون بصحبتك قال حتى تحضر النية الصالحة التى ليس فيها حظ للنفس فدل ذلك على ان الاستاذ رحمه الله كان لا يركب لموضع الا بنية صادقة ليس للنفس فيها حظ ومما وقع للاستاذ فى زمن الملك المؤيد الشيخى ان كاتب السر المعروف بالبارزى عمل وليمة وذبح فيها من الذبائح الكثيرة وطبخ أطعمة مفتخرة مختلفة الالوان وجمع فيها أعيان أهل مصر كالائمة الاربعة وغيرهم من العلماء والقضاة والامراء وأعيان الاغنياء من أرباب الدنيا وأرباب الدول والمناصب ثم أرسل ولده للاستاذ يدعوه الى منزله فلما حضر ولد كاتب السر الى الاستاذ جلس بين يديه وقبل يده وقال له ياسيدى كان والدى كاتب السر عنده فى هذا اليوم وليمة وقد حضر فيها مشايخ كثيرة منهم الائمة الاربعة والعلماء والقضاة وغيرهم ورأى ان المجلس لا يتشرف الا بحضورك قال فنظر الاستاذ الى ولد كاتب السر وقال له والله ياولدى أنتم ما تدعون الناس الى منزلكم تجبرون بخواطرهم وانما تدعونهم يأكلون من طعامكم لتفتخروا به عند الناس وتقولوا عملنا وليمة وحضر فيها فلان وفلان وتجعلون الفقراء فى أفواهكم حكاية ولا تقصدون بذلك جبر خواطر الفقراء والله ياولدى ما وطئ حافر فرسى باب أحد على هذا الوجه الاخربت دياره قال فلما سمع ذلك ابن كاتب السر قال له والله ما اعترض عليك ثم قبل يده وخرج من بين يديه وركب الى منزله وأخبر والده بذلك قال فما زال كاتب السر ممقوتا عند الملك المؤيد حتى قتله قال وقد تقدم شئ من ذلك فى أثناء هذا الكتاب قلت وكنا جماعة مع الاستاذ وقد ركب الى التاج والسبع وجوه فلما رجعنا الى المدينة فى اليوم الثانى كنت ماشيا تحت ركاب الاستاذ ورفيقى سيدى شمس الدين السخاوى المعروف بابن القصبى وذلك قبل أن يتولى القضاء بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم فقال لى أريد أن أسأل سيدى عن الشيخ حسين الحلاج فقلت له تقدم واسأل فتقدم وكنا عن يمين الاستاذ وهو راكب على الفرس فقبل

ركبته فالتفت اليه الاستاذ فقال له ياسيدى ماقولك فى حسين الحلاج فقال رضى الله عنه ونفعنابه هذا قولنافيه وأما غيرنا كالشيخ سراج الدين البلقينى وغيره فانهم يقولون بخلاف ذلك ومن تواضع الاستاذ رحمه الله انه كان له غلام يقال له الحاج على فانقطع عنه يومين فسأل عنه الاستاذ فاخبر أنه ضعيف فركب اليه الاستاذ وكان منزله فى أطراف المدينة قريبا من مصر العتيقة وركب معه جماعة فلما وصل الى بيت الحاج على نزل عن الفرس وفتح له الباب فدخل اليه وسلم عليه وجلس عنده ساعة وبره بشئ من الدنيا له صورة وعوفى الحاج على رحمه الله بعد ذلك بيومين وجاء الى الاستاذ فى الزاوية وكان الحاج على رحمه الله من أهل الدين والتقوى والعفة والامانة وكان هينا لينا قليل الكلام وكان عزيزا عند الاستاذ رحمه الله وكان سيدى كلما كثر تواضعه زاده الله عزا ورفعة وكساه هيبة ووقارا ولقد كان رضى الله عنه اذا عطس فى مجلسه لم يقدر أحد يجلس اذا سمعه بل يقوم من مجلسه بين يديه سواء كان غنيا أو فقيرا أو قاضيا أو أميرا أو صغيرا أو كبيرا حتى يفرغ من عطاسه فيقولون كلهم يرحم الله سيدى ثم يجلسون ولا يلتفت الاستاذ الى ذلك ولا يعبأ به وهكذا كان حاله اذا طلب الكوز ليشرب فاذا تناول الكوز من سيدى أحمد المغربى نفعنا الله به يقول حينئذ كل من فى المجلس بعد شربه هنيأ ياسيدى ثم يجلسون وكل ذلك من الادب فى حق الاستاذ فسبحان من يعز من يشاء ويذل من يشاء قال وكان يهدى للاستاذ الهدايا من سائر الاقاليم اهدى اليه من الهند هدية من جملتها ثوب بعلبكى فى قصبة غاب فارسى وشاش فى فلقة جوز هندى وسمعته مرة يقول رضى الله عنه اهدى الينا من الروم دويبة تمشى على ثلاث قوائم مؤخرها على رجلين وصدرها على واحدة وكانت قدر الجدى الصغير فاقامت عندنا نحو ستة أشهر وماتت واهدى الى الاستاذ من المغرب هدية من سلطان تونس الخضرى المعروف بمولاى أبى فارس من جملتها مشط لتسريح اللحية اذا فردوه يصير كرسيا كهيئة كرسى المصحف فاذا ضموه يصير مشطا ويسرح به اللحية فاهداه الاستاذ الى الملك الاشرف برسباى ففرح به وأعجبه قال واهدى اليه من مدينة دمشق الشام خوخ ويسمى عندهم دراقا كل واحدة تملأ الكف فارسل للملك الاشرف من ذلك قوطتين فاعجب ذلك السلطان وفرق منه على الامراء وأرباب الدولة على سبيل البركة قال وكان من شأن سيدى أن يهادى الملوك لمنافع المسلمين لكثرة حوائج الناس اليه ولكثرة شفاعته عند الملوك والامراء وغيرهم من أرباب المناصب فكانت مقاصده كلها جميلة رضى الله عنه قلت ولقد دخل عليه رجل فى بعض الايام فوجده جالسا على باب خلوته وعليه ثياب جميلة حسنة وكان الاستاذ يزين ما يلبسه ويحسنه بخلاف غيره فتقدم اليه ذلك الرجل فسلم عليه وجلس بين يديه ونظر اليه وهو فى تلك الهيئة العظيمة والجمال العظيم وقال له ياسيدى عن اذنكم أتكلم فقال له تكلم قال ياسيدى طريقتكم هذه ماهى طريقة الاولياء فان

طريقتهم لبس الخشن من الثياب وغيرها فقال له الاستاذ ومامقصودك فقال مقصودى انك تمشى الى القرافة وأنا بصحبتك وتلبس هذه الجبة الصوف التى أنا لابسها وتنزع ماعليك من الملبوس الجميل وقد كان الاستاذ عليه ثوب صوف أخضر شاهق اللون بسجاف طرى قد اهداه له بعض التجار قلت ورأيته على سيدى يوم الميعاد ثم قال له ذلك الرجل نزور القرافة مشاة من غير ركوب قال وقد كان ذلك الرجل يظن بالاستاذ انه لايطيعه فيما قاله فقال له الاستاذ سمعا وطاعة ثم نهض سيدى من وقته ودخل الخلوة ونزع ماعليه ثم ظهر وقد كان الرجل نزع الجبة الصوف التى كانت عليه فأخذها الاستاذ ولبسها قال وخرجا ماشيين حتى وصلا الى باب القرافة فاذا هما ببعض الامراء وهو راكب بين مماليكه وبين اتباعه فنظر ذلك الامير الى الاستاذ وحققه فعرفه فاسرع بالنزول عن جواده وتقدم اليه وقبل يده وقد كان على الامير قباء وكان غالى الثمن لايلبسه الا الملوك فنزعه ذلك الامير من عليه واقسم على الاستاذ ان يلبسه قال فاخذه منه ولبسه ثم حلف عليه ان يركب على الجواد الذى كان راكبه وقد صاح على المماليك ان يعينوه على الركوب فحملوه ووضعوه على سرج الجواد والامير ماسك بلجام ذلك الجواد ومشى بين يدى الاستاذ فقال الاستاذ ان كان ولابد فواحد من المماليك غيرك يفعل ما أردت فصاح الامير على مملوك من مماليكه فحضر وقد أخذ بلجام الفرس التى راكب عليها الاستاذ والامير ركب فرس المملوك باذن من الاستاذ وصار وافى خدمته حتى زاروا جميع من فى القرافة ورجعوا الى الزاوية وقد جلس على الدكة المصوبة فى الدرب قال فلما علم أهل البيت بقدوم الاستاذ ارسلوا له الثوب الصوف الذى كان عليه فلبسه وأعطا الامير القباء الذى كان ألبسه لسيدى فابى أن يأخذه فحلف عليه الاستاذ فاخذه ولبسه لعلمه انه ماهو لبسه قال ثم بعد ذلك قبل الامير يد الاستاذ ومشى خلفه حتى خرج من باب الدرب فركب ومضى الى منزله مع مماليكه قال ثم دخل الاستاذ الى الزاوية وجلس على باب الخلوة وطلب ذلك الرجل فحضر بين يديه فقال له الاستاذ ياهذا قد نظرت ما كنا فيه فهذا شئ أراده الله تعالى وهو سابق فى علمه القديم فما لك والاعتراض فوالله لولا انك من أولاد الفقراء ماحصل لك خير قال فما كان له جواب الا أنه كشف رأسه واستغفر الله تعالى فى حق الاستاذ وطلب منه المبايعة فقال له الاستاذ امدد يدك فناوله الرجل يده فبايعه سيدى وعاهده وصار من أصحابه وكان يتردد عليه ويحضر ميعاده ولازم خدمته الى أن توفى الى رحمة الله تعالى فرحم الله الاستاذ فوالله ما كان فعله سدى وانما كان عن ساقة ربانية حتى ذكروا عنه رضى الله عنه انه مااشترى قط كسوة لنفسه ولا فرسا للركوب وانما كان ذلك كله هبة وهدية من الاصحاب والمحبين ولم يتكلف بشراء شئ من الملبوس والمركوب بل يأتونه بذلك باختيارهم من غير سؤال منه لهم ولقد كان من أصحاب الاستاذ رجل تاجر يعرف بعبد القادر وكان له ولد اسمه محمد وكان يقرأ على فى مكتب

السبيل

السبيل وكان لى عليه فى كل شهر مائة درهم وللعريف الذى يأتى به من البيت الى الكتاب ويمضى به من الكتاب الى البيت خمسة عشر درهما وكان عبد القادر التاجر فى ابتداء أمره رجلا فقيرا فأطلع الله تعالى الاستاذ على حاله وانه سيكون غنيا بعد ما كان فقيرا فقال له الاستاذ ياعبد القادر ان أغناك الله تعالى بعد فقرك ايش تجعل للفقراء المجاورين بالزاوية فى كل سنة من الزكاة فقال ياسيدى اجعل لهم نصف زكاة مالى فقال له لا ولكن اجعل ربع زكاة المال فقال سمعا وطاعة ومضى هذا الكلام وكان عبد القادر فى ابتداء أمره خليعا فى بعض الاسواق ففتح الله عليه وكثر عليه البيع والشراء وعرفه الناس وقصدوه يبيعون له ويشترون منه واقبلت عليه الدنيا حتى كثر ماله وحسن حاله واشترى له عبدين وجاريتين وبنى له اصطبلا للخيل وانتقل من الدكان الذى كان فيه خليعا الى سوق الشرب فكان يذهب اليه راكبا ويرجع الى منزله راكبا وقد تزوج باكثر من امرأتين غير السرارى ومع ذلك كله لم ينقطع عن الاستاذ ولا عن حضور مجلسه ولا خالفه فيما التزمه من أمر الزكاة الذى اتفق عليه مع الاستاذ للفقراء المجاورين ومضى على ذلك سنون قال فلما كان بعد ذلك بعث اليه الاستاذ بعض الفقراء بوصول ليعطيه ثمن جبة صوف أو ثمن عشرة أذرع ملحم وكان ذلك فى يوم العشر فعبس وجهه وأبى أن يعطيه فرجع الفقير خائبا مكسور الخاطر قال فاخبر الاستاذ بما وقع له من عبد القادر التاجر قال فسكت الاستاذ وأطرق رأسه الى الارض زمانا واذا بعبد القادر حضر بين يدى الاستاذ وهو مكشوف الرأس وهو يستغفر له قال فقال له الاستاذ والله ياعبد القادر لقد استدركت فارطك أى ما فرط منك والله ياعبد القادر لو قعدت عنا اليوم ما كان يحصل لك خير فصار يعتذر له ويقول له حلك ياسيدى بحملنى فقال له والله ياعبد القادر ما أخاف عليك الا أنك تعود الى حالتك الاولى فقيرا كما كنت أولا ولكن لا تعود الى مثلها قال سمعا وطاعة تبت الى الله وأنا أستغفر الله قال فاز ال عبد القادر طوعا للاستاذ لا يخرج له عن أمر وعاش مستورا الى أن توفى الى رحمة الله تعالى

ومن كراماته أنه ركب يوما الى التاج والسبع وجوه وبات به ليلة ورجع فى اليوم الثانى من بين القصرين ورجع به أصحابه من غير قصد منه قال فعددت بين يديه ثلاثا وثمانين فرسا غير البغال والحمير وغير المشاة وبين يديه جماعة يذكرون الله تعالى رافعين أصواتهم ومن خلفه كذلك جماعة يذكرون بالنوبة قال فلما وصل سيدى الى الجامع الاقمر خرج الشيخ نور الدين التلوانى من درسه الى الاستاذ ليراه ويسلم عليه وكان لما سمع حس الذكر سأل الطلبة عن ذلك فأخبروه بان هذا الاستاذ الحنفى فاسرع اليه الشيخ نور الدين فلما رآه الاستاذ لوى عنان الفرس الى ناحية باب الجامع ومد يده الى الشيخ نور الدين وسلم عليه فقبل الشيخ نور الدين يد الاستاذ رضى الله عنه قال فلما وصل الاستاذ الى الاشرفية وتعداها هرعت الناس اليه وازدحموا عليه فمنهم من وصل اليه وجعل يقبل يديه ومنهم من

يقبل اقدامه ومنهم من لم يصل اليه من كثرة الازدحام فجعل يحذف منديله أو شده حتى يصيب به الاستاذ ثم يرجع ويضعه على وجهه ويقول والله ان هذا النهار أبرك الايام ومنهم من يرفع صوته بالدعاء للاستاذ ويقول الله يفسح فى أجلك للمسلمين ومنهم من يقول ما اتخذ الله من ولى جاهل حتى علا الضجيج وكثر العجيج وارتفعت الاصوات بالدعاء للاستاذ والثناء عليه وخرج تجار الشرب والتربيعة والخشيبة وهم يقولون الشيخ الحنفى الشيخ الحنفى وصار الناس يتبعونه حتى وصل الى الفاكهانى خارج باب زويلة ومن الناس من مشى معه حتى وصل الى الزاوية ويقبل يده ويرجع وكان يوما مشهودا فسبحان من يعز ويذل والعجب ان من كان راكبا من الامراء والقضاة ووجاه سيدى يرجع مع الجماعة الذين فى خدمته حتى لا يجوز على سيدى وهو راكب فاذا وصل الى الزاوية قبلوا يده ورجعوا الى مقاصدهم ويكون ذلك اليوم أبرك الايام عندهم فسبحان من تفضل عليه بذلك ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم والله العظيم لقد سمعت بعض كبراء الاعيان يقول والله طيب يا حنفى لك مدة خمسين سنة أو أكثر فى هذه الولاية ولا طفئت لك نعمة ولا ردت لك كلمة ولا شفاعة فسبحان المعطى الوهاب ومن مكارم أخلاق الاستاذ رحمه الله ما حكاه الفقير الى الله تعالى تقى الدين عبد الرحمن السويفى قال كنت يوما مارا فى بعض أزقة المدينة فرأيت رجلا من أعيان الشهود وكنت أعرفه واقفا على باب بيته وكان ذا هيئة حسنة فقلت له السلام عليكم فقال وعليكم السلام من أين جئت قلت له من زاوية الاستاذ الحنفى قال فأسمعنى فى سيدى ما أكرهه حتى خجلت من كلامه وكتمت ما معى قال فلما رجعت الى الاستاذ أخبرته بما قال لى ذلك الرجل وسميته له فعرفه قال فاطرق الاستاذ رأسه الى الارض ساعة ثم وضع يده فى جيبه فاخرج منه ثلاث أشرفيات وقال لى خذ هذه واذهب الى بين القصرين فاشتر بها قصباء عراقيا وتينا ولوزا وبندقا وجوز قلب وحلاوة جوزية وان فضل معك شئ فاشتر به تفاحا وكمثرى واحمله الى ذلك الرجل وسلم عليه قال فخرجت من بين يدى الاستاذ وامتثلت أمره بالسمع والطاعة وفعلت ما أمرنى به وتوجهت الى ذلك الرجل فوجدته جالسا على باب داره فسلمت عليه ووضعت ذلك بين يديه وقلت له سيدى يقرئك السلام ويسألكم ان تتفضلوا عليه بقبول ما أرسله اليكم واجبر وا بخواطر الفقراء قال فقال لى أنت قلت لسيدى على ما وقع منى فقلت له نعم فقال يا فضيحتى من الله والله يا فلان منذ فارقتنى وأنا نادم على ما قلته ندما عظيما ولا تسأل عما أنا فيه من الخجل فكيف يكون لى وجه ان أقابل سيدى بعد هذا فقلت له طب نفسا وقر عينا فان سيدى عنده حلم عظيم وما يؤاخذك بما قلت قال فسكت ساعة وهو فى شدة الخجل والاستحياء من كلامه المتقدم قال ثم أخذ الهدية وادخلها منزله قال فلما خرج قال لى ما ترى ان أسير فى خدمتك الى سيدى فقلت له سمعا وطاعة ثم سرنا الى الزاوية فرأينا الاستاذ جالسا على باب الخلوة قال فلما وقع

نظره على الاستاذ كشف رأسه ودخل اليه وهو مكشوف الرأس فجثا على ركبتيه وقبل يده وسلم عليه وهو يبكي فقال له الاستاذ لا بأس عليك قال فاخذ ذلك الرجل في الاعتذار والاستغفار حتى أخذ سيدي عمامته منه وجعلها على رأسه ولم يقم ذلك الرجل من مجلسه حتى بايع سيدي وصار من أصحابه وكان يتردد اليه وحصل له خير كثير من الاستاذ الى أن توفي الى رحمة الله قال عبد الرحمن السويفي فقلت لسيدي حين أمرني ان اشتري الهدية واحملها الى ذلك الرجل انه يقول في حقك ما يقول وأنت تبعث له هدية فقال يا عبد الرحمن هذه طريقتنا اما سمعت قول الله في كتابه العزيز ادفع بالتي هي أحسن قلت وأخبرني الشيخ الامام العالم العلامة العارف بالله تعالى سيدي الشيخ شمس الدين بن كتيلة رحمه الله ونفع به قال رأيت رجلا من المباشرين المنسوبين الى جوهر الخازن دار الملك الاشرف دخل الى الزاوية هاربا منه ويحتمي بالاستاذ وقد كان قد كسر للخازن دار مالا له صورة وضاق عليه الامر بسبب ذلك فهرب من الامير الى الزاوية واحتمى بسيدي فأقام عنده في خلوة وكان بصحبته رجل يخدمه فكان الاستاذ بعد صلاة العشاء الاخيرة يحمل اليه الفرش والغطاء اللائقين به حتى الوسادة التي يضعها تحت رأسه فيتلقى ذلك بعض الفقراء من الاستاذ ويحمله الى خلوة ذلك المباشر وكان الاستاذ يرسل اليه الذي يحتاجه من الطعام والحلوى وغير ذلك فاقام عند الاستاذ نحو الشهر على هذه الحالة حتى سأل عنه الاستاذ فقيل له قد طال عليه الامر والمسؤل من فضل سيدي ان يتكلم مع الامير الخازن دار بسببه فقال سمعا وطاعة قال فأرسل الاستاذ خلف الامير وتكلم معه بسببه فقال له الامير يا سيدي هذا الرجل كسر لي مالا كثيرا وأتلفه علي لكن والله يا سيدي بعد ان جاء اليك ما بقي لي عنده شئ وقد أبرأته من جميع مالي عنده ولو كان أكثر من ذلك فقال له الاستاذ جزاك الله خيرا قال المؤلف وكنت أعرف ذلك الرجل فاطلع من الزاوية حتى أصلحه الاستاذ مع الامير وسلمه اليه وعاد الى وظيفته كما كان فرحم الله سيدي ما كان أكثر نفعه لجميع من احتاج اليه ومما قال لي الشيخ شمس الدين بن كتيلة كنت بزاوية سيدي وأنا أنظر الى احسانه الى ذلك الرجل فصرت أتفكر في ذلك كل ذلك والرجل المباشر لا يحضر لسيدي ميعادا ولا حزبا ولا مجلس ذكر وسيدي مع ذلك يحسن اليه قال فجلست يوما في خلوتي أقرأ في سورة البقرة في المصحف الشريف فلما وصلت الى قوله تعالى وأحسنوا ان الله يحب المحسنين اذ سمعت باب خلوة سيدي قد فتح وخرج منه سيدي فقمت عند ذلك مسرعا وهرولت اليه وقبلت يده وجلست بين يديه ثم نظرت الى ذلك المباشر وهو جالس على باب الخلوة التي هو فيها فتفكرت في أحواله وتقصيره في أمر دينه فقلت يا سيدي عن اذنكم أتكلم فقال تكلم فقلت هذا الرجل المباشر يحسن اليه سيدي كثيرا مع وجود تقصيره في حضور مشاهد الخير قال فنظر الى سيدي وقال لي أنت ما قرأت وأحسنوا ان

الله يحب المحسنين قال فوالله لقد غاب صوابي عند ذلك وصرت أقول في نفسي هل كان سيدي معي في الخلوة حين قرأت هذه الآية فرحم الله سيدي ونفعنا به قلت ولقد سمعت من سيدي كلاما في بعض مجالسه يدل على عظم شأنه وعلو منزلته وارتفاع درجته ونفاذ كلمته وانه لو أرسل أحد قصاده الى أعلم أهل مصر يطلبه لحضرته لحضر له من غير امهال ولا اهمال حتى يجلس بين يديه كالولد الصغير مثل الشيخ شهاب الدين بن حجر شيخ الاسلام فريد عصره ووحيد دهره في علم الحديث النبوي فكان يحضر اليه ويجلس بين يديه متأدبا طارقا رأسه الى الارض جاثيا على ركبتيه ومثل الشيخ شمس الدين البساطي قاضي قضاة المالكية العالم الزاهد الذي كان قوته من صيد السمك وهو قاضي القضاة فكان يختفي ويخرج في الغلس بشبكته فيصطاد ما يبيعه بقوت ذلك اليوم وهو في هيئة الصيادين ثم يجيء من خوخة في بيته فيدخل منها الى منزله ويلبس الشاش والطيلسان والملوطة البيضاء ويخرج من الباب الاصلي الى الدهليز ويجلس بين القضاة للحكم بين الناس ومع ذلك كان يجلس بين يدي سيدي متواضعا كغيره وكذا شيخ الاسلام قاضي القضاة محمود العيني الحنفي عالم وقته ووحيد دهره كذلك ومثلهم القاضي علم الدين الاخناني المالكي من أعيان القضاة المالكية ومثلهم القاضي ناصر الدين الشنشي الحنفي أحد نواب العيني واحد الاعيان ومثلهم الشيخ جلال الدين البلقيني شيخ الاسلام وقاضي القضاة الشافعية وكذلك والده شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني المجتهد الكبير ومن أمثالهم لا يعد ولا يحصى فسمعت سيدي رحمه الله يقول قدم علينا بعض العلماء من بلاد الغرب وكان يتكلم في عشرين علما فأقام عندنا بعض أيام ثم سألني ان أجمع بينه وبين الشيخ سراج الدين البلقيني ليتكلم معه في شئ من بعض العلوم قال فأرسلنا له فحضر واجتمع به وجلس معه في هذا الموضع وأشار الى مكان في الزاوية قال فتكلم معه ذلك المغربي في بعض العلوم فتكلم معه الشيخ سراج الدين فيه قال فانتقل معه المغربي الى علم آخر وتكلم معه فيه فتكلم معه الشيخ سراج الدين فيه ولا زال المغربي ينقله من علم الى علم والشيخ سراج الدين يتكلم معه فيه من غير ان يأخذ له أهبة ولا استعدادا لكن جاءه على غفلة حتى تعجب ذلك المغربي فقام اليه واعتنقه وقبل يده وشكر له واثنى عليه خيرا قال فلما مضى الشيخ سراج الدين قلت لذلك المغربي ما قلت في الشيخ سراج الدين فقال يا سيدي بحر عجاج متلاطم بالامواج قال فلما سافر المغربي الى مكة وحضر الشيخ سراج الدين الى هنا قلت له ما تقول في ذلك المغربي فقال يا سيدي بحر عجاج متلاطم بالامواج كما قال المغربي في حقه وان هذا الكلام سمعته من سيدي يحكيه لبعض أصحابه وأنا قوي بعد خلف الحلقة التي بين يدي سيدي قلت وكل هؤلاء حضروا المجلس سيدي وسمعوا ميعاده مع جلالة قدرهم وعلو درجتهم وكلهم مذعنون معترفون بفضل سيدي رحمه الله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

وكان

وكان مع ذلك لا يتحرك لاحد منهم ولا يغير جلسته لا في مجيئهم ولا في رجوعهم ومع هذا يترددون اليه ولا ينكرون عليه بل يسلمون له حاله ويعترفون له بالفضل عليهم فسبحان المتفضل بالجزيل من العطاء على من يشاء من عباده ومما حكاه الحاج جمال الدين بن سليمان وهو مدرك بطينة بالغربية وكان كبيرها وكان من أصحاب الاستاذ رحمه الله قال سافرت في بعض السنين الى القاهرة لزيارة الاستاذ فلما وصلت اليه وسلمت عليه أمر الخادم ان يخلي خلوة من خلاوي الزاوية ففعل ذلك الخادم ونزلت فيها وكان ذلك عادتي مع الاستاذ رحمه الله قال فاقمت عنده أياما فدعاني ذات يوم فلما جلست بين يديه قال لي ياعبد الله هل معك شئ من الدنيا قلت نعم ياسيدي فقال أقرضني اياه فقلت سمعا وطاعة ثم نهضت من بين يديه مسرعا ودخلت الى خلوتي وكان معي ألف دينار فعددت منها خمسمائة دينار واحضرتها بين يدي سيدي في منديل قال فاخذها الاستاذ ودخل بها الى الخلوة فلما أصبحنا وصلينا صلاة الصبح دعاني سيدي فحضرت بين يديه فناولني المنديل بالخمسمائة دينار على حالها وقال لي ياعبد الله قد استغنينا عنها ثم قال لي والله ياعبد الله المال الذي قد أخرته عنا ما يبقى معك منه شئ وأما هذا فانه يبقى معك ويزيد زيادة كثيرة قال فندمت على مافعلت ثم قال والله العظيم لقد ذهبت مني الخمسمائة دينار التي أخرتها عن سيدي على الطاية ولم انتفع منها بشئ وأما الخمسمائة دينار التي دفعتها لسيدي فكنت أبيع فيها واشتري حتى بلغت عشرة آلاف دينار وهذا ما وقع لي مع الاستاذ رحمه الله تعالى وكان ذلك سبب سعادتي قلت وأخبرني الشيخ أحمد البطيني القباني وكنت جالسا معه في دكانه الذي على القنطرة بجرى بيني وبينه كلام يتعلق بسيدي وبكراماته فقال لي كنت يوما جالسا في هذا الدكان فجاءني الحاج ناصر الدين بن الحاج عبد الله بن سليمان وأخذ بيدي وسحبني الى حبس المحلة وأنا معه ذليل مهان فقال أدخل ذلك الحبس حتى ترضينا في خسارة فلاحتك قال فعطف الله على جماعة من أهل المحلة الكبرى وهم من أهل الخير فخلصوني منه فرجعت الى الدكان وأنا مكسور الخاطر وصرت أتردد بين الاقامة وبين السفر الى جهة الاستاذ واقص عليه قصتي قال فلما أصبحت صليت الصبح وعزمت على السفر للاستاذ لاعلمه بما وقع لي مع ناصر الدين بن عبد الله بن سليمان فسافرت حتى دخلت القاهرة ومضيت الى زاوية الاستاذ فوجدته جالسا على باب الخلوة فدنوت منه وسلمت عليه وجلست بين يديه فلما نظر الي قال لي ياحاج أحمد ماجئت الينا الا لحاجة ضرورية قال ياسيدي اتفق لي مع ناصر الدين بن الحاج عبد الله بن سليمان ماهو كيت وكيت وقصيت عليه قصتي فقال لي تقيم هنا الليلة أو تسافر فقلت أسافر ياسيدي فانه لا يمكنني أن اقيم قال فدعا عبد الرحمن السويفي وامره ان يكتب كتابا للحاج عبد الله بن سليمان قال فكتب اليه بالسلام من عند سيدي ثم قال له اكتب له وقل له ياعبد الله تقول لي والله ياسيدي

ما اقول للفرخة هش ايش هذا الكلام الذى يخالفه الفعل يا عبد الله اذا عاهدت الفقراء على شئ لا تخرج عنه والسلام فلما طوى عبد الرحمن الكتاب وناولنى اياه ودعت سيدى وعزمت على السفر فلما دخلت المحلة قصدت الى بطينة من فورى فلما وصلت الى الحاج عبد الله سلمت عليه وناولته الكتاب فلما رأى علامة الاستاذ نهض قائما على قدميه ثم قبل الكتاب ووضعه على رأسه وعلى عينيه فلما قرأه عليه صار يرتعد ويقول يا حاج احمد ما عملت معى خيرا كنت شكوتنى للسلطان ولا كنت تشكونى للاستاذ الحنفى ثم ارسل خلف ولده ناصر الدين وهدده بالضرب وقال له يا ناصر الدين انت تريد تخرب ديارى قم الى الحاج احمد واكشف رأسك واستغفر له وصار يبكى حتى ابكى من حوله ثم قال لى يا حاج احمد عليك الذمام ولك الامان ان كنت فى المحلة أو فى غيرها ثم نهض قائما وضمنى الى صدره وقال لى وانا ايضا اقول فى حقك استغفر الله ونحن اولاد اليوم قال فزال ما عندى وحصل لى جبر خاطر ورجعت الى المحلة وانا منشرح الصدر فمن ذلك اليوم وانا فى راحة وامان ولم ار من الحاج عبد الله ومن ولده ناصر الدين الا خيرا فرحم الله سيدى وجزاه الله عنى خيرا ما كان اشفقه على المسلمين قلت ومما يدل على شفقته بالمسلمين ان ولده سيدى ابا الفضل اكبر اولاده امره الاستاذ ان يعمل فى الزاوية ميعادا يوم الثلاثاء وكان ذلك فى حياة الاستاذ فاقام مدة يعمل ذلك الميعاد ويحضره جماعة كثيرة فجلس يوما يعمل الميعاد فذكر فيه صفات النار وما اعد الله فيها من انواع العذاب والنكال للعصاة والفجار واطنب فى ذلك وطول فبهت الناس وخمدت منهم الانفاس وكان الاستاذ فى خلوته يسمع كلام سيدى ابى الفضل فلما طول سيدى ابو الفضل فى ذكر صفات النار قام الاستاذ وظهر من خلوته فقام الناس اجلالا له على عادتهم فلما أحس سيدى ابو الفضل بظهور والده نزل عن دكة الوعظ وقبل يد الاستاذ فجلس مكان ولده وجلس سيدى ابو الفضل مع الناس فافتتح الاستاذ فى الذكر وذكر مجلسا لطيفا ثم اخذ يتكلم للناس فى صفات الجنة وما اعد الله لاهلها فيها لهذه الامة من الخيرات والنعيم والحور والولدان وما فيها من الاشجار والانهار والثمار والقصور والحجرات والمقاصير والقباب والخيام وان لكل مؤمن عشرة آلاف خادم وان ادناهم منزلة من يسير فى ملكه سنتين وان حصباء انهارها الدر والجوهر واللؤلؤ والمرجان وترابها الزعفران وطينها العنبر وان فيها اشجارا تطرح الحلل من السندس والاستبرق والحرير والديباج وفيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال وكل ذلك لامة محمد صلى الله عليه وسلم قلت وما ذكرته من بعض ما ذكره سيدى رضى الله عنه فلما سمع الناس ذكر الجنة من الاستاذ ذهب عنهم ما كان بهم من الخوف والحزن والجزع من ذكر النار وفرحوا واستبشروا بذلك وحمدوا الله وشكروه على ذلك فلما انتهى مجلس الاستاذ رفع الناس أصواتهم بالدعاء له فانظر الى سيدى ما الطفه بالمسلمين وما أشفقه عليهم رضى الله عنه وارضاه

وجعل

وجعل الجنة متقلبه ومثواه ولقد حكى لى بعض الفقراء قال دخلت الحمام مع الاستاذ وكنت بجملة الفقراء فلما جلس الاستاذ على الحوض وجلس الفقراء حوله اخذ الاستاذ بيده ماء من الحوض ورشه على جماعته وقال النار التى يعذب الله بها العصاة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم مثل هذا الماء فى سخونته قال ففرح الفقراء بذلك ورفعوا أصواتهم بالدعاء للاستاذ رضى الله عنه ونفع به قلت ويؤيد ذلك ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يقضى بالموت على العصاة من أمتى فى النار حتى لا يحسوا بالعذاب أو كما قال صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث ذكره الامام القرطبى فى كتابه المعروف بالتذكرة قلت وما حكاه سيدى الشيخ نور الدين على الاوربى المعروف بابن مشاق رحمه الله تعالى قال مما وقع للاستاذ رضى الله عنه ان رجلا من شهود أعيان القاهرة وقيل انه كان قاضيا دخل اليه وقبل يده وجلس بين يديه وسأله ان يسلكه الطريق الى الله تعالى قال فارسل الاستاذ الى خادم الزاوية وكان اسمه مصباحا وقال له افتح الخلوة الفلانية لهذا الرجل وأعطه مفتاحها ثم التفت الاستاذ الى ذلك الشاهد وقال له قم فادخل الخلوة واعتكف فيها وانزع عنك هذه العمامة وهذه الجبة الفاخرة والبس الجبة الصوف التى تجدها فى الخلوة وتعمم بالمئزر الصوف وكن على طهارة كاملة واشتغل بذكر الله تعالى وكل من طعام الزاوية قال فأقام ذلك الرجل يومين أو ثلاثة ثم ان الاستاذ دعا النقيب مصباحا وقال له قل للقاضى اخرج املأ من البئر ماء وصبه فى الجراة الى الفسقية حتى يتوضأ منها الناس للصلاة قال فذهب مصباح الى القاضى وأمره بذلك فقال السمع والطاعة ثم ظهر من الخلوة وشد وسطه وشمر اكمامه وملأ بالدلو من البئر حتى ملأ الفسقية فكأن سلبة البئر التى فيها الدلو أثرت فى يديه فتجرحت يداه وصار يتألم من ذلك كل ذلك والاستاذ ذهنه معه فعند ذلك طلب الاستاذ النقيب مصباحا فلما حضر بين يديه قال له يا مصباح قم واملأ من البئر ثلاثة ادلاء وكلما طلع دلو اعرضه على القاضى فاذا نظر اليه صبه فى البئر قال فأسرع النقيب مصباح الى البئر وأخذ الولد من يد القاضى وقال له كن على حالك حتى أملأ ثلاثة ادلاء فوقف القاضى مكانه فملأ مصباح أول دلو فطلع وهو مملوء فضة بيضاء فلما صار عند خرزة البئر قال للقاضى انظر فلما رآه القاضى تعجب عجبا عظيما قال فصبه النقيب مصباح فى البئر وملأ دلوا آخر فطلع مملوءا ذهبا فلما وصل الى الخرزة قال للقاضى انظر فلما نظر فرآه مملوءا ذهبا سهى اليه وبهت فصبه فى البئر وملأه ثالثا فطلع وقد امتلأ جواهر قال فلما نظر اليه القاضى كاد أن يخرج عقله فاسرع نحو الاستاذ وهو يبكى فقال له الاستاذ والله يا فلان يا ولدى ما تصل الى هذا الا ان صبرت على ما أمرتك به وان لم تصبر فما تصل الى شئ من هذا قال فقبل القاضى يدى الاستاذ وخرج من بين يديه وهو باك نادما على عدم تحصيل مطلوبه كذا حكاه الشيخ نور الدين الاوربى وكان من أصحاب سيدى الخواص وكان

رجلا صالحا عالما بالطريقة عارفا بالله تعالى وقد انتفع على يديه جماعة كثيرة من البحيرة وضريحه في بلده أوربن مشهور وحكى أيضا رحمه الله عن الاستاذ انه كان ذات يوم جالسا على باب خلوته وحوله جماعة اذ دخل عليه رجل فقير الحال عليه خليقات رثة فلما وصل اليه قبل يده وجلس بين يديه قال فرحب به الاستاذ واقبل عليه وقال له من أين فقال له ياسيدى أنا ابن الامير الفلانى وقدمات والدى وأنا طفل صغير وقد أخذ السلطان جميع ماخلفه والدى من الاموال والخيل والاثاث والقماش وماترك لى شيئا وصرت فقيرا لاأملك القوت اليومى قال فقال له الاستاذ ايش اليوم فقلت يوم الاثنين فقال لى اطلع الى القلعة فى هذه الساعة والزمها الى ان ينفض الموكب ويمتد السماط فكن أنت وراء الناس فاذا جلس المماليك على ذلك السماط يأكلون فكن أنت فى آخرهم فانهم لابد ان يقولوا لك اقعد كل فاجلس معهم وكل فاذا فرغوا وانصرفوا كن أنت على حالك واقفا أمام السلطان فانه يدعوك حتى تقرب منه فانه يقول لك من أنت فقل له كما قلت لى واشك اليه حالك فلعله يحصل لك خير ان شاء الله تعالى قال فامتثل ذلك الجندى ماقاله الاستاذ وخرج مسرعا حتى طلع الى القلعة وفعل مثل ماقال له الاستاذ وحكى قصته للسلطان وهو واقف بين يديه قال فبينما هو يحكى للسلطان وهو سامع كلامه اذ دخل عليه بعض أجناد والده ومعه سيف فقبل الارض بين يدى السلطان وقال له يامولانا السلطان أحسن الله عزاءكم فى الامير الفلانى فانه توفى فى هذه الساعة فقال له السلطان أعط سيفه لهذا واعطوه جميع ماتركه من الاقطاع والخيل والتركة والمماليك ورسم السلطان للمباشرين الذين كانوا فى خدمة ذلك الامير أن يدفعوا ذلك كله لذلك الرجل الذى كان واقفا بين يدى السلطان وأمر بعض الامراء ان يركبوا معه الى بيته ففعلوا ذلك فلما انفضوا ركب الامير الى الاستاذ وجاء الى زاويته فلما دخل اليه وجده جالسا على باب خلوته وصار يمرغ وجهه على أقدام الاستاذ ويقول له ياسيدى كل ماأنا فيه ببركتك ومازال ذلك الامير فى خدمة الاستاذ الى ان انتقل الى رحمة الله تعالى قلت وأما النقيب مصباح المذكور فى هذه القصة فانه كان رجلا صالحا وقد وقع لسيدى معه حكاية عجيبة وهو ماحكاه أبو العباس خادم الاستاذ رحمه الله تعالى انه قال كنت نائما فى منزلى ذات ليلة واذا أنا أسمع واحدا يدق الباب فقمت الى الباب وقلت من هذا فقال لى سيدى افتح الباب قال فاسرعت وفتحت الباب وقبلت يدى سيدى فقال لى شد حمار الزاوية وائتنى به قال ففعلت ذلك وجئت بالحمار الى الاستاذ فركبه وقال كن معى ياأبا العباس قال ففتحت باب الدرب فظهر الاستاذ وظهرت معه فاخذت بمقود الحمار فقال لى الاستاذ ارسل المقود وامش الى جانبى قال ففعلت ذلك وصرت أمشى الى جانبه حتى وصلنا الى القرافة والاستاذ يقرأ الصمدية وأنا أقرأ معه حتى وصلنا الى قبر محفور فسمعنا شخصا يذكر الله تعالى فى ذلك القبر فلما قربنا منه تنحنح الاستاذ ثم قال لااله الا الله محمد رسول

الله قال فسكت ذلك الشخص فسلم عليه الاستاذ فرد عليه السلام فقال له الاستاذ يا مصباح فقال له لبيك ياسيدى فقال له لم لاجئت الى الزاوية فقال والله ياسيدى ماوصلت الى هذا الموضع الابعد العشاء الاخيرة فنزلت فى هذا القبر واستأنست بذكر الله تعالى فقال له الاستاذ اطلع وامض معنا الى الزاوية قال فطلع مصباح من القبر وسلم على سيدى ورجعنا الى الزاوية فلما دخلنا من باب الدرب الذى بجوار الزاوية قال له الاستاذ اطلع الى الزاوية وتوضأ وصل ما كتب لك ثم التفت الى الاستاذ وقال يا أبا العباس اطلع معه ووطنه فى بعض الخلاوى ثم دخل الاستاذ الى بيته وفعلت ماأمرنى به الاستاذ وأقام مصباح عندنا سنين يخدم الزاوية والفقراء الى ان انتقل الى رحمة الله تعالى قلت وسمعت الاستاذ رحمه الله تعالى يحكى ذات ليلة بين المغرب والعشاء لبعض أصحابه فقال صليت ليلة صلاة العشاء ثم دخلت الى الخلوة فتناولت كتابا وأسبلت القنديل ثم فتحت ذلك الكتاب وابتدأت فيه بالمطالعة فطالعته من أوله الى آخره فى ضوء ذلك القنديل فهبت على تلك الليلة نسمات وتناثرت على ورقات خضر وجعلت تتساقط حولى وفى حجرى فالهمنى القدرة أن أتناول منها وآكل فصرت أتناول منها وآكل حتى شبعت فاذا هى ألين من الزبد وأحلى من الشهد فيا كانت تلك الاوراق كانها فكانت هذه الاسرار التى تسمعونها منى فى الميعاد وأما تلك النسمات التى هبت على فى تلك الليلة فقد حصل لى بها راحة واستلذاذ حتى انى سألت الله ان يرزقنى منها شيئا فى الجنة وأما الكتاب الذى طالعته فانه كان ضخما كبيرا وفرغت من مطالعته من غير ملل ولا تعب من عظم ماحصل لى من الراحة وانشراح الصدر فى تلك الليلة حتى سمعت مصباحا الخادم يمشى على باب الخلوة فقلت يامصباح فقال لبيك فقلت أنت الى الآن تطفئ قناديل العشاء فقال لى ياسيدى الآن طلع الفجر واذنوا على المنارات قال فقمت وظهرت من الخلوة وجلست لقراءة حزب الصبح مع الناس وصليت الصبح مع الجماعة بوضوء العشاء فهذا ماسمعته من الاستاذ تلك الليلة وكأنى أسمعه من الاستاذ الآن وحلاوته موجودة فى قلبى فرحم الله الاستاذ ما كان أحلى كلامه وأبين نظامه وكان من أصحاب سيدى رجل يقال له الشيخ على الكماجى مما وقع له انه مر على جماعة من أعيان الشهود وهم يغتابون بعض الناس ويتكلمون فى عرضه ويذكرونه بالقبيح فلما سمعهم أظهر التواجد ورمى عمامته على الارض وجعل يتقلب على الارض ويتخبط فلما رأى الشهود ذلك نزلوا عن الدكان وتقدموا اليه واقعدوه على الارض ووضعوا عمامته على رأسه ومسحوا وجهه من التراب واجتمع عليه جماعة غير الشهود وكثر عليه الناس وصار وايقولون ما بال هذا الرجل فمنهم من يقول كأنه متبوع من الجن ومنهم من يقول كان به خلطا مصرعا ومنهم من يقول كأنه أصابه فالج كل ذلك يسمعه على الكماجى وهو فى حال عقله وصحوه وانما فعل ذلك حتى ينتهوا عما هم فيه من الغيبة فهذا رد

غيبتهم عن ذلك الرجل بفعله لا بلسانه فانظر الى أحوال أهل الخير والصلاح وكيف يلهمهم الله تعالى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بالافعال لا بالاقوال فهذا كله من تسليك الاستاذ الكبير وبركته الشاملة لاصحابه الحافة به رضى الله عن سيدى ونفع به آمين قال الشيخ عبدالله اليمانى المعروف بابى جمعة وكان من خدام الاستاذ قال دفع الى سيدى يوما أشرفيا من الذهب وقال لى أعط هذا لرجب الزيات وخذ منه فلوسه وائتنى بها قال فأسرعت ومضيت الى رجب الزيات وكان من جملة جماعة الاستاذ فاخذت فلوس الاشرفى ورجعت الى الاستاذ وهو جالس على الدكة التى كانت فى الدرب ووضعت الفلوس بين يديه فى منديل كان معى فقال لى اسربهم ياعبدالله فسربتهم فوجدت الاشرفى الذهب فيهم فقلت له ياسيدى وجدت فيهم اشرفيا فقال لى ارجع به الى رجب وأعطه له وقل له خذ هذا الاشرفى واحترز على نفسك قال فاخذته ورجعت به الى رجب وقلت له يقول لك سيدى خذ هذا واحترز على نفسك فقال والله ياسيدى عبدالله من حين فارقتنى وأنا أدور عليه فى الدكان فما وجدته ثم جعل يقول شئ لله ياسيدى شئ لله ياسيدى ومن بعض مكارم أخلاق سيدى رحمه الله تعالى ان الملك الاشرف لما تسلطن تزوج بابنة الملك الظاهر ططر رحمه الله فلما مرض مرض الموت طلبت منه ربعا كان عمره وأمعن فى عمارته وكان ربعا عديد المساكن واسع الاماكن فطلبته من السلطان حتى يخصها به قال فسمح لها به وملكه لها تمليكا شرعيا واستغلته بعد وفاته سنين عديدة ثم انها نزلت عن ذلك الربع للاستاذ رضى الله عنه وملكته له تمليكا شرعيا وكتبت له بذلك اشهادا وأثبتته على يد قاض حنفى ووضع الاستاذ يده عليه واستغله مدة طويلة ثم ان الاستاذ ذات يوم كان جالسا فى زاويته اذ جاءه رجل تاجر فسلم عليه وجلس بين يديه وقال له ياسيدى ان الربع الفلانى الذى هو بيدكم الآن كان لاعبد وطلب الملك الاشرف ان يشتريه منى وكان قد انهدم منه بعض مواضعات وصار بناؤه واهيا فامتنعت من بيعه له فأرسل لى ثمنه شيئا هينا فاخذته خوفا منه وكان ذلك على يد جماعة من جهته فأمسكت عن بيعه فخوفونى وهددونى فاذعنت المبيع فاخذه السلطان وبناه بعد ان أشهد على وأنا الآن محتاج الى هذا الربع وافتقرت الى غلته قال فلما سمع الاستاذ هذا الكلام أرسل الى القاضى ناصر الدين الشنشى وكان حنفى المذهب وأحضر شاهدين وقال اشهدا على انى تنازلت عن هذا الربع لهذا الرجل نزولا شرعيا وليس لى فيه ملك ولا شبهة ملك وليس لى فى ذلك دافع ولا مطاعن فقال له القاضى ياسيدى كنت من الاول تقول هكذا الا تقل أثبت ما ادعيت والان كان بيدك ثبوت أخرجه فقال له الاستاذ من نازع فى الدنيا فألجمه بها ثم أمر الاستاذ القاضى ان يكتب له بذلك مكتوبا يشهد له بتمليكه قال فامتثل أمر الاستاذ وكتب له بذلك مكتوبا وأثبته وسلمه الى ذلك الرجل كل ذلك برضا الاستاذ من غير كراهة ولا تعبيس وجه بل يقول للرجل

جزاك الله عنى خيرا فيما فعلت ثم قال له حلت البركة وآنستم وهذا يوم مبارك وفارق ذلك الرجل الاستاذ على أحسن الوجوه وهو يدعو له فرحم الله الاستاذ ما كان أسخى نفسه وأكثر سماحته فطالما سمعناه يقول فى كثير من الاوقات السماح رباح والعسر شؤم ومن مكارم أخلاق الاستاذ رضى الله عنه أنه كان له شخص من أصحابه من الامراء كان اسمه يسق وكان من المحبين للاستاذ فاتفق له انه مرض فبلغ ذلك الاستاذ فقال لبعض أصحابه أما ترون ان تعودوا صاحبكم فقالوا السمع والطاعة فتوجه اليه الاستاذ وبصحبته شخص من أصحابه يسمى سنقر البشمقدار والشيخ جلال الدين الخطيب والشيخ أبو العباس وغيرهم فلما ان وصلوا الى منزله دخلوا فيه قال فلما رأى الامير الاستاذ حصل له من السرور مالا مزيد عليه واستبشر بقدوم الاستاذ وكان معه من أولاده سيدى أبو السعود وسيدى أبو الفضل رضى الله عنهم فلما رآهما زاد به الفرح والسرور وأمر الخازندار الذى بخدمته ان يحضر له ألف دينار ومائتين فاحضرها ودفعها للاستاذ وقال ياسيدى هذه الالف دينار لك والمائتان لولديك فاخذهما الاستاذ ودفعهما للامير سنقر البشمقدار أحد الجماعة الذين كانوا مع الاستاذ فشاع ذلك الامر بين الناس ان الاستاذ الحنفى اعطاه الامير يسق ألفا ومائتى دينار فتكاثرت الفقراء والمحتاجون والمديونون وغيرهم فكل من جاء الى الاستاذ يرسله للامير سنقر يدفع له ما يحتاج اليه حتى فرغ القدر الذى كان عند سنقر ولم يبق منه لا قليل ولا كثير حتى تعجب سنقر وغيره لذلك رضى الله تعالى عنه ما كان أشفقه على خلق الله تعالى ومن ذلك أيضا ان الاستاذ رحمه الله كان له بلد أقطاع تعرف بشنيسة من أعمال الشرقية فارسل اليها قاصدا من عنده يطلب من أهلها مائتى اردب قمح فجهزوها له مع القاصد وأوسقوها له فى مركب من مراكب أبى صير وكان صاحب المركب يعرف بالرئيس أيوب قال فلما وصل بها الى قرب القاهرة صدمت المركب فانكسرت وذهب فى البحر جميع ما فيها من القمح فعمد القاصد الى الرئيس ومسكه وكتفه وطلع به الى الاستاذ وقال له ياسيدى هذا الرئيس رجل مستهزئ وغر بنا وله مركب يعرف انها لا تصلح للوسق ولا تحمل غلة وقد انكسرت المركب وذهب جميع ما فيها من القمح فى البحر وهذا الرجل يكون هنا فى الزاوية حتى نرسل له جماعة من عند الحاجب الفلانى وندير عليه الترسيم حتى يرضى سيدى فى القمح فقال الاستاذ للقاصد افعل هكذا فلما ذهب القاصد ليحضر جماعة يأخذونه للحبس وكان اسم القاصد أحمد بن سودون رحمه الله قال الاستاذ للرئيس أيوب أتقدر تهرب فقال اى والله ياسيدى فقال له قم فاهرب واخرج من باب السر قبل ان يجئ القاصد فانك رجل فقير وذو عيال فهرب من الزاوية فلما جاء القاصد من عند الحاجب ومعه جماعة يمسكونه لم يجده فى الزاوية فقيل له انه هرب فقالوا للاستاذ ان الرئيس قد هرب فقال لهم الاجر على الله ايش لكم قصد فى ضرر هذا المسكين

اتركوه وماعليكم منه قال ودفع الاستاذ الى الجماعة الذين جاؤا لمسكه بعضا من الدنانير وقال لهم حلت البركة فرحم الله الاستاذ ما كان عنده أهون من الدنيا فهكذا كان دأبه تغمده الله بالرحمة والرضوان

(استلحاق بما تقدم)

ممـا أعطى الاستاذ العز والكلمة النافذة وقبول الشفاعة عند الملوك وغيرهم وذلك أنه كان للاستاذ بلد فى الصعيد اقطاعا وكانت تلك البلد تعرف بما كوسة وكانت قريبة من منية ابن خصيب فقتل فيها قتيل بينها وبين بلدة أخرى قريبة منها وكان القتيل أقرب الى تلك البلدة فحمله أهل تلك البلدة وألقوه فى غيط ما كوسة فلما علم به الكاشف الذى بمنية ابن خصيب أرسل الى ما كوسة سرية فمسكوا فلاحى البلد وحبسوهم فى المنية فى حبس الكاشف فسافر بعض أهل ما كوسة الى القاهرة وأعلم الاستاذ بما وقع من الامر فارسل الاستاذ قاصده وكان يعرف بناصر الدين العزيز رحمه الله الى السلطان الملك الاشرف برسباى وقال له اطلع الى السلطان وقل له ما سمعته من الكلام فنهض القاصد وطلع الى السلطان ففى الوقت رسم السلطان بكتابة مرسوم الى الكاشف باطلاق فلاحى الاستاذ على يد وشاقى من عند السلطان وقال السلطان للوشاقى قل للكاشف ان هذه الحاجة للسلطان ولابى السلطان فاطلق الفلاحين بحيث ان لا يغرم أحد منهم الدرهم الفرد ففعل ذلك الكاشف ما أمره السلطان به وأطلق جماعة ما كوسة ولم يغرم أحد منهم شيئا وكانت البلدة التى قتل فى غيطها القتيل للسلطان فرحم الله الاستاذ ونفع به المسلمين ومما وقع للاستاذ رحمه الله فى أيام الملك الظاهر جقمق مع الفرغل وأولاد الطحان لما أن جاؤا الى السلطان فى شفاعة ابن عمر أمير عربان الصعيد وكان السلطان حبسه عنده فى البرج الذى فى القلعة فذهب أولاد عمه وأقاربه الى هؤلاء المشايخ المتقدم ذكرهم وجاؤا بهم من الصعيد الى السلطان سيا قافى أمر ابن عمر ليخلصوه من الحبس فبلغ الاستاذ ذلك وان المشايخ طلعوا الى السلطان جقمق فى شفاعة ذلك فلما سمع الاستاذ ذلك قال من أدب الفقراء اذا عرفوا ان ببلد رجلا من الرجال لا يدخلونها الا باذن منه لكن ان شاء الله تعالى ما تقضى لهم حاجة قال فلما طلعوا للسلطان على قصد الشفاعة فى ابن عمر وساعدهم جماعة من الامراء مع الامير زين الدين بن أبى الفرج فطلب السلطان ابن عمر من البرج وأحضره بين يدى المشايخ وقال لهم ان عليه حسابا وعليه مال السلطان حتى نحاسبه ونرسله مع الفقراء الى بلاده وما يحصل الا الخير ان شاء الله تعالى قال فانفض المجلس وقامت الفقراء وخرجوا من عند السلطان وسافروا الى بلدهم فلما عرف السلطان أنهم سافروا رسم بيعته الى الكرك فمضوا بابن عمر الى الكرك فحبس فيه ولم تقض للمشايخ حاجة ولا قبلت لهم شفاعة وقيل ان الفرغل أعاد الله علينا من بركاته لما ان دخل الى السلطان

قال

قال له أنت مشهد هذه البلدة فلم يجاوبه لعلمه انه مجذوب رضي الله عنه وشاعت هذه القضية في مصر وتعجب الناس لذلك عجبا عظيما ومما وقع للاستاذ مع القاضي نور الدين بن اقبرس وكان قد تولى عشر وظائف نظر الاوقاف ونظر الاحباس والبيوتات في زمن الملك الظاهر جقمق فأقام في ولايته مدة طويلة الى أن مات الملك جقمق ومع ذلك كان يتردد للاستاذ كثيرا وملازما على ذلك من أيام الملك الاشرف وكان كلما ضاق عليه الامر يشكو حاله الى الاستاذ وان زوجته ابنت اينال انكسر لها عليه كسوة وهي ملحة عليه في طلبها ولم يكن له قدرة على شئ يعطيه لها وهو متألم بسبب ذلك قال فبكى عند ذلك ثم شكا حاله الى الاستاذ فقال له ما يحصل الا خير ان شاء الله تعالى ثم قال له اقعد في الزاوية حتى أطلب فمضى الى الزاوية وطلب سيدى أهل البيت وقال لهم ما معكم شئ من الدنيا فقالوا نعم يا سيدى معنا شئ قليل فقال اجمعوه وأحضروه بين يدى ولا تتركوا منه شيئا قال فقاموا من عنده وجمعوا ثلاثين أشرفيا من بينهم ذهبا وفضة ثم دعا الاستاذ القاضي نور الدين ودفع اليه ذلك المبلغ بكماله ولم يجد أهل بيت الاستاذ شيئا يأكلونه تلك الليلة فكان أكلهم الخبز والفجل الموجود عندهم في البيت لاغير فكانوا يعدون ذلك من مكارم أخلاق الاستاذ رضي الله عنه فهذا كان دأبه مع من يعرف حاله ومن لا يعرف حاله ويستر حال من يسأله ويعطيه ما قسم له على يديه حتى قال الاستاذ للشيخ الكبير العارف بالله تعالى الشيخ شمس الدين بن كتيلة رحمه الله ونفع به أعط من يستحق ومن لا يستحق يعطك الله ما تستحق وما لا تستحق قال فلما رأى القاضي نور الدين بن اقبرس هذا المبلغ في يده صار يقبل أقدام الاستاذ ويدعو له وأنشد قائلا ارتجالا من كلامه يمدح سيدى

يا شمس دين الله نلت ولاية * منها المريدون استفادت بارقه
ان طلبوا عيني تقور بنظرة * فلنحو جودك كل عين بارقه

ومما وقع له أيضا مع الاستاذ في أيام الملك الظاهر جقمق انه حضر الى الاستاذ وهو في حال مرضه الذى مات فيه انه سأل الاستاذ في فدان برسيم مزروع فقال الاستاذ للشيخ أبي العباس أعطوه الميدان الذى بالروضة وهو عشرة فدادين مزروعة رضي الله عنه ما كان أسخى وأكرم من نفسه وما كان أحسنها ويحكى عن الاستاذ رحمه الله انه كان ذات يوم من الايام جالسا في خلوته اذ سمع اثنين من الفقراء يقول أحدهما للآخر يا فلان اكنس الزاوية فقال له الآخر قم أنت واكنسها وصار كل واحد منهما يرد على الآخر بمثل ما يقول فبينما هما كذلك اذ ظهر الاستاذ من الخلوة وقال لهما لا أنت ولا الآخر أخرجا واجلسا على باب الزاوية وردا على الباب فانه ما يكنسها اليوم الا أنا قال فخرجا وجلسا على باب الزاوية وردا الباب فشد الاستاذ وسطه وشمر أكمامه وطوى الحصر ونفضهم وأخذ المكنسة وكنس ثم استفتح بالفاتحة وفي سورة البقرة وجعل يتلو القرآن

وهو يكنس حتى ختم سورة الانعام وقد فرغ من كنس الزاوية ثم فرش الحصر وقال لهما ادخلا فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما كان اكفى هذا اليوم نصيب من الاجر والثواب فى كنس هذه الزاوية ومن شدة احترازالاستاذ على تحصيل الثواب انه كان اذا أرادأن يعطى فقيرا شيئا من الدنيا يجعل الدرهم فى وسط كفه ويمد يده الى الفقير فيمد الفقير يده ويعلو بها على يد الاستاذ ويأخذ ذلك من يده فسئل الاستاذ عن ذلك فقال انه ورد فى الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال ان الصدقة تقع فى يد الرحمن قبل ان تقع فى يد الفقير فانا لا أحب ان تعلو يدى على يد الفقير وورد أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اليد العليا خير من اليد السفلى وقد بلغنى ان اليد العليا هى يد الفقير فانه نائب عن الله تعالى فى أخذ الصدقات قلت ومما أعطى الاستاذ من العز والرفعة والفخار والهيبة والمقدار انه كان له فى كل سنة ليلتان احداهما ليلة المولد فى شهر ربيع الاول والاخرى ليلة النصف من شعبان وكان يعمل ليلة النصف من شعبان فى الروضة على جانب بحر النيل وكانت تعرف بالشعبانية وكان يعمل ليلة المولد بالزاوية وكان يجتمع فى هاتين الليلتين من الخلائق مالا يعلمه الا الله تعالى وكان يمد الاسمطة وعليها خلق كثير من الامراء ومن جملتهم الامير الكبير جقمق وكان ذلك فى زمن الملك الاشرف برسباى والامير التمرازى وغيرهما من الامراء فعمل الاستاذ ليلة المولد بزاويته المعروفة بجامع الرحمة فلما اجتمع الناس وغصت الزاوية بالخلق طلعت النساء الى موضع عال بالزاوية يعرف بالمسمع فلما كثرت النساء بذلك المكان وأبو الخير ولد الاستاذ يوعظ وينشد فى المديح اذ حس المسمع بثقل النساء فاهتز وسقط الى الارض فوقعت النساء على الارض فلم يصب أحدا من النساء شئ غير امرأة واحدة فانها ماتت فلما طلع النهار وسمع الملك الاشرف ذلك أرسل خلف التاج والى القاهرة وقال له امض الى سيدى الشيخ وخذ معك ثوبا من البعلبكى وكفن هذه المرأة التى ماتت عند الشيخ فى هذه الليلة امض ولا تتهاون فمضى الوالى الى زاوية الاستاذ فلما وصل الى بين يديه قبل يده وجلس وأخبره ان السلطان أرسلنى اليك وان معى ثوبا بعلبكيا لتكفين المرأة التى ماتت فى هذه الليلة فى الزاوية قال ففعلوا ذلك وامتثلوا أمر السلطان وانما فعل السلطان ذلك لعلمه ان الناس يقولون امرأة ماتت فى هذه الليلة تحت الردم يا ترى ايش يجرى اليوم ويصبح الناس فى قيل وقال فاراد السلطان ان يقطع كلام الناس بذلك فان هذه الواقعة لو وقعت لاحد غير الاستاذ ما كان يحصل له خير فهكذا كان شأن الاستاذ عند الملوك وغيرهم من أبناء الدنيا أصحاب اليد واللسان وأهل الولايات وارباب الدول وغيرهم ودخل الاستاذ يوما على من يبنى الكوانين للمولد فوجد الامراء يناولون الطوب للبناء وهو يبنى فخرج الاستاذ وهو يقول لا اله الا الله لو أمرنا الملوك ان يبنوا الكوانين لفعلوا وكان فى بيت الاستاذ امرأة تعرف بمريم الطويلة وكانت خادمة فى دبيزه

فلما

فلما كانت ليلة المولد قال لها الاستاذ يامريم هل لك جلد أن تغزلى عشرة أرادب قمح أو اثنى عشر أردبا وتعجنها فقالت نعم ياسيدى لكن أريد أن تلاحظنى فيها ببركتك عسى أن يعيننى الله على ذلك فقال الاستاذ لها ان فعلت ذلك كسوتك قميص شرب وكاملية بعلبكى فقامت مريم بعجن ثلاثة عشر أردبا دقيقا فلما فرغت من ذلك حتى جهز لها القميص الشرب والكاملية البعلبكى ولبستهما فى اليوم الثانى ومريم الطويلة هذه هى التى كانت تشفعت ابركة التى أقعدها الاستاذ حتى قامت من كساحها وقد تقدم ذلك فى أثناء الكتاب بحمد الله تعالى ومن مكارم أخلاق الاستاذ رضى الله عنه انه كان يتفقد أصحابه ويسألهم عن أحوالهم فمن كان منهم مديونا قضى دينه ومن كان منهم فقيرا وصله بشئ من الدنيا ومن كان منهم مريضا عاده وبره بشئ من البر وأجرى عليه النفقة وعلى عياله حتى يبرأ من مرضه وان سافر دعا له بالسلامة حتى انه كان من جملة أصحابه رجل يعرف بعبد الرحمن السويفى رحمه الله وكان من أفصح أهل زمانه وكان موقعا للاستاذ فحيث يكون للاستاذ حاجة عند الملك عثمان بن عبد الرحمن أو عند مولاى أبى فارس سلطان تونس بالغرب أو عند بركات سلطان مكة أو عند ابن عمر شيخ عرب الصعيد وغيرهم يطلب عبد الرحمن السويفى فيكتب له الرسالة الى أحد هؤلاء ويقرأها بين يدى الاستاذ فيتعجب الحاضرون من ذلك عجبا عظيما لفصاحته وبراعته وحسن عبارته وكذلك اذا طلب الاستاذ منه ان يكتب منشورا لاحد من المشايخ بمدينة من المدائن أو باقليم من الاقاليم كتب ذلك وأمعن وأطنب فى الكلام مما يعجز عنه كثير من الموقعين وكل ذلك قد حصل له من الاستاذ من غير تعليم من أحد ومما وقع له من الاستاذ انه قيل لزوجته ان زوجك قد تزوج وكانت زوجته ذات قوة وبأس شديد فلما دخل عليها زوجها عبد الرحمن السويفى سألته عما بلغها فانكر ذلك ووقع بينهما كلام حتى قامت اليه ورمته على الارض وربطت رجليه بمنديل وصلبته وضربته على أقدامه بعصا ضربا مبرحا فبلغ ذلك الاستاذ فارسل خلفها وعاتبها على ذلك وكان يعلم الاستاذ منه انه يحبها محبة مفرطة فاصلح بينهما ودفع لها الاستاذ ألف درهم حتى زالت الوحشة التى كانت بينهما فكان الاستاذ رحمه الله تعالى رحمة على أصحابه لهذا وأمثاله كثير وكان يتفقد أصحابه بالقمح ويدفع الى كل واحد منهم مايكفيه فى السنة الى السنة التى بعدها ولقد حضرت له مجلسا بين يدى الاستاذ وقد كتب منشورا لبعض الفقراء بالمشيخة بعد ان أخذ عليه العهد وبايعه وأدخله فى جملة أصحابه وأرسله الى حمص وجعله ناظرا على مقام سيدى خالد بن الوليد وأخذ له من الملك الاشرف برسباى مرسوما بذلك وقرأ السويفى المنشور الذى كتبه بين يدى الاستاذ فتعجب الناس من حسن نظمه ونثره وما أودع فيه من البلاغة والبراعة رحمه الله تعالى ولقد بلغنى عن بعض المنكرين وكان تاجرا بالمدينة وكان يأتى الى باب زاوية الاستاذ ويرفع صوته بالانكار ويتكلم بكلام لاينبغى ذكره وأقام على ذلك مدة طويلة فدارت عليه الايام

والليالى حتى افتقر وركبه الدين وطالبته أصحاب الديون بديونهم فما وسعه الا أن جاء الى الاستاذ رحمه الله ودخل عليه مكشوف الرأس باكيا فقالوا للاستاذ هذا فلان قال فاقبل عليه الاستاذ وأهل به ورحب به وسأله عن أحواله فاخبره بخبره فارسل الاستاذ خلف أصحاب الديون وصالحهم على شئ معين وأمر أصحابه ان يتحاصصوا ذلك على قدر أحوالهم فوفى عنه ديونه وفضل له شيئا كثيرا فدفعه اليه الاستاذ وقال له اكتف بهذا فانه يغنيك ان شاء الله تعالى ومازال ذلك الرجل فى غنى وسعة حتى توفاه الله تعالى وهو فى خدمة الاستاذ ولم يعاقبه على مافعل ولا بكلمة واحدة وهذه الحكاية تدل أيضا على مكارم أخلاق الاستاذ رحمه الله وكان رضى الله عنه ينزه نفسه عن سماع المعازف وهى الآلات المطربة كالطار والمزمار وماشا كلهما وتسمى أيضا آلات اللهو فانه رضى الله عنه لم يشتهر عنه أنه حضر شيئا من ذلك ولا سمعه ولقد كنت مع الاستاذ ذات ليلة بجملة الفقراء بتربته التى هى بالقرافة فقال للفقراء تأهبوا الزيارة سيدى عمر بن الفارض فخرج ومعه جماعة وكنت بجملتهم والاستاذ ماشيا وأصحابه حوله وكان مدفن سيدى عمر بن الفارض قريبا من تربة الاستاذ فلما وصلنا الى مدفن سيدى عمر سمع الاستاذ صوت المأذونى وهو ينشد على الآلات فسأل بعض أصحابه عن ذلك فقال له ياسيدى هذا المأذونى كل ليلة أربع عشرة من الشهر يعمل عند سيدى عمر وقتا فقال لاحد أصحابه أدركه وقل له يسكت حتى نزور الشيخ فمضى اليه وأعلمه بذلك فسكت حتى فرغ الاستاذ من الزيارة وختم زيارته بمجلس الذكر قال فلما انصرفنا عاد المأذونى الى حاله ولم ينهه الاستاذ عن ذلك وسلم له حاله وسكت من كثرة حلمه رضى الله عنه قلت ثم بعد ذلك توجهنا الى زيارة الامام الشافعى رضى الله عنه وقرأنا معه سورة الكهف حول الضريح رضى الله عن الاستاذ ما كان أحسن اعتقاده فى اهل السلف الصالحين ولقد رأيت سيدى أبا العباس ذات يوم جالسا فى درسه والاستاذ بعيدا عنه جالسا على باب خلوته فكان سيدى أبو العباس كلما ذكر مسألة فيها خلاف الشافعى يقول خلافا للشافعى فلما تكرر منه هذا الكلام قال له الاستاذ يا أبا العباس فقال نعم ياسيدى قال له ماتقول الا خلافا للشافعى لاغير ولا تقول رضى الله عنه ولا رحمه الله فقال أبو العباس تبت الى الله ياسيدى من ذلك وسأله الشيخ شمس الدين بن القصبى السخاوى قبل أن يتولى قضاء مدينة النبى صلى الله عليه وسلم عن الشيخ حسين الحلاج وكنت وقت ذلك حاضرا فقال له ماتقول ياسيدى فى الشيخ حسين الحلاج فقال رضى الله عنه ونفعنا به وأما غيرنا فيقول خلاف ذلك كسراج الدين البلقينى وغيره ولقد بلغنى عن الاستاذ من رجل مبارك صاحب دين وأمانة وهو الحاج على الغلام غلام سيدى ولقد رأيته وجلست معه وحكى لى عن الاستاذ أنه رأى فى جبهته أثر السجود ومكانه اسود فقال ماهذا الذى فى جبهتك قلت له ياسيدى كأنه من أثر السجود فقال لى غيرك يصلى ولا يظهر عليه أثر فقال اجتهد فى ازالة

هذا

هذا فانى أخاف عليك من الرياء وقال كنت بحضرة الاستاذ ذات يوم فعرضوا بذكر سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه فقال الاستاذ لو حضر سيدى عبد القادر هنا لتأدب بحضرتنا قلت وهذا يليق بمقامه رضى الله عنه لانه كان يقول نحن أسرار الوجود فيدل على انه كان قطب زمانه ولقد ثبت عنه أنه قال ان القطبانية مرت بنا ونحن شباب فأبيناها ومن المشهور عن الاستاذ رحمه الله انه قال لو كان عمر بن الفارض فى زماننا ماوسعه الا الوقوف ببابنا وقد تقدم نظير هذه والتى قبلها وسبب ماقال الاستاذ ذلك فى الجزء الاول من هذا الكتاب المبارك والله ينفعنا به قلت وحكى لى الشيخ شهاب الدين المعروف بابن الغرز قال كان بجوار الاستاذ رحمه الله رجل من الاتراك الخاصكية وكان عنده فرس اعجبه واشتراه وكان حرونا لم يقدر أحد أن يركبه ولا يملك نفسه على ظهره وكان اذا أحس براكبه على ظهره يشب ويقف على رجليه ويرفع يديه حتى يكاد الذى على ظهره ان ينقلب ولولا ان الناس يدركونه حتى ينزلوه من على ظهره لهلك حتى عجزوا فيه ولم يقدر أحد أن يركبه فلما طال عليه الامر قال له بعض الاصحاب ادخل الى الاستاذ الحنفى وقص عليه أمرك عسى أن تحصل لك بركته قال فدخل الى الاستاذ وقص عليه قصته قال له ائتنى بهذا الفرس حتى أنظر اليه قال فاسرع الجندى وأحضره بين يدى الاستاذ مسرجا ملجما فوضع الاستاذ يده على معرفته وقال بسم الله وركب فلم يتحرك فحرك الاستاذ رجليه وهو راكب فمشت تلك الفرس به وخرج من باب الدرب والناس حوله حتى سار به بطول الشارع ورجع به الى موضع ركوبه ثم نزل عنه وقال لصاحبه اطلع واركب وقل بسم الله قال فركبه صاحبه وهو يقول بسم الله فلم يتحرك تحته دون العادة فقال له الاستاذ حرك رجليك عليه فحرك رجليه فسارت به الفرس بهدء وسكون حتى وصل الى بيته فنزل عنها وأمر غلامه أن يدخلها فى الاصطبل ويربطها موضعها ففعل قال فمن ذلك اليوم لم يعرض للفرس عارض ولا يتغير لها حال ودامت على حالتها التى كانت وقت ركوب الاستاذ عليها قال فازداد ذلك الخاصكى اعتقادا فى الاستاذ وقد كان قليل الدخول فى الزاوية ثم بعد ذلك صار فى صحبته الى أن مات الى رحمة الله تعالى ومما وقع للاستاذ رضى الله عنه ماحكاه عن نفسه قال كنت يوما جالسا بالروضة بالمقعد الذى على جانب البحر وأنظر الى البحر من جانب الطاقات المركبة فى ذلك المقعد فاذا بشختور صغير فيه رجلان وامرأة وصاحبه يقذف بهما وبينهما جرة خمر والمرأة تشرب معهما فلما صار الشختور تحت المقعد مال بهما قليلا قليلا حتى انكفأ بهما وانقلب عليهم فوالله لم يطلع لهم خبر ولا وقعت لهم على أثر ووالله مادعوت عليهم ولكن القدرة غارت عليهم فانا لله وانا اليه راجعون هكذا ماحكاه الاستاذ رضى الله عنه قال المؤلف رحمه الله كنت يوما ماشيا تحت ركاب الاستاذ وهو متوجه نحو الروضة والناس راكبون أمامه والاصحاب حافون

به عن يمينه وشماله فبينما الاستاذ بين مصر العتيقة و بين القاهرة اذ التحن بالفيال وهو راكب على الفيل وهو مواجه للاستاذ اذ وقع نظره على الاستاذ فزعق على الفيل ورا طنه وعطف به عن يمينه وكان عن يمينه درب فهجم الفيل على ذلك الدرب ودخل من بابه وجعل الفيال رأس الفيل داخل الدرب وذيله الى الشارع حتى مضى الاستاذ وجميع أصحابه ولم يبق منهم أحد فخرج الفيال بعد ذلك وسار في طريقه ولم يقدر الفيال ان يجوز على الاستاذ وهو راكب لهيبته ولم يفعل هذا في حق أحد من الامراء ولا غيرهم من اعيان المملكة حتى صار الناس يتعجبون من ذلك ومما يدل على شفقته على أصحابه ان رجلا من أهل المحلة الكبرى كان يعرف بالحاج على بن قديح وكان ذا مال وسعة وكان عنده دنيا عريضة وكان له معصرة يستخرج منها الزيت الحار وكان يعامل الفلاحين ويعطيهم دراهم على بزر الكتان فاعطى جماعة من بعض البلاد دراهم على عادتهم فلما كان أوان الكتان طالبهم فقصدوا انهم مايعطونه شيئا فلما تحقق انهم مايعطونه شيئا طلع المدينة واجتمع بالامير صاحب تلك البلدة والتزم بأخذ تلك البلدة على سبيل الندر بك فاعطاه البلدة وكتبها عليه فلما خرج من عند الامير جاء الى زاوية الاستاذ وقصد الاجتماع به ليخبره بخبره فلما أخبر الاستاذ بأنه تدرك بالبلدة قال له الاستاذ خرجت من دينك يا على على ما أشاهد فانزعج الحاج على بن قديح من ذلك وقال أنا أشهد أن لا اله الا الله واشهد أن محمدا رسول الله قال ففرح الاستاذ بذلك وقال ارجع الى الامير وابغض نفسك وخلصها من نار جهنم فانك خاطرت بدينك قال نخرج من عند الاستاذ ممتثلا لامره فلما دخل على الامير وحسن له عبارة وطلب منه الاقالة قال ففوض أمره الى المباشرين وصالحهم على مائة دينار بعضها لهم وأكثرها للامير وأقاله الامير من البلدة قال فلما رجع الى الاستاذ وأخبره بذلك فرح وجزاه خيرا وشكره على ذلك وكان الحاج على المذكور ابن خالة سيدى الشيخ شمس الدين بن كتيلة رحمه الله تعالى وقد صح عن الاستاذ رحمه الله أنه كان يقول أنا لا أقول باسلام المدرك ومما وقع للاستاذ رحمه الله أنه ركب يوما الى الروضة فمر برجل عليه آثار الفقر وهو لابس بشتا وعلى رأسه طاقية حمراء وحوله جماعة يبنون له مسجدا فبدأه الاستاذ بالسلام فرد على الاستاذ السلام وحقق فيه النظر فوقعت هيبة الاستاذ فى قلبه فتقدم الى الاستاذ وقبل يديه فاقبل عليه الاستاذ وقال له مرحبا حلت البركة هذا المسجد لمن فقال ياسيدى لله تعالى العبد يريد ان يعمره و يجلس فيه ويكون نظر سيدى على فقال له من شيخك فقال شيخى السيد أحمد البدوى فقال الاستاذ شئ لله أفانت رأيته فقال لا والله ياسيدى فقال أنت محب للسيد أحمد البدوى وليس هو شيخك فان شيخ الانسان من يأخذ عنه ويقتدى به والشيخ من يسلك الطريق الى الله تعالى و يدلك عليه ثم قال له عمر وان احتجت لشئ تنفقه على البنائين أعلمنى حتى نساعدك ثم أمره أن يعود الى مكانه عند البنائين ومضى الاستاذ الى ناحية

الروضة فلما كان من الغد صلى ذلك الرجل صلاة الصبح عند الاستاذ وحضر معه قراءة الحزب وسلم عليه وقال له والله ياسيدى ما استطعت ان أتأخر عنك هذا اليوم فقال له الاستاذ بارك الله فيك ومازال ذلك الرجل يتردد اليه حتى كمل المسجد وغير لباسه بثياب بيض وترك الطليحية وكان الاستاذ قال له يافلان هذه الثياب وهذه الطليحية شهيرة يكره للفقير لبسها وقال له الفقر فى الباطن لا فى الظاهر والفقر ستره أفضل من اظهاره ومازال ذلك الرجل فى خدمة الاستاذ حتى سلك عليه الطريق وعرفه سيدى حقيقة الطريق الى الله تعالى وصار من خواص أصحابه فرحم الله الاستاذ ما كان أشفقه وأرأفه بأهل التوحيد حتى والله لقد كان يتلطف بأهل الذمة ويقضى حوائجهم عند الظلمة والوزراء ويشفع فيهم ويلين لهم الكلام حتى يستجلب خواطرهم بذلك ويذكر لهم شيئا من محاسن الاسلام حتى أسلم منهم بسبب ذلك من اليهود والنصارى عدد كثير بسؤالهم له فى ذلك ولازموا الاستاذ بالخدمة والصحبة حتى انتقلوا الى رحمة الله تعالى أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أنه لا يضيع له أجرا ولا يخيب له رجاء ولا أملا وان يتقبل منه وان يزكى عمله وان يجمعنا واياه فى دار كرامته انه ولى ذلك والقادر عليه وانه سبحانه وتعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا ولقد كان الاستاذ رحمه الله ينظر العيب ويستره على صاحبه كانه لم يره وكانه لم ير منه الا خيرا وكان رضى الله عنه اذا رأى على أحد من أصحابه أو محبيه أو مجاوريه الذين تحت نظره بزاويته عيبا أو خللا أو نقصا فى دينه جعل يتلطف به ويأخذ بخاطره ويتعطف عليه ويلين له القول ويحسن له العبارة ويحببه فى التوبة ويرغبه فى الطاعة والاقبال على الله سبحانه وتعالى فينصرف ذلك الرجل من بين يديه منشرح الخاطر وقد حبب اليه الله الاقبال عليه والاشتغال بطاعة الله تعالى والاعراض عن مخالفته ولم يزل على ذلك حتى يزداد خيرا واجتهادا واقبالا واشتغالا بالله تعالى

ولقد بلغه عن بعض المجاورين ان اثنين منهم جيلان ومصطحبان ببعضهما انخاف عليهما بعض الفقراء من فعل الشيطان فعرض بذكرهما على الاستاذ رحمه الله تعالى فلما كان الاستاذ بالروضة ذات يوم اذ ظهر للناس من الخلوة وجلس على حافة الليوان ووقفت الجماعة بين يديه بادب ووقار منكسين رؤسهم فلما استقر للاستاذ المجلس رفع رأسه الى أصحابه وقال لهم اعلموا ان الله تبارك وتعالى يهدى من يشاء من عباده على يد من يشاء من عباده فان الشيخ عبد القادر الجيلانى ما عرف الطريق الى الله تعالى الا على يد شيخه وكذا الشيخ أحمد بن الرفاعى وغيرهما لم يولد أحد منهم ويترعرع ويبلغ زمن الصبا وهو يعرف الطريق الى الله تعالى حتى يقيض الله تعالى له شيخا يعرفه كيف الطريق الى الله تعالى ويسلكه اليها ويكون ذلك الشيخ صفة الوالدة المرضعة لولدها تارة تموت عنه ويكمل ذلك الولد رضاعته على غيرها وتارة تفطمه قبل موتها كذلك الفقير تارة ينفطم على يد شيخه الذى سلكه

الطريق الى الله تعالى وتارة يفارقه بموت أو سفر ويكون فطامه على يد غيره من المشايخ
قال وقد وقع هذا لكثير من الاولياء فالله الله خذوا حذركم من أعدى عدوكم ابليس
وكونوا منه على حذر فانه هو عدو مضل مبين أى ظاهر فى العداوة ولقد أضل كثيرا من
العباد وعكس أمرهم وسلم منه خلق كثير والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم
ولقد بلغنا عن الشيخ الشبلى رضى الله عنه انه دخل الى خربة يقضى فيها حاجته فوجد فيها
جارة فراوده الشيطان فلما أحس الشبلى بذلك رفع صوته ونادى يا مسلمون ثلاثا فاقبل
الناس نحو الصوت ودخلوا هاجمين الى تلك الخربة فوجدوا الشيخ الشبلى يصيح ويقول
يا مسلمون ووجدوا عنده جارة فلما رأى الناس قد دخلوا عليه قال لهم أخرجوا عنى هذه
الجارة فقالوا له يا سيدى ما بال هذه الجارة وما فعلت فقال لهم ما فعلت شيئا وانما أنا صرت
معها فى هذه الخربة وابليس معنا فقلت فى نفسى خربة وجارة وابليس والشبلى
فاستضعفت نفسى عند ذلك وخفت ان أقع فى أمر عظيم فالهمنى الله تعالى انى رفعت
صوتى وناديت يا مسلمون حتى أدركتمونى وسلمت مما كنت أخاف والحمد لله رب العالمين
ثم قال الاستاذ بعد ذلك فاذا كان هذا عمل الشيطان مع الشبلى ولم يأمن الشبلى على نفسه من
الشيطان مع الجارة فكيف يأمن اثنان جبلان مليحان على أنفسهما أن يناما فى مكان
واحد ثم قام الاستاذ ودخل الى خلوته وقد سمع الشابان ذلك الكلام من الفقراء ولم يكونا
حاضرين ذلك المجلس فمن ذلك اليوم ما كأنهما تعارفا أبدا ببعضهما ولم يجتمع أحدهما
بالآخر والقى الله تعالى بينهما البغضاء وتهاجرا الى أن فرق الله بينهما فانظر الى هذه
الكرامة العظيمة والى هذه الموعظة الكبيرة التى تلين لها القلوب القاسية والنفوس
الطاغية وانظر الى هذا السيد الكبير كيف لوح بذلك وضرب ذلك المثل بغير حضور من
كان الكلام له حتى لا يفضحهما بين الناس ولا يكشف لهما سترا وصار كل من الناس يقول
بعد دخول الاستاذ الى الخلوة يا ترى هذا الكلام لمن وسيدى عنى به من من الحاضرين
حتى تفرق الشابان بعد ذلك فعرفنا أن الكلام كان لهما فرحم الله الاستاذ ما كان أستره
بعيوب الناس وما كان أرحمه لعباد الله أسأل الله العظيم رب العرش العظيم ان يمتعه
بالنظر الى وجهه الكريم وان ينفعنا به فى الدنيا والآخرة آمين ولقد حضرت للاستاذ
مجلسا من بعض مواعيده وكان مجلسا عظيما قد بشر فيه وحذر وخوف وأنذر وحقق
ودقق بالمواعظ الغريبة والنكت العجيبة حتى لوح لاهل مجالسه بتلويح فى حكاية
وقعت فى القاهرة فقال وقع فى هذه البلدة ان رجلا من أبناء التجار وقع له غرض قبيح عند
صبى من أولاد الامراء وكان ابن ذلك الامير صبيا موفقا دينا عفيفا عاقلا فأرسل اليه ذلك
التاجر مع بعض غلمانه خمسمائة دينار فطلب ان يجتمع به فى بعض الاماكن بحيث لا يراهما
أحد من الناس فرد عليه المال ودخل ابن الامير الى بيته وخرج ومعه شقفة حمراء مغطاة

بقطعة فروة مربوطة بخيط من أسفلها فدفعها الى غلام التاجر ودفع اليه المال الذى أرسله اليه وقال لغلامه قل لاستاذك ان الحاجة التى طلبتها منا فى هذه الشقفة فلما رجع الغلام الى سيده بالمال دفعه اليه وناوله الشقفة ولم يدر التاجر ما فيها ولا الغلام ولم يكشف لهما ابن الامير سترا ولم يفش لهم سرا من عقله ودينه قال فاخذ ذلك التاجر تلك الشقفة ودخل الى ناحية فى بيته وكشفها فوجدها قذرا فلما رآه رمى به الى داخل الخلا الذى فى بيته ورجع الى نفسه وصار يقول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم يقول لنفسه يا نفس تشترين جهنم بخمسمائة دينار اشترى أنت لنفسك الجنة بتوبة وهى كلام لا تعب فيه ولا نصب ولا مال يبذل فقال أشهدك يارب انى تائب الى وجهك الكريم كل ذلك والغلام يسمع كلامه من خلف الباب فكان ذلك سببا لتوبة ذلك التاجر وصار تائبا الى أن توفى الى رحمة الله تعالى ببركة ذلك الولد المبارك هكذا سمعته من الاستاذ رضى الله عنه فى بعض مواعيده فلما انقضى ذلك المجلس وخرج الناس من عند الاستاذ جعل بعض الناس يقول لرفيقه يا فلان سمعت اليوم ما قاله سيدى فيقول نعم نفعنا الله به فتاب فى مجلس سيدى ذلك اليوم من كان يفعل فعل ذلك التاجر وصلح حالهم فانظر الى هذا التلويح الذى لوحه الاستاذ لمن كان يفعل ذلك الفعل القبيح فتاب من ذلك جماعة كثير بحكاية حكاها الاستاذ عن بعض الناس لا غير فانظر الى هذه الكرامة العظيمة التى خص الله بها هذا السيد العظيم الذى جعل الله كلامه درياقا لسم المعاصى والذنوب وشفاء للقلوب ودواء للعيوب فرحمه الله ونفعنا به آمين

ومن مكارم أخلاقه رضى الله عنه أن رجلا مغربيا كان من أهل العلم الكبار حتى انه تولى القضاء على مذهب الامام مالك رضى الله عنه وجلس قاضيا فى مكان معروف مع جماعة من الشهود الا أنه كان فقيرا جدا لا يملك القوت اليومى فاتفق أنه شكا حاله للاستاذ رحمه الله تعالى فنزل له الاستاذ عن ثلاثة أفدنة وأربعة أفدنة رزيقة كانت فى بعض بلاد الجيزة وكتب له بذلك توقيعا وأخذ له عليه علامة السلطان الملك الاشرف برسباى هكذا حكى لى سيدى أبو الفضل ولد الاستاذ رحمه الله قال فقلت للاستاذ يا سيدى ما كنا أحق بهذه الرزيقة فقال لى لعل الله يفتح بخير منها ان شاء الله تعالى قال فوالله ما مضى غير أيام قليلة حتى حصل لسيدى توقيع بعشرة أفدنة فى بلدة تسمى البراجيم وأعرفها وصليت مع الاستاذ الجمعة فيها على أيام الملك الاشرف برسباى

وأخبرنى الفقير أحمد السملاوى المعروف بابن النجار قال أرسلنى الاستاذ الى البراجيم مع اثنين من الفقراء وقال لنا اقعدوا فى البلدة حتى تحصدوا الرزقة وتدرسوها ومهما بعث الله فيها من القمح احملوه الى الزاوية للفقراء وانزلوا عند كبير البلدة فانه مبارك ويحب الفقراء فامتثلنا أمره وفعلنا ما أمرنا به وذهبنا الى البراجيم ونزلنا عند ذلك الرجل فاحسن

الينا كثيرا وأرسل خلف جماعة فحصدوها ودرسوها وذروها وكالوها فحصل منها مائة أردب فوقع الفدان بعشرة أرادب فحملنا ذلك الى الاستاذ رحمه الله

ومن مكارم أخلاقه رحمه الله أنه ورد عليه رجل عجمي متصوف وكان عارفا بعلم الحقيقة والشريعة وكان بالحقيقة أعرف وكان قد دخل الى مصر لبعض حوائجه فلما قضى اربه وأراد السفر الى بلده جاء الى الاستاذ ليودعه ويأخذ خاطره فصادف الاستاذ راكبا قاصدا الى تربته بالقرافة فقبل يد الاستاذ وأعلمه أنه على جناح سفر فقال له الاستاذ لعلك تريد شيئا تركبه قال فسكت العجمي وأطرق رأسه الى الارض وعرف الاستاذ ان نظره قد وقع في الفرس التي تحته قال فنزل الاستاذ عن الفرس وقال له خذ هذه تحتك واركبها الى البلاد ان شاء الله تعالى قال ففرح العجمي وحصل له بذلك تشريف واكرام ثم أخذ الفرس وودع الاستاذ وخرج من بين يديه مسافرا وطلب الاستاذ فرسا غيرها فركبها الى القرافة فكان هذا دأبه رحمه الله وكانت هذه طريقته حكاه سيدي أبو الفضل رضي الله عنه

ومن مكارم الاستاذ رضي الله عنه أن الشيخ زين الدين أبا بكر بن أبي الوفاء جاء من بيت المقدس الى القاهرة في حاجة له عند السلطان فاجتمع بالاستاذ وسلم عليه وقص عليه قصته وحاجته التي جاء بسببها الى السلطان وطلب من الاستاذ المساعدة في ذلك فساعده الاستاذ وقضى حاجته عند السلطان فلما أراد السفر الى بيت المقدس جاء الى الاستاذ يودعه فرأيته يودع سيدي وهو جالس بين يديه جاثيا على ركبتيه وأخرج له الاستاذ من جيبه خمسين دينارا وقال له تزود بهذه ولا تؤاخذنا في التقصير قال فاستحى الشيخ أبو بكر عند ذلك من الاستاذ وأمسك يده عن الاخذ فقال له الاستاذ خذها فانك محتاج اليها ونحن في غنى عنها فاخذها الشيخ أبو بكر بن أبي الوفاء وهو في حياء كبير من الاستاذ وقال له والله يا سيدي ان عطاءك أكثر من عطاء السلطان فقال سيدي خذها واكتم ذلك عن الناس وادع لنا بخير فنحن في بركتكم وبركة أسلافكم قال فاخذها وانصرف من بين يدي الاستاذ وهو يبكي لفراقه وكان الشيخ أبو بكر ذا شكل حسن وهيبة عظيمة وعليه وقار ورأيته وملأت عيني وقلبي منه رحمه الله تعالى وعفا عنه آمين

وكان السلطان قد اعطاه اقل مما اعطاه الاستاذ رحمه الله فاستكثر عطاء الاستاذ على عطاء السلطان ومن مكارم اخلاقه أن الفضة كانت لا تنقطع من جيبه ولا يخلو جيبه منها وكان اذا رأى فقيرا مقبلا نحوه يضع يده في جيبه فاذا سلم عليه الفقير اسقط له الفضة في كفه فكانت هذه عادته مع الفقراء قلت ورأيت في نومي ليلة الاحد مستهل ذي القعدة سنة تسع وتسعين وثمانمائة رجلا واظنه من اصحاب الاستاذ الكبير رضي الله عنه وكان يقول سمعت الاستاذ يقول في بعض الايام ما حلالي في زماني غير حبي اذا أراه أو يراني ويترنم به فاستيقظت وكتبت ذلك ورأيت ايضا في تلك الليلة بعينها رجلا من اصحاب الاستاذ

ايضا

ايضاوقدجرى بيني و بينه ذكر الاستاذ رضى الله عنه فقال لى رأيت من سيدى عجبا وذلك أن الاستاذ ركب يوما الى ناحية الروضة او قال الى القرافة فبينما هو فى بعض الشوارع اذ وقع نظره على رجل نائم تحت حائط وعليه ثياب دنسة فقال لى يا فلان اذهب الى ذلك النائم وقل له يقول لك محمد الحنفى قم من هذا الموضع واذهب الى غيره قال فمضيت اليه وقلت له ما قال لى سيدى قال فثار من نومه قائما و لم يلتفت الى فمشى قليلا ثم اختفى عنى فرجعت الى الاستاذ واخبرته بما وقع لى معه فقال أندرى من هذا قلت لا قال هذا ابليس أراد أن يعترض الفقراء ويشوش عليهم ببعض مكايده وقد سلمنا الله منه بمنه وكرمه والحمد لله رب العالمين

وأخبرنى سيدى أبو الغيث رحمه الله وزاده خيرا على خيره حدثنى سيدى الوالد عن الاستاذ الحنفى رضى الله عنه قال قلت للاستاذ يوما ياسيدى لاى شئ ميعاد سيدى أبى الفضل يحضر فيه جماعة كثيرة وميعاد سيدى أبى الخير يحضر فيه خلق قليل فقال له الاستاذ ايش كان فضولك وقال له مرة أخرى كذلك فقال له السر معنا أين من يأخذ أين من يسوم وسئل مرة أخرى فقال للسائل افتة من رجل تكثر الجماعة وكان من شأن الاستاذ رحمه الله اذا ركب فى شارع من شوارع مصر وركب أصحابه بين يديه واستقبله بعض الامراء أو بعض القضاة أو أحد من أرباب الدولة ككاتب السر أو ناظر الخاص أو غيرهم رجع باتباعه ومماليكه مع الجماعة الذين هم راكبون بين يدى الاستاذ حتى يصل الاستاذ الى المكان الذى هو قاصده فان كان قاصد الروضة نزلوا عند البحر وقبلوا يدى الاستاذ واستأذنوه فى الرجوع وان كان سيدى قاصد الى القرافة أو الى غيرها فكذلك ولم يجسر أحد منهم أن يتجاوز الاستاذ وهو راكب من هيبته رضى الله عنه فحمد الله الذى من علينا برؤيته وادخلنا فى صحبته وكان من شأن الاستاذ رحمه الله انه ما جلس أحد بين يديه من أبناء الدنيا ولا من أرباب الدولة ولا من أهل المناصب الدينية والدنيوية الا خضع له وذل حتى انه لم يقدر ان يتربع بين يديه بل يكون جاثيا على ركبتيه

ولم يشتهر عن سيدى رحمه الله ان أحدا من هؤلاء المذكورين اذا قام من بين يدى سيدى أعطاه ظهره عند قيامه بل يرجع الى خلفه خطوات حتى يبعد عن الاستاذ ثم يأخذ يمينا أو شمالا هكذا كان شأن الناس معه وكان من شأنه رضى الله عنه انه لا يقوم لاحد من هؤلاء المذكورين ولم يتحرك له ولم يغير جلسته ولو كان سلطانا وان كان أحد من هؤلاء المذكورين له مع الاستاذ كلام يتكلم معه فيه لم يجسر أن يرفع وجهه فى وجهه بل يجلس بين يديه خاضعا متأدبا ناظرا الى الارض ولا يلتفت يمينا ولا شمالا وربما يعرق الجالس بين يديه عرقا عظيما من هيبته ولقد شاهدنا ذلك مرارا ورأيناه عيانا وكل ما ذكرناه من علامات الولاية ومن امارات الصلاح والهداية فكان هذا حاله رضى الله عنه مع الفقراء والمساكين فكان

كلامه مع الفقراء والمساكين مثل كلامه مع الامراء والسلاطين واقباله على الامراء والسلاطين كاقباله على الفقراء والمساكين وما أحسن ما قال بعض الفصحاء في حقه

حلف الزمان ليأتين بمثله * حنثت يمينك يا زمان فكفر

ومما حكاه السيد الشريف المعروف بالنعماني نزيل النعمانية بمصر العتيقة نفعنا الله به وببركته الصالح قال كنا مع شيخنا العارف بالله تعالى شمس الدين الحنفي مربي المريدين ومفيد الطالبين تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته بجملة جماعة من أصحابه بالاثر الشريف النبوي وعزم منه الى مكان له بالمنشأة المعروفة بمنشأة المهراني فلما وصلنا الى الزيادتين بمصر اذ مر به رجل أعجمي مستتر بحصير قضبان توارى سوأتيه مكشوف الرأس فأنشد للشيخ المشار اليه أعلاه بيتا من قصيدة عمر بن الفارض رضي الله تعالى عنه فقال

نهاري نسيم كله ان تنسمت * أوائله منها برد تحيتي

وكان مع الاستاذ جماعة من الفقراء والاحباب فهم من لم يعرف كلام الرجل الاعجمي فلما نزل الاستاذ سأله بعض الفقراء عما قاله الاعجمي فقال الاستاذ هذا الرجل يصلي صلاة الصبح فاذا تشهد وقال السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين سمع رد السلام من النبي صلى الله عليه وسلم فيقوى النور حتى يصير كاصل النهار فكأنه يقول انه اليوم حصل له الفتح فلا عتب عليه وما أحسن ما أشار اليه الشيخ شمس الدين القرافي رحمه الله تعالى في ديباجته الكبرى التي افتتح بها ديوان الانشاء الذي جمعه من كلام الاستاذ رضي الله عنه من القصائد الربانية والتنزلات الرحمانية

فقال لقد أبرز لصحبه ومريديه وأحبابه * والداخلين في حمائه * بالاذن العلي سرا خفيا * فيه هدى لكل محب ومريد احديا * صديقا صادقا للعهد وفيا * هدى يهدى به من كان نجيا * فدسه بكه في كلامه * ونظمه نظما موزونا كدر ولؤلؤ له صفاء * ونور تراه سنيا * وأودعها بيوتا عالية * أنشأها انشاء بديعا سميا * فهي فيها مخبوءة محفوظة * عن كل من كان قصيا * فلا تفتح الا لكل مؤمن * وأمين كان تقيا * ولا يدخل من أبواب سرها الا خاصة أهلها من كان للاسرار سريا * فان اطلعت عليها فدارها عن مس هوانها * فدارها دار هوى * عن السر سكن * وادن منها فهي لكل عز وطن * وللغير بعد وشطن * فلا تخل عنها واجعلها سكنك * و يا حبذا ان تكن هي وطنك * فلازمها لزوم المحب الصادق * ونادم أبكارها منادمة المغرم العاشق * فاذا صفا سرك لمعاني سرها * وافتتح لك باب من أبواب سرها * وكشف لك نقاب عن جمال طلعتها * وشاهدت ذلك الجمال وحسنه * ولاح لك معنى من معاني سره * أنعم بشهودها نظرك السعيد * ومتع ببديع محاسن سرها قلبك الشهيد * ونادمها وناغها * واجعل خطابك لها معنى لما فيها * فاذا ألقت اليك سرا من سرخافيها * فافهمه عنها والهها * ولا

تلتفت بعد ذا الى غيرها * واياك ان تسلوها * واحفظ ما بدا لك منها * ولا تبد سرا تجلى لك عنها * فتحجب عنك وتحجب عنها * واكتم ما كان بينكما * فان فى اظهاره بينكما * واياك أن تفهم منها صورة حسية * أو تقف عندها فيغطى لك ما كشف * ويصرف عنك كبرق خطف * ولا تشغل الظاهر بالظاهر * فتحجب عن الباطن والظاهر * فليس من أخفى السر للمحان * كمن للمحان كمن * واذا لاحت لك اشارة لطيفة بالفهم عنها * فاحتفظ بها وعن الغير صنها * واستمع قول الناصح الرشيد * من كلام الاستاذ

فمن فهم الاشارة فليصنها * والا سوف يقتل بالحديد

فهذه بدائع أبكار لاهلها * قد نشئت * لها محاسن على عروس هواها قد جليت * وسر معناها عن غير حجبت * ورموز اشاراتها عن ضد سترت * فلا يحيط بها علما الا عالمها * ولا يدرى حقيقة معناها الا عارفها * كالايم تدى لمحجة الهدى الا سالكها * ولا يدرك حقيقة معناها الا عارفها * وكالاتحر رالارقاء الامن مالكها * فألق اليها سمعك المطيع غير شديد * وكرر فى صورة شكلها نظرك السعيد * وأحضر لها قلبك الشهيد * فان بان لك معنى سرها فأنت الحاضر الشاهد * وان بان عنك فانت الغائب المتباعد قال قدس الله سره

وما أخفيه من غمز ورمز * سأظهره الى القلب السعيد
الى القلب المقدس عن سواه * فيشهده على رغم الحسود

(وقال أيضا)

واعاصنته للامر ممتثلا * عن غير أهل لما أخشاه يخشانى
علم الدليل ترى فيه شواهده * وعلمنا لا يرى الا ببرهانى

(وقوله)

فلا تخفى صفات عن قريب * ولكن كيف تظهر للبعيد

(وقوله)

هبات الله ليس بها خفاء * ولكن تحت مكمون العميد

الى غير ذلك فاذا جلى عليك شئ من محاسنها * فلازمها لزوم المغرم بها * ونادمها وافهم ما يلقى اليك عنها * وتمسك به وتعلق * وتحقق به وتخلق * ولا تنتقل من بيت الى غيره * حتى يفتح لك باب من أبواب سره * ثم استوعبها الى غايتها * وتمسك بما يراد منها * فاذا صح لك فانت المخاطب والمراد * والمصطفى من بين العباد * ان غبت فعنك الاثر والاين * وان حضرت فانت العين * طريقتك محمودة * وطويتك مسعودة * وأحوالك مرضية * واخلاقك انسية * وشريعتك محمدية * وسيأتى لك ترشيح فيه زيادة بيان * فى المتشابه على نشوان * ان شاء الله تعالى وقد أردت ان أورد ما حكاه لى الفقيه شهاب الدين أحمد بن المسدى قارئ الحديث قال سمعت سيدنا الشيخ شهاب

الدين أبا العباس السريى خادم الاستاذ رضى الله عنهما يقول عشينا يوما صحبة الاستاذ على شاطئ النيل المبارك وقد أراد التوجه الى الآثار الشريفة فنزلنا فى قارب لطيف فغربت الشمس باستهلال شهر الله المحرم سنة ثمانمائة ونحن فى المركب فنظر الاستاذ الى هلاله وقال لا اله الا الله روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سبحانه وتعالى يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ثم قال اقرؤا سورة الفاتحة واسألوا الله تعالى ان أكون ذلك الرجل قال فقرأنا وبسطنا أيدينا ودعونا الله سبحانه وتعالى فاطرق الاستاذ رأسه ساعة ثم رفعه وقال من يبايعنى منكم قال سيدى أبو العباس فمددت اليه يدى فكنت أول من بايعه رضى الله عنهما وأعاد علينا وعلى الوجود من بركاتهما آمين هذا ما حكاه لى ولا شك فيه والمقصود من ذلك ما روى فى آخرها وان اختلفت ألفاظها ببعض الحروف فى أولها واستمع الى قوله يامن هو له ومن أهله حيث قال رضى الله عنه * سر مولاك العلى * قد بدا لى يا ولى * فاغتنمنى تجتلى * سره من مددى * ولتعلم ان كلامه لا يدرك حقيقة معناه ويقف على سر مراده الا العارفون العالمون به فاولئك يكشف لهم عن خفى سره ومعانى رمزه يدركون ذلك بفاهمة عقولهم وواسطة علومهم وصفاء قلوبهم كما قال رحمه الله تعالى عنه

وما أخفيه من غمز ورمز * سأظهره الى القلب السعيد
الى القلب المقدس عن سواه * فيشهده على رغم الحسود

فتأمل ما قاله تجده مشحونا علما وعرفانا * وحكمة وايمانا وشفاء وتبيانا وهديا وايقانا فهو هدى لمن آمن به واستسلم لامره كما قال

تهتك لنا ان كنت تهوى وصالنا * فمن كان يهوانا فلا يخش من عار
ومن كان يهوانا فلا يهو غيرنا * ومن كان يهوانا يرى سرنا سارى

(وقوله)

يا نجوم الافق صحى قد بدا * واقتدى أهل الولاية والاثر

(وقوله)

لحضرة القدس قد دعانى * مولاى من سائر العباد

(وقوله)

مذهبى فى الحب يشهده * كل من يمشى على قدمى

(وقوله)

رفعت عنى حجبى * وغدا بعدى قربى

(وقوله)

أخذت العلم عن قلبى * عن الاسرار عن ربى

(وقوله)

علوى مفاتيح لكل غريبة

(وقوله)

نحن أسرار الوجود * لا ترى الا شهود

وقوله نحن أسرار الازل * الى غير ذلك ويكفى مع ذلك قوله

قال لى رب المعالى * أبرز السر الخفيا

وادع لى أهل ودادى * ومريدى الاحديا

وقد صرح لحبه ومريديه بالبشرى فى غير ما موضع من كلامه فمن ذلك قوله

يا أصحابى فطيبوا * اذ مرادى قد حصل لى

فلكم عز رفيع * باتصالى وبوصلى

(وقوله)

وكل أحبابى غدت فى نعيم *

(وقوله)

سيدى ما زال يرعى * كل من فيه أتانى

(وقوله)

قد حبانى بفضله * وكذا كل من معى

(وقوله)

يا ناظرى فتملى وقوله فعاش بى جليسى

الى غير ذلك فانظر نظرك الله كيف دعاك الى الطريق الاحمد والصراط الاقوم بالطف اشارة وألين عبارة فقال رحمه الله وعفا عنه

فكن له حنيفا * فى كل ما تعانى

ثم بين نتيجة الاستماع وثمرة الاتباع بتتمة البيت فقال

تحيى به وتسمع * من سرك المعانى

ثم أكد عليك الامر لتسمع حقا وتتبع وان الاستماع مخصوص لكل مؤمن فقال

واستمع منى ترى عين الطلب

(وقال فى موضع آخر)

واتبع يا منيتى تبقى ملك

فالاستماع ملزوم والاتباع لازم والقاعدة أنه يلزم من وجود الملزوم وجود اللازم ويلزم من انتفاء الملزوم انتفاء اللازم فعلمت انه لا بد لك ان تجمع بينهما تسمع ثم تتبع والا لا فائدة والحجة عليك وقد جمع الاستاذ بينهما فجعل الاستماع ميزانا والاتباع تكملة له

ورجانا فقال واذاما الحق نادى فاستمع ثم قال واتبع يامنيتي تبق ملك فالاتباع فيها قد بان لك ماعليك ولك فاختر لنفسك ماحلو والسالكون على قسمين فنهم من تدعوه الكرامة الحسنى مع الاحسان وهذا واقف مقيد ومنهم من تدعوه وتجذبه المحبة والرغبة من طرق لهذا الكمال وهذا صادق مؤيد وشتان مابين مقيد واقف ومحب داع خائف لان المقيد ماأوقفه وقيده الا أنه عقد عزمه على مايلائمه طبعه من شهوة حصلت له أو احسان أسدى اليه أو كرامة سمعها أو كشف وعلامة هذا كثرة التلون والتأول وسرعة الانكار والتحول وأما المحب الخائف فلا يعدله شيطان ولا سوى ولا يميل عن الهدى وسر داعيه كاتب محبته وبتوفيق الله كاتب جذبته فما عاقه عنه عائق ولا قطعته عنه العلائق هذا هو المغناطيس الجاذب القانص والا كسير الخالص الغائص

واعلم أن لكلام الاستاذ اسرارا عميقة ومعاني دقيقة يدق فهمها على غير أهلها بل لا يعقلون معنى ماظهر منها وأما أربابها فهم أحق بها وأهلها كما قال مشيرا لهم بما شرط في أوله وهو قوله

من يلي من يلي * يشهد الامر المخبي
و يرى السر جهارا * من صفاء حضرة قربي

(الى ان قال)

وللاسرار أسرار * كما الحجب من حجبي

تقدم وزاحم وحصل المطلوب فما الداني مثل القاصي وما الرابح مثل المغبون واسع وكن خادما لهذا الزكي الانفس وع لما قاله بنفسه الانفس ودع عنك شؤم هوى الانفس

سري الوادي وطوري قبسي * وكليم الشوق مني نفسي

الى ان قال

أيها الحلاج غب عن حضرتي * ان ذكراك بذكرى قدسي

فان شئت ان تبتل لك أغلة من بحر أسرارهم * أو قطرة غيث من غيثهم * فتجرد عنك لهم * واخدم ولازمهم * وكن عبدا لهم * فعبدهم منهم * وقبل تراهم تراهم * وادخل حماهم * فالحمى هم * واخضع لهم ذلا واهو هواهم * وبهم تهنا يامهنا * فالهناهم * ولازم نداهم * واسمع واجب نداهم * فبدا الندا هم * واتبع هواهم * فالهدى هم * وان تمنيت مناهم * فالمناهم * فالذل لهم عز * والفقر لهم غنى * وشهودهم نور وهدى * ياسعد من يراهم * فمن كان قريب * شاهد السر العجيب * ويحبهم ويحبونه * يانعم الصادق الحبيب * نشأ به الانشاء ومعالم المنشأ * وهو قريب المنشأ به طهر أسرارك من الاغيار وأخلها * ودع ديارك عنها وخلها وتجرد عن هواك ودنياك وطبعها * وانتقل وارحل يامعنى من بيوت الحس الى بيوت المعنى * فان المساكن الحسية * قد أحكم أساسها من حرام يقتله دنسه كثيفة سماء وأرضا * ولهذا كان الغالب عليها الظلمة لولا الفرج * وشدتها عند هجوم الليل لولا السرج *

ولو

ولو لم يكن ذلك ما اهتدى ساكنها * ولولا عوالى رواسيها * ما نسم نسيمها تدعو سكانها الى الكسل والنوم وتحجبهم عن شهود الكون ومآلها الى القفر والخراب وعودها الى أصلها وهو التراب وهو جوهر كثيف * وأما المساكن المعنوية والاشارة اليها فانها نشئت عن أنفاس نفيسة زكية طاهرة شريفة وعن أرواح الروحانية اللطيفة وافئدة طيبة عفيفة * الهام الى * وفتوح على * نور سنى * لها فضل وشرف على ساكنها قد أودع منشئها فى خزائن خيرها الداخلها معانى جليلة * وجواهر أسرارها جميلة * داخلها أبكار حسان محجبة تجلى لخطابها * فاذا أردت الوصول اليها دع ماسواها واسكن اليها فاذا فتح لك باب من أبواب سرها وكشف لك نقاب من بديع حسنها فاجمع شملك بشملها وأدمها وناغها واذا ألقت اليك سرا خذه عنها وافهم منه ما يراد بك منها * فانها لك أودعت فاملها واجلها وباحسن معان لها جمعت والفة عليها الفت * بديعة الانشا * مليحة المشى * أريجة الارجاء رحيبة البيداء * انيسة الذات جميلة الصفات * لطيفة ناشئة * رقيقة الحاشية * دائرة الاشكال * بعيدة الاشكال * عزيزة الامثال * غريزة المثال * عزيزة الاركان محررة الميزان * زائدة الرجحان * قائمة الاستوا * معتدلة الهوى * حسنة الائتلاف * بعيدة الاختلاف * لا زلة ولا خبل ولا زيف * ولا ازحاف * شرفها عال * ووصلها عزيز غال * قد أحكمها منشئها وبانيها * فبانت عن أمثال تضاهيها وبان عطفها ونسقها مع علو طباقها * ووفق مناطها واغماطها وتفريدها وجمعها * وتأليف تركيبها * باحسن ما به نصبت وله رفعت * واليه سكنت لا يصفها شاعر ولا أديب * ولها الانشاء العجيب لا يعارضها معارض بعلم العروض وفن الادب ولا من له يد طولى فى الاعراب ولغة العرب لا من قبيل زمانها وتحريرها * ولا من حيث زينتها وتحبيرها وان كان له تصرف وتصريف * خال عن التصحيف والتحريف * صحيح النثر والتأليف * قد جمع بين المعانى والبيان * ومعرفة علم اللسان * وكذا التغزل والغزل * فى التورية والجزل والاختلاس والاقتباس * والالتماس * والاستعارة وجنس الجناس * فى المفرد والمخمس والمسدس والتربيع تام المعرفة بعلم البديع * الى غير ذلك مما تنا وله رؤس الشعراء وعيون الادباء وانما كلام السادة الاولياء رضى الله عنهم ليس هو من غنى ولا مغنى بضرب دف ولا غربال ولا تصفيق بالايدى ولا الاقدام ولا ياحبيبى ونديمى تان تان وانما هو هبات ألمية والهامات الهية وفتوحات ربانية لها معان سنية وأسرار خفية ما بين معارف وعوارف وتجليات ومشاهدات ومقامات ودرجات أحوالها سمية وأنوارها سنية وهذا هو السر المصون والسر المكتوم والجوهر المكنون الواجب صونه وكتمانه والعزيز وجوده وتبيانه ليس هو من فن الشعراء وشغلهم ولا جليل نقلهم ولا من تكليفهم ونظمهم وكيف لهم

بسلوك طريق لا يعرفونه أو الدخول في بحر أسرار لا يدرونه أما سمعوا الشاهد لذلك قوله

هـذا حديث غريب ليس يفهمه * الا فتى واله بالله رباني

(وقوله)

علم الدليل يرى فيه شواهده * وعلمنا لا يرى الا ببرهاني

ونظائر ذلك كثيرة قد أحلناعليها وستقف عليها وتشهد مع عدول شهودها

وقد دخل عليه بعض الشعراء المشهورين بفن الادب عن جد فاجرى له الاستاذ شيئا من كلامه للبناء عليه وهو قوله

رقصت أبكار فكري * بين دامات المعاني

فأطرق رأسه ساعة وسلم وقام ولم يأت بشئ فلا يطمع طامع فيما ليس له فما قسم له منه لا بد له منه ولكل شرب معلوم * وجزء مقسوم وما كان شرباً للغير ليس هو شربك وحادى السرى يامعنى قط مايسرى بك فاقنع ولا تطمع * وأرح يامعنى من العناء قلبك وقد جمع الاستاذ قدس الله روحه في الهام تنزلاته اسرارا وعلوما وفهوما كما تقدم ذكره لا يفهمها الا ذو فهم صقيل ولا ينالها الا ذو حظ عظيم وقد قال

هبات الله ليس بها خفاء * ولكن تحت مكمون العميد

وهـذه البيوت المعنوية هي كنوز المعاني والاسرار وذخائر مخبأة أبكارها الافكار من علوم وفهوم وعوارف ومعارف ومراحم ومعاطف وكشف واظهار ولها بساتين وجنات ورياض وأنهار وحدائق وازهار فالعلوم والفهوم بحار أنهارها والمعارف والعوارف حدائقها ورياضها والمراحم والمعاطف جناتها والكشف والاظهار بساتينها وثمرات أزهارها معاني أسرارها فافهم ذلك ان بان لك أو بان عنك لا عذر لك أو قلت لا فهم لي فليس بالبعيد وان قلت على لكن شط عني فليس لك رأي سديد فعليك بالدخول الى بحار أنهارها والعطف على بساتين جناتها وامرح في أراضي رياضها واجن من جني ثمار أشجارها واقتطف من عقلات كرومها وشاهد بنور المشاهد ملاح غصونها وبان بانات قد فاح عطرها مع رياحين شاذن مسك عبيرها وشقائق نعمان ماالطفها وجلنار كأطراف كبريت تحكي لهبها الشمها وزهر الربيع وزهرتها كافور ومرجانها كأحسن صورتها يالها من رياض قد اخضر بسيطها وهب نسيمها وتدفقت انهارها وطاب نعيمها وتناغت سواقيها وجرت عيونها فاحيت رياض اراضيها واضحكت غصونها وطلع بدرها وظهر نجمها واخضر زرعها واستوى جذعها وجنيت عناقيد كرومها ومالت على عاشقها ودنت لدانها ومن قال اني عليل هواها فان الدواء في دوالها سيما اذا صاحت بلابل بلبالك سحرا على غصلاتها واستمعت تغريد الاطيار على اعالي الاشجار باختلاف لغاتها ونوح الحمام على الغصن بشجوها وشجونها وصدحات الايك في رباد وحاتها وأنينها والارق اذا أرق وطاب

حنينها بالهام من مسموعات ما احسن تغريدها واحسن تغريدها فكانك اذا التفت اسماعها القيت لها سمعك واتبعتها بصرك ولو امكنك أن لا تفارقها لفعلت فهكذا فلتكن حالتك عند سماع الدعوى واجابة الداعي تسمعها ثم تتبعها وهذه ثمرتها فان فهمت فانت الحاضر الشهيد وان وهمت وهمت فانت الغائب البعيد فأحضر عقلك وفهمك واترك خيالك ووهمك وليس منا انما كان منك فمن فهم السر عنا كان منا وهو منا عليه وله ان لاح معنا أو هيهات منه ما أغنى فهو منا ومعنا ومن يكن لامرنا ما تعنى فقد فقد ومات عنا فان كنت لما قلت شهيد لا تقل انك عاقل ورشيد والا فبئس البليد أما سمعت قوله

فاخلع الوهم حبيبي * واطرح تشهد حبي
فلكم بالوهم غابت * أعين عن سر ربي

﴿ ندوة طل من غيث كراماته رضي الله عنه ﴾

ولتعلم يقينا ان الايمان بكرامات الاولياء واجب وهذا مذهب أهل السنة والجماعة وانطوى عليه رأى السلف الصالح رضي الله عنهم ثبت ذلك بالنصين نقلا وعقلا وشرعا وشواهده كثيرة منقولة مأثورة من الكتاب والسنة ويكفيك عن جملتها قوله سبحانه وتعالى الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله صلى الله عليه وسلم وان من عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة فان أردت الوقوف على شئ من دلائلها فعليك باتباع الرسالة الى آخرها واستعن برياض الاذكار والاحياء وقوت القلوب حتى تبلغ المطلوب وقد ظهر للاستاذ رضي الله عنه من ابتداء ولايته كرامات وخرق عادات يجب علينا وعلى كل مؤمن الايمان بها ليخرج من عهدة الوعيد ويدخل في زمرة كل شهيد وسعيد قد شوهدت كثيرا ونقلت عنه وعن بنيه واشتهرت يقظة ومناما كعين الشمس لا سحابا ولا غماما ليس هذا مكان جمعها ولا بد من صب صبابة من ذكرها فمن ذلك ما سمعت من الاستاذ رضي الله عنه يقول قال لي عبد الكريم الكتبي يا سيدي قد رأيت الخضر في يوم مشهدك جالسا عن يمينك يسمع كلامك فاذا قمت للذكر قام معك واذا دخلت الى خلوتك تبعك وهو على زي صورتك هذه ما أخطأك زيا ولا شكلا هذا معناه وان اختلف لفظه وعبد الكريم معروف بالعلم والدين والثقة رحمه الله قال ويؤيده ما قال لي منكلي بغا وكان عبدا صالحا صحب الاستاذ مدة وخدمه برهة حتى فتح الله عليه فصار مبينا وكان في كل مشهد تحضر له حالة استماعية تخرجه عن حالته العادية فيتجرد عن ثيابه ويتشحط بين الحاضرين ويتخبط ويتكلم بكلام فيه كشف لبعض الحاضرين فاذا رجع الى حالته سلم الناس عليه والتمسوا منه الدعاء قال لي يوما يا فلان كم لك في صحبة الاستاذ قلت زمانا قال فهل رأيت الخضر حاضرا في يوم مشهده قلت لا فهز رأسه وقام واقفا وهو يقول أنا رأيته مرارا عن يمين الاستاذ رافعا

بذلك صوته رحمه الله تعالى وحكى خليل الغرس وكان رجلا صالحا خيرا قد صحب الاستاذ زمانا وكان اذا صلى الصبح لا يبرح من مصلاه حتى يرتفع النهار وتبيض الشمس ويصلى الضحى وكان لا يفارق سبحته الا قليلا رحمه الله تعالى قال يا فلان رأيت عجبا قلت وماذلك قال رأيت جماعة أجلاء وذكر من جنس وصفهم ماذكر حتى قال ويزيدون على الناس فى الطول والجمال عليهم هيبة وضياء ونور يجلسون قريبا من الاستاذ فى يوم مشهده فاذا قام للذكر قاموا القيامه واذا دخل الخلوة دخلوا خلفه كالتابع لامامه وهذا فى كل مشهد ولى مدة ما رأيتهم ولم أدر بماذا حجبوا عنى قلت ولعلك أبديت لاحد أمرهم قال نعم قلت لا تعد وقال لى شرف الدين حمزة الصوفى وكان طالب علم وله مطالعة فى كتب القوم وقد صحب الاستاذ مدة واشتغل عليه وأخذ عنه سمعت الاستاذ فى مشهده ينشد شيئا من كلامه

سر تبدى لعين قلبى * يشهده العارف اللبيب

(الى أن قال)

فان قلبى بيت لربى * تطوف من حوله القلوب

فاطرقت ساعة متفكرا مما وقع فرأيت سيدى فى الحال كانه جالس فوق الكعبة والحجيج طائف بها فقلت له ليس هذا بالبعيد فهل أخذتك عينك فرأيت ما رأيت قال لا بل رأيت ذلك عيانا لامناما قلت أوكانك مرتاب اما علمت أن لسان القال هو ترجمان الحال وقد أخبرنى بعض مشايخ الشافعية وكان عالما صالحا فاضلا ورعا ولى القضاء فلم يقض فكلمته فى ذلك فقال شروط العدالة والولاية كثيرة أين التمام بها وسكت كالكاره لها وكنت سألته عن رؤية منامية رأيتها للاستاذ فرفع بصره وتنفس الصعداء ثم قال وماذا عسى ان أقول رأيت كثيرا مما يدل على ان الاستاذ هو عين الزمان فمنها انى رأيت ليلة كأنه فى الجو بين السماء والارض وحوله جند عظيم خلفا وأماما ويمينا وشمالا والبوقات تسمع حوله واسم الرائى شمس الدين بن القزاز وكان محبا صادقا وكان يختلف الى سيدى فالهمت ان هذه مرتبة سليمانية وان كانت منامية ورأيت أشياء كثيرة ولو لم أر لامناما ولا عيانا لم أزدد بفضل الله الا يقينا وايمانا ورأيت الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى صورة شاب مخلل بعباءة فى ابل له يرعاها فوقفت معه وحادثنى وحادثته ثم أرسل معى السلام لسيدى أبى العباس خادم الاستاذ رضى الله عنه فجئت اليه وبلغته السلام فكتب ورقة بخط منسوب بقلم الطومار قوله سبحانه تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وأعطانيها فاخذتها ورجعت الى الامام على ورددت عليه الجواب ثم انه مشى الى صوب الابل ومشيت معه خطوات فقلت له ياسيدى من أنت فقال على بن أبى طالب فسكت هنيهة وسألته ثانيا فنظر الى وقال على ثم قال ابن ثم قال أبى ثم قال طالب يفصل بين كل كلمتين بسكتة لطيفة قلت ياسيدى ادع لى فقال ختم الله لك بخير ثم قال لى سلم لى على سيد العلماء فقلت ومن سيد

العلماء فقال محمد الحنفي وهذا الذي تيسر الآن ذكره وفاح لي نشره قال فمن كان الوقت له فهو عين زمانه وله الدعوى في عصره وأوانه وان كل منشور غير منشور ولايته ختم وكل معرب عن حال نفسه فلسانه قد عجم وكل ذي مقام في زمانه دون مقامه وكل علم لذي الولاء تحت علمه وكل صاحب قدم فانه تحت قدمه قد رفع الله ولاه وأعظم شأنه وأولاه فقامه في وقته لا يعلوه مقام وبرق سنا نوره لا يغشاه ظلام اذ هو الداعي باذن الله والهادي اليه والمشير الواصل اليه والدال عليه ولهذا يرى لكلامه موقع في القلوب وتأثير في النفوس وراحة للارواح ومفرحة للاشباح وداعية للاعمال واحتذاء بقلوب العمال وكأن لسر كلامه علاقي القلوب هكذا الطلعته حلاوة في العيون لا يمله الناظر ولا تسأمه النفوس ولا الخواطر اذا رآه الناظر كان الهدى له شاملا وان جالسه عار صار بعده كاسيا وأما ما كان من معالي أخلاقه الكريمة قدس الله روحه فالكتاب والسنة والقيام بامر الله والحياء من الله وملازمة ذكر الله والشفقة على خلق الله والرحمة لعباد الله والتواضع لله وبذل ما في يده لله الى غير ذلك وما كان قط عبوسا ولا شموسا ولكن طلقا بساما رئيسا اذا جلس مليحا اذا خطر كأن وجهه طلعة قمر ما اغتاب ولا نم ولا ازدرى باحد ولا ذم ولا سب ولا استسب ولا طعن ولا رمى ولا لعن ولا اعتدى ولا حلف يمينا ولا لغا ولا استمع لغوا ولا اليه صغا بل يرى محسنا لمن أساء اليه مواسيا للفقراء والمساكين والاغنياء وبغير عبس يكرم كل من قدم عليه أو صحبه لله ويدنيه لديه هذا خلقه حفظ الله أصله وفرعه ولا يرى مثله ولا رؤى ولا سمع في وقته لهو ولا حكى ولم ير بين أصحابه متكئا ولا متربعا ولا متميزا ولا مرتفعا ولا في جلوسه متميزا ولا على الفقراء متعززا ولقد صحبته نحو خمس وأربعين سنة أو أكثر منها بقليل أو دونها بقليل فما ساءني فيهما مقدار سنة ولا نهرني ولا شافهني بكلام غير بل يتلطف بي واليه يقربني ويدنيني منه ويهديني ويرغبني الى ما اليه يدعوني ويواسيني اليه اذا احتجت اليه ويزيدني مددا ما دمت بين يديه وان رأى مني تقصيرا أو هفوة أو فتورا عذرني عليه بلطف وعرفني من غير عنف ومع ذلك كل مدده الينا واصل واحسانه بنا شامل وبره بيره لنا كافل رحمته مبسوطة ويده بالعطاء ممدودة غير مقبوضة مع احتمال الاذى منهم والصفح عنهم وكانت تتبعنا هذه الاحوال السليمة والاخلاق الكريمة فوجدناها من معالي أخلاقه الحميدة وأوصافه السعيدة خلقا وطبعا لا تكلفا وصنعا وهذا مما خصه الله سبحانه وتعالى من خزائن فضله والله يمن على من يشاء من عباده والله واسع عليم فان من محاسن صفاته بارك الله لنا في حياته ورحمه بعد وفاته فما كان أحلى شمائله وما ألطفها وما أزكى أحواله وما أشرفها وما أعلى أخلاقه وما أرأفها وفي الجملة ان الكلام على محاسن أخلاقه أجل ولكن لذكرها وقت ومحل وما هو الا كما قال الامام علي كرم الله وجهه مشيرا لمن كان مؤمنا

حقا المؤمن بشره في وجهه وحزنه في قلبه أوسع شئ صدرا وأذل شئ نفسا يكره الرفعة ويجتنب السمعة كثير صمته مشغول بذكر الله وقته سهل الخليقة لين العريكة دينه أجلد من الصلد وهو لله أذل من العبد وهذه صفات أهل الكمال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ولكل وجهة هو موليها قلت فاغتنم وواصل * فالعطاء حاصل * واجعل بالله وصلك * وجهدك وشغلك * واهجر الغير وفاصل * واحذر تفارق عينك وحسك * ولكن يا حبيبي بالله أنسك * وللاسرار فاشهد * ومنها داو نفسك * واحضر كل مشهد دواؤك فيه لا تعطف عنه * واذا صفت أوقاتك للوصال فاغتنمها * واشهد مشاهدهم * تشاهدهم * ووافقهم * لا تفارقهم * وزاحمهم واجلس بينهم * وان قمت من بينهم * فاستعذ بالله من بينهم عسى أن يحصل لك منهم نصيب * فمن نازعهم فهو المصاب * ومن بان منهم فهو المصيب * فافهم لا تعيب * وعنهم لا تغيب * تنل ما تتمنى على رغم الرقيب * فان كنت غريب ديارهم * بعيدا عن أوطانهم * ليس لك اليهم وصول * ولا في محصولهم صح لك محصول * ولا في محل انسهم لك حلول * ولا في رياض قدسهم لك حضور * ولا الى حانات ذكرهم لك دخول * فأنت بقيد الخطا عن الخطا مكبول * وبسيف الصد والقلى مقتول * وبنشق الهوى مزكوم * وبحب الدنيا مخمور * ممتلئ مغمور * وبالغرور مغرور * فعليك بشربة مزيلة لعلتك * وبارئة لغلتك * تزيل عنك هذا الكموس * والداء المدسوس * واذا أردت شفاءك من دائك * فعليك باستعمال دوائك * تدخل الى دائرة التوحيد * وملازمة التجريد قال وقد سمعت ما قال رضي الله عنه بصدق واتقان

فاسلك طريق الهدى للشرع متبعا * واقطع بحار الهوى في سفن ايمان

قال وهذا هو الطريق الاقوم والمسلك الاحمد * وأنت اذا منهم * وآخذ عنهم * وقد قال أهل الاشارة في قطع بحار الهوى معنى حسن * يا ذا الذوق اجعل واوا الهوى دالا * وارفع ما قبلها شكلا تر الهدى حالا * وابدل بطاء القطع لاما فيه تفاؤل ترى * قلعا عن الهوى عنك ميالا * وادخل بحر بحار الهدى * تشاهد سلما واتصالا * وانشق نسيم القرب من صبا نجد وشمالا وارس على منية العزم سعدا واشتمالا جد السرى يا حادي * وعرج على أيمن الوادي * واستمع الندا وأجب النادي * وابسط له منك الايادي * وقل يا ذا الايادي * ويا سامعا لكل ناد * في كل ناد * من حاضر وباد * ولذي الفضل ناد يا لطيفا يا رؤفا يا رحيما بالعباد * يا غنيا عنهم وعني اغفر لي ما كان منهم ومني عساك تقبل حين تقبل * واصطبر لهم * واياك تعجل وابك بطرف ساكب ودمع مسبل فعساك أن تفهم عنهم سرا من أسرارهم أو ترى حالا من أحوالهم وهذا شئ عزيز والوصول اليه بعيد ومن من الله عليه من فضله فهو الشاهد السعيد قلت ومن صدق قوله وما أبداه من أمره ولا يرى حالي

سوى

سوى من شأنه يشبه شأني * ليت شعري أين الشأن من الشؤن * وأين الثريا من الثرى * أو الرابح من المغبون لا يشبه الخالص بالحديد والرصاص ولا الدر بالمدر ولا الجوهر بالحجر ولا الثمين بالمهين ولا النفيس بالخسيس ولا الحي بالشاخص ولا الكامل بالناقص فمن عرف نفسه وسوءها استراح من شرها وتسويلها وحجبها عما يسوءها فان أطاعته ملكها وان جمحت عنه بسوسها فان أطاعته قادها والا فهو أسيرها وان شئت ان تلقى ذلك فكن لله طائعا تراها صاغرة وهي طوع يديك واخضع ذلاله وعانق أمره ودا وم ذكره وابتغ الى الله الوسيلة واتبع سبيله ترى ما تقر به عينك ويرتاح به سرك وينشرح له صدرك ويعز به قدرك وتسمو به بين الورى وتسود على من عرا بلا مرا قال رحمه الله

حضرة الله أعدت للذي * فيه يسمو بادكار وفكر

أي عبد أي عبد عبده * ذاك مولى سيد ابن البشر

سيدا عبدا وعبدا سيدا * قرا في السر للسر قر

هكذا الى آخره وهذه البيوت لها سر غريب ومعنى عجيب تنشرح له الصدور وترتاح لكشفه القلوب وقد رأيت لها مناما دالا على علوها رأيت بابا مربعا وهو مغلوق فرأيت من فرجه نورا عظيما فتأملت المكان فاذا هو جامع كبير متسع الفضا رحيب المدا رفيع السما عالي المنار وفي علو ذلك جماعة ينشدون هذين البيتين بصوت رخيم بتان وترتيل ما سمع مثله وجعلوا يكررونهما كلما راحوا الى آخرهما رجعوا الى أولهما فلما سكتوا التفت فرأيت جماعة دون ذلك الباب المغلوق صفا واحدا على سمت واحد جالسين القرفصاء رؤسهم منكسة بين ركبهم وهم همو بس لا ينطقون ولا يتحركون فتعجبت من أمرهم وهدوّ سمتهم وهم بهذه الصفة وأنا متفكر في ذلك اذ سمعت هاتفا طائفا يقول هؤلاء المنكرون فتصفحت وجوههم فرأيت شخصا منهم أعرفه فلما حققت نظري فيه نظر الي وهو ساكت كالندمان المعقود اللسان وهذا الرجل مشهور بفن الادب ولغة العرب وله في فنه ميزان قسط ولسان عدل محجاج بواسطة فنه مدع بعلمه الرؤية بعد موته قال

وعقلة ترمي بقوس حواجب * سهم المنية كل قلب منكر

وهذا تعريف يعجب المنكرين وبعدهم ثم بين فقال

القرب معنى ما أردت بصورة * فافهم بغير تدبر وتفكر

قد أرشد الى فهم حقيقة ظاهر قوله ثم ردك الى علم فيه كشف عن سر لطفه ثم نصح وبين وأوضح فقال رحمه الله ونفعنا به وببركاته

اياك تفهم صورة حسية * مما ذكرت تكن خليا مفترى

وهذا موضع التحذير والتخويف بعد الارشاد والتعريف ثم بين لك سر رمزها لتحترز عن الوقوع والوقوف مع ظاهر لفظها فقال

لكنها أرواح معنى صورت * ببديع لفظ فاق طعم السكر

وهذا رجوع علك عن حرضك وانتقاذك من بحر هلاكك فان الانتقاد والانكار مضيق الاندفاع الى نار الهلاك وقال قدس الله سره ان شئت أن تشهد جمال أهل العلى والكمال فاخرج عن الكونين قل لى ماكل ما يعلم يقال فافهم فما هذا سدى وما سؤال المقصد سوى أن تشهد فى كل حل وارتحال فان كنت لا تفهم سر الخطاب ولا تحت ما تحت أولو الالباب والخواص خلاصة الاحباب ولم تصب من سر معناه صواب فانت رجل مصاب قد حجبت عن الاحباب وأغلق دونك الباب ولعلك لا تميز النفيس من الخسيس ولا الثمين من المهين ولا التبر من التراب ولا الشقاوة من غبرة العذاب ومن لم يبلغ حد التمييز فهو محجور وا لجر حجاب مع انى لم ألم من ظاهر كلامه معنى ولا سر المسماة أعنى وان يكن فنقطة بحرا وقطرة غيث أو بلة وبل أو ندوة طل أو مزنة صيف أو دمعة عين مصابة أو صبابة بعد ان مررت على بيوت أسراره واطلعت على بديع انشائه وحمت حولها حماها وأشرفت على تلك المنازل غير سكانها فانجذبت لها روحى ومال لها قلبى وسرى واشتغل بسر محاسنها أمرى فالتزمت الوقوف على أبوابها مقبلا ثرى أعتابها مستمطرا النوال من أربابها فنظرتهم غيث والغيث صبيب ومن التجأ الى كريم جنابهم فلا يخلو من نصيب وعلى الله أتوكل وبه أكتفى ومن فيض فضله أسترفد وأشتفى والله أسأل ان يحفظ الاستاذ عن كل ضد وند منكر ومعتر وان يجعله داعيا لكل محب مهتدى ومقتدى والله سبحانه غوثى وغياثى ومعينى ومسعفى وهو حسبى وبه أكتفى وهذا آخر الديباجة الكبرى

(فصل فى ذكر سبب وفاة الاستاذ الكبير)

(صاحب المناقب الشريفة والفضائل المنيفة)

اعلم انه كان سبب وفاة الاستاذ رحمه الله من أمراض اعترضته تعجز عن حملها الجبال وتضعف عن ثقلها كواهل الرجال وأعظمها وأشدها البلغم الحار والبلغم البارد هكذا بلغنا عن رؤساء الاطباء فانهم بينوا ذلك عندما رأوا الاستاذ وشاهدوا حاله وجسوا مفاصله فقالوا له ياسيدى قد اجتمع فيك بلغمان حار وبارد فالنصف الاعلى قد تحكم منه البلغم الحار والنصف الاسفل قد تحكم منه البلغم البارد فان داوينا الاعلى غلب عليه الاسفل وان داوينا الاسفل غلب عليه الاعلى والامر امركم فقال لهم خلوا بينى و بين الله سبحانه وتعالى يفعل بى ما يشاء فله المشيئة والتصريف وكان قبل ذلك دعوا له طبيبا يهوديا فلما قالوا له ياسيدى ان الحكيم قد حضر فرفع الغطاء عن وجهه ونظر اليه فوجده يهوديا فغمض عينيه وقال لهم أعطوه شيئا من الدنيا واصرفوه وسلم الاستاذ أمره الى الله تعالى فأقام على ذلك سبع سنين ملازما فراشه ما سمعه أحد يقول آه الى أن توفى الى رحمة الله تعالى وكان مع

وجود هذا البلاء العظيم وشدة مقاساته يتوضأ للصلاة قبل دخول وقتها بخمس درج والاذكار والاحزاب تتلى حوله فى كل صلاة ولا يصلى الامع الجماعة بوصية منه لهم فكانوا اذا سمعوا الاذان يجتمعون اليه فيصلى بهم الامام و يقرؤن الحزب والاوراد بحضوره وهو ملقى على فراشه وهو يقرأ معهم وكان كل من دخل اليه من الزوار والمحبين والاصحاب والمريدين لا يدخل أحد منهم عليه الا باذنه فمنهم من يقبل أقدامه ومنهم من يقبل يديه ومنهم من يقنع بالنظر اليه وهو مقبل عليهم بنظره و يعطى كلا منهم حظه من الكلام ويقضى كل ذى حاجة حاجته و يبلغ كل ذى أرب أربه فرحمه الله ما كان أصبره على ذلك وما كان أجلده على ما هنالك فلقد كان قواما بالقسط متكملا بالعدل لا يعرض عمن أقبل اليه ولا يلتفت عمن ينظر اليه كان والله للناس كالاب الشفيق وكالاخ الشقيق قائما بحقوق الله وحقوق المخلوقين كما قال الشيخ يحيى النووى رضى الله عنه الصالح القائم بحقوق الله و بحقوق المخلوقين وقال غيره من مشايخ الصوفية الصالح من صلح لحضرة الله التى عناها سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام فى قوله رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين وأما الولى فهو من والى بين الطاعات من غير تخلل معصية ولا فترة والذى نقله سيدنا الشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين بن كتيلة رحمه الله عن الاستاذ أن الولى هو من قال لا اله الا الله وقام بشروطها فانه اذا قام بشروطها صار وليا لله أى واليا لله و رسوله أى واددهم بشهادته لله تعالى بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة قال واذا مات الولى انقطع تصرفه فى الكون من الامداد فان قيل ان الامداد الحاصل للزائر بعد الموت يكون ممن فالجواب أن الامداد الحاصل للزائر بعد الموت وقضاء حاجته و بلوغ مرامه من الله تعالى على يد القطب صاحب الوقت يعطى الزائر من المدد على قدر مقام المزور منقول ذلك عن سيدنا الشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين بن كتيلة نفع الله به المسلمين *(فائدة)* قال الشيخ المتقدم ذكره ان المزور فى الحقيقة هو الصفات لا الذوات فانها تبلى وتفنى والصفات باقية واستدل لذلك بما كان من سيدى الاستاذ الحنفى قدس الله سره العزيز يقول لصاحبه ومحبه وخادمه سيدى أبى العباس متعهم الله بالنظر الى وجهه الكريم يا أبا العباس قم بنا نزور المصدق لرجل كان بارا يخبر عن رأس ماله فى كل ابرة يبيعها ثم قال وأما القيام لاحد من أهل العلم أو لاهل الصلاح فهو لصفة العلم أو صفة الصلاح وصفة الصلاح والعلم من صفات الله تعالى قال الله تعالى والله بكل شئ عليم فأما الصالح فانه عالم بالله عارف به وما اتخذ الله من ولى جاهل ولو اتخذه لعلمه فالقيام للرجل الصالح يكون لصفاته وهى العلوم الربانية التى قذفها الله تعالى فى قلبه أيضا فاعلم ذلك ترشد ان شاء الله تعالى

(فصل)

وأما ما نقل عن سيدى رحمه الله انه أقام فى مرضه الذى توفى فيه سبع سنين قالوا وهى

بقدر المدة التي أقام بها في أول أيام سلوكه تحت الارض في خلوته فانه أقام فيها سبع سنين أيضا وهذا سر لا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى ولا يطلع عليه غيره والسكوت عن ذلك أولى من الخوض فيه والله أعلم

(فصل)

وأما ما كان من أمر سيدي قبل وفاته بأيام قلائل فانه قد كان غلب عليه المبالغة في الافتقار الى الله تعالى والمسكنة والذلة والخضوع والخشوع والبكاء فكان لا يهدأ من البكاء ليلا ولا نهارا حتى سأل الله تعالى أن يبتليه قبل موته بالقمل والنوم مع الكلاب والموت على قارعة الطريق حتى حصل له ذلك قبل موته فأما القمل فقد حكى من أثق به و بقوله أن القمل زاد على قماش سيدي وعلى فراشه حتى كانت السيدة زهرة أم سيدي أبي الخير تسرح لحيته سيدي وتنظف فراشه ومكانه ونصلح شأنه والقمل مع ذلك يغلب و يتزايد فلما أعيت من ذلك قالت ياسيدي هذا الذي تمناه سيدي قد حصل فقال لله الحمد والشكر على ما أعطاه وأما الكلاب فقد بلغني عن الحاكي نقلا عن ابنة سيدي الوسطى واسمها أم المحاسن قطر الندا أن كلبا دخل دار سيدي حتى وصل قريبا منه ونام معه آخر الفراش أول ليلة وثاني ليلة قبل وفاة سيدي وأما قارعة الطريق فكان سيدي أعاد الله علينا من بركاته وعلى جميع المسلمين قد أمر ان يوضع في مكان في بيته اسمه الحوش ممر المار من عليه الى بيت ابنته أمة الله تعالى والى بيت الشيخ أبي الفضل ولد الاستاذ والى بيت فاختة بنته فكانت هي قارعة الطريق ممر أهل البيت على ذلك المكان والاستاذ ينظر اليهم فلما تكامل مراده قالت له زوجته سيدتي زهرة والدة سيدي أبي الخير قد حصل لسيدي ما تمناه فقال الحمد لله عسى أن الله تعالى أن يرى ذلي فيرحمني قلت واعا تمنى ذلك الاستاذ وسأل الله تعالى فيه لتكون له اسوة ببعض الانبياء فانه قد ورد في الاخبار الاسرائيلية ان لله سبحانه وتعالى سبعين نبيا ماتوا بالجوع والقمل وكانوا قد سألوا الله تعالى في ذلك كذا رأيته في بعض الكتب وهو مشهور بين أهل العلم لا يشكون فيه ولا يرتابون ومما يؤيد ذلك ما روى عن سيدنا عيسى عليه السلام انه قال من أراد الفردوس فليأكل خبز الشعير وشرب الماء من آلبئر والنوم مع الكلاب على المزابل أي الكيمان كثير في حقه وأن الاستاذ رحمه الله ما نظر الا الى هذا المعنى مقتديا بمن سبقه من الانبياء عليهم السلام وكل ذلك مبالغة منه في الافتقار الى الله تعالى وله اسوة بالسلف الصالح كعبد الله بن المبارك رضي الله عنه فانه لما حضرته الوفاة قال لمولاه نصر يا نصر اجعل رأسي على التراب فبكى نصر فقال له ما يبكيك فقال ياسيدي ذكرت ما كنت فيه من النعيم وها أنت تموت موت الفقراء فقال له اسكت فاني سألت الله تعالى أن يحييني حياة الاغنياء وأن يميتني موت الفقراء فالاستاذ رضي الله عنه طالع هذا المعنى قلت وما سأله الاستاذ واختاره لنفسه دون ما اختار مالك بن دينار رضي

الله عنه وهو أنه لما حضرته الوفاة قال لمن حضره لولا أنى أصنع شيئا لم يصنعه أحد قبلى لاوصيت اذا مت ان يقيدونى وان يجمعوا يدى الى عنقى ثم ينطلقوا بى على تلك الحالة فادفن كما يصنع بالعبد الآبق فاذا سألنى الله عز وجل لم فعلت هذا فأقول يارب وعزتك وجلالك لم أرض لك نفسى قط ساعة واحدة وأنت أعلم قال والحالة التى اختار سيدى موته عليها قريبة من الحالة التى اختار عمر بن الخطاب أن يموت عليها فانه لما حضرته الوفاة قال لولده عبد الله ورأسه فى حجره ياعبد الله ضع خدى على الارض والصقه بالتراب كى يرى مولاى ذلى فيرحمنى. وروى أيضا عن معاذ بن جبل أنه لما حضرته الوفاة واشتد نزعه كان يغشى عليه ويفيق واذا أفاق من غشيته قال اخنقنى خنقا فوعزتك انك تعلم أن قلبى يحبك وكذلك الفضل بن عياض رضى الله عنه لما حضرته الوفاة قال والله لو خيرت بين ان أعيش كلبا وأموت كلبا ولا أرى أهوال يوم القيامة لاخترت ذلك

فالسلف الصالح ما أرادوا بهذا الكلام الا اظهار الفقر والفاقة الى الله تعالى والذل والمسكنة لعلهم أن يرحموا بذلك اذا نظر الى ذلهم وفقرهم والاستاذ رحمه الله ما أراد ما تمناه الا لعلمه باحوال من سبقه من السلف فتاسى بهم ليكون له بهم اسوة ولا يخرج عن طريقتهم رضى الله عنهم أجمعين وما أحسن ماقاله الشيخ محمد بن الحسن الواسطى فى كتابه مجمع الاحباب مختصر حلية الاولياء لابى نعيم الاصفهانى فانه قال وأما أحوالهم عند الموت فانها مختلفة فنهم من يغلب عليه الهيبة كبشر الحافى رضى الله عنه فانه كان يقول عند موته القدوم على الله شديد ومنهم من يغلب عليه مايوجب له السكون والشوق وحسن الظن بالله تعالى ومنهم من يغلب عليه الفاقة والذل لله تعالى ومنهم من يغلب عليه مايوجب له السكون وحسن الظن بالله تعالى ومنهم من يغلب عليه الشوق الى لقاء الله تعالى كفتح الموصلى رضى الله عنه فانه كان اذا غلب عليه الشوق يقفز فى الهواء وينظر الى السماء ويقول الهى طال شوقى اليك فعجل قدومى عليك قال واختلاف أحوالهم عند وفاتهم على قدر منازلهم ودرجاتهم وما أفاض الله تعالى عليهم من العرفان وهم أحياء وان ماتوا رحمة الله عليهم ورضوانه قال وقد حكى عن بعضهم انه لما حضرته الوفاة قال لولده أشدد كتافى وعفر خدى بالتراب ففعل به ذلك فلما وضع فى قبره سمعوا صوتا يقول تمسكن العبد لمولاه فقبله وقربه وأدناه قال ومن نظر فى سيرهم واحوالهم علم ذلك يقينا

(استرجاع)

ولما حضر الاستاذ الوفاة قالت له زوجته أم سيدى أبى الخير فى أى موضع يكون مدفن سيدى فى زاويته أم فى القرافة فقال فى خلوتى هذه فانى أشم فيها رائحة الجنة فلما توفى الاستاذ رحمه الله اختلف الناس فى اى موضع يكون قبره فنهم من اختار القرافة ومنهم من اختار غيرها من الترب ومنهم من قال يدفن فى الزاوية فلما فرغوا من تكفينه

وقوى عزمهم على أنهم يدفنوه فى القرافة واذا بقاصد السلطان الظاهر جقمق حضر الى الزاوية وقال لهم ان السلطان رسم أن الاستاذ يدفن فى خلوته وكانت زوجة الاستاذ فى تلك الساعة تبكى وتقول ياسيدى ان دفنوك فى غير موضعك الذى اخترته يطول علينا المدا ويشق ذلك علينا وتكاثف فى رواحنا اليك وفى رجوعنا من عندك ويشق ذلك علينا فلما جاءهم قاصد السلطان وأخبرهم أن السلطان رسم يدفن سيدى فى خلوته زال عنهم ما كانوا يجدونه من الوجد والوحشة واطمأنوا وطابت نفوسهم وشكروا الله تعالى على ذلك وعلموا أن ذلك من بعض كرامات الاستاذ رضى الله عنه قلت وكانت وفاة الاستاذ رضى الله عنه سنة سبع وأربعين وثمانمائة وذلك فى يوم الخميس خامس ربيع الآخر وهذا أمر مشهور وكانت زوجة الاستاذ رحمه الله قالت له عند وفاته ياسيدى هذا الفراق فتى يكون الملتقى فقال لها يازهرة تلحقين بنا بعد عشرين سنة فعاشت بعده عشرين سنة ولحقت به وروى أن الاستاذ قال لها لاتتزوجى بأحد بعدى فان كل من تتزوجينه بعدى خربت داره وأنا لا أحب أن تكونى سببا فى خراب دار أحد وكان الاستاذ يغار عليها من حسنها وجمالها فقالت له ياسيدى سمعا وطاعة هذا عهد الله بينى وبينك أنى لا أتزوج باحد بعدك وأرجو أن أكون معك فى الجنة بفضل الله واحسانه قال فطاب خاطر الاستاذ بذلك ورتب لها فى كل يوم أربعة انصاف لامقطوعة ولاممنوعة فكانت على ذلك حتى توفيت الى رحمة الله تعالى ولما قربت وفاة الاستاذ اجتمع عليه خلق كثير يبكون حوله ففتح عينيه وقال لاتبكوا فانه ليس بينى وبينكم غير غلق من تراب وكل رجل يحجبه عن أهله وأصحابه غلق من تراب فليس برجل فاذا كان لاحد منكم حاجة فليأت الى القبر ويشكو الى حاله فان حاجته تقضى ان شاء الله تعالى ولما مضى على الاستاذ أربعة أيام من يوم دفنه جلست زوجته أم سيدى أبى الخير عند فسقيته تجاه وجهه فرأت النمل قد خرج من الفسقية وفى فمه شئ أبيض فقالت لا اله الا الله ياسيدى بعد النعيم الذى كنت فيه صار النمل يأكلك وأنت لاتعلم بنفسك وحملت هما بسبب ذلك فلما كانت تلك الليلة ونامت رأت الاستاذ وهو يقول لها يازهرة الذى رأيتيه فى فم النمل ماهو منا وانما هو من سحلية ميتة بين البنيان فانبشى ذلك الموضع واخرجى السحلية منه قال فلما أصبحت ذهبت الى ذلك الموضع وتأملته فرأيت النمل على حاله فنبشت ذلك الموضع فرأيت السحلية ميتة والنمل ينهش فيها فاخرجتها من ذلك الموضع فانقطع النمل منه وذهب عنى ما كنت أجده من الهم على سيدى رحمه الله تعالى ومما وقع للشيخ علم الدين صالح ابن البلقينى مع الاستاذ بعد وفاته أن الشيخ صالحا كان بينه وبين الاستاذ وقعة وأقام الشيخ صالح مدة منقطعا عن الاستاذ فلما توفى ودفن ندم الشيخ صالح على ما كان منه وركب وأتى الى الزاوية فلما قرب من مدفن سيدى كشف رأسه ودخل الى الضريح باكيا رافعا صوته بالبكاء والناس يبكون حوله فلما دخل الى الضريح ووقف تجاه وجه الاستاذ وقعد

على ركبتيه ووضع وجهه على الضريح وجعل يبكي و يقول ياسيدى لاتؤاخذنى فانا صالح ابن الشيخ سراج الدين البلقيني صاحبك ومحبك وأنا أستغفر الله مما وقع مني و يبكي ويقول أنتم أهل الحلم والصفح فلما هدأ روعه قرأ سورة يس هو وجماعته وذكروا والمجلس ذكر وكانت ساعة عظيمة ثم ودع الاستاذ وخرج فما وصل الى بيته حتى وصلت اليه خلعة السلطان بالقضاء وكان اذا ذاك معزولا فكان ذلك من كراماته رضي الله عنه ومما حكاه لى سيدى محمود ولد الاستاذ قال حصل لى بعد وفاة والدى فاقة شديدة فى وقت من بعض الاوقات حتى انى لم أجد ما ألبسه غير خلق أبيض وخلق جبة مهلهلة فلما اشتد بى الامر دخلت الى الضريح وأنا أبكى من عظم مابى فجلست تجاه وجهه وشكوت حالى له وقلت له ياسيدى أنا ولدك محمود وقد حصلت لى فاقة عظيمة حبستنى أن أخرج الى الناس ومنعتنى الجلوس بين الاصحاب ثم غلب علىّ البكاء وضاق بى الامر فنزعت ما علىّ من الخلقان وألقيتهم عند الضريح وخرجت من عند سيدى عريانا كالغضبان وكان وقت غلس فلما دخلت البيت استترت بملاءة ونمت فى فراشى وأنا مهموم الى أن طلعت الشمس ودخل وقت الضحى فلم أشعر الا والوالدة تقول لى اقعد يا محمود فان وقت الضحى قد دخل وأبشر أدركتك بركة والدك فان الست خوند جاءت اليك بكسوة ونفقة قال فجلست وأنا مستح مما أنا فيه فسلمت عليها فقالت والله ما أعلمنى بحالك الا الاستاذ فى هذه الليلة ثم دفعت لى كسوة ونفقة وخوند هذه ابنة الملك الظاهر ططر و زوجة الملك الاشرف رحمهم الله وقد تقدمت هذه الحكاية فى كراماته و بسطنا فيها الكلام ومما اشتهر من كرامات الاستاذ بعد وفاته ان ابنته أم أبى الغيث لما أدركها زمان الوحم اشتهت طلعا ومالت اليه نفسها وألحت فى طلبه فارسلت قاصدا الى الروضة وكان للاستاذ فى الروضة جنينة وبها خولة يقومون بمصالحها وكانوا من أصحاب الاستاذ وكانوا أمناء أتقياء أصحاب أوراد وأذكار فجاء اليهم القاصد فاخبرهم بان ابنة الاستاذ قد أدركها الوحم وقد اشتهت طلعا وقد أرسلونى اليكم بسبب ذلك فقالوا والله ما نظن ان فى النخل طلعا فى هذا الاوان وكان ذلك الوقت وقت قلة الطلع ثم انهم استوعبوا النخل جميعه واحدة بعد واحدة فلم يجدوا شيئا فرجع القاصد وأخبر أهل بيت الاستاذ فحملوا هما بسبب ذلك فلما كان من غداة اليوم الثانى جاء اليهم بعض الخولة وكان يعرف باحمد بن الشنيف وكان رجلا صالحا و بصحبته كوزان من الطلع فأرسل بهما الى زوجة الاستاذ وأرسل يقول لها والله مادلنا عليهما الا سيدى جاء الى فى هذه الليلة فى نومى وقال يا أحمد كأنهم أرسلوا اليكم يطلبون منكم طلعا الفلانة قلت نعم ياسيدى ولم نجد لهم شيئا وقد حملنا الهم بسبب ذلك ونحن فى غاية الخجل فقال لى يا أحمد اذهب الى النخيلة التى عن يمينك وأنت داخل الجنينة فان فيها كوزين من الطلع فلما أصبحت ذهبت الى تلك النخيلة التى دلنى عليها الاستاذ فوجدت هذين الكوزين فيها وقد تقدمت هذه الحكاية وبسطنا الكلام فيها فى باب الكرامات وكان أحمد هذا لما

أن يأتي الى الاستاذ في حاجة و يقع نظره عليه لم يقدر يخطي خطوة نحو الاستاذ و يقف مكانه كأنه مقيد بقيد والاستاذ ينظر اليه فعند ذلك يشير اليه الاستاذ بيده فيمشي خطوتين أو ثلاثا ثم يقف فيشير اليه الاستاذ حتى يجلس بين يديه و يأذن له أن يتكلم لحاجته فيذكرها لسيدي فيقضيها له و ينصرف فكان أحد يقول لبعض أصحاب الاستاذ والله لما أن يقع نظري على الاستاذ ما يبقى لي علم بنفسي ولولا أنه يشير الي بيده حتى أتقدم عليه ما كنت أستطيع أن أصل اليه فهذا كان دأبه رحمه الله قال و رأيت في المناقب الداودية أن سيدي عمران خادم سيدي داود العزب كان يقول اذا رأيتم جاه الرجل قائما بعد وفاته فاستدلوا على نفعه في الآخرة واذا رأيتم جاهه بعد وفاته قد ضعف فما مثاله الا كرجل تولى ضيعة حكم فيها أياما بحكمه فلما انصرف من ولايتها صار من جملة الرعية قلت وكان يقول ما يظهر جاه الرجل في حياته ولا يظهر الا بعد وفاته ثم يشير باصبعه و يقول هذا يبقى ترابا والسر حي الى يوم القيامة قلت وكلام سيدي داود يؤيد ما أودعناه من كرامات الاستاذ في هذا الكتاب المبارك بعد وفاته ويدل ذلك على أن جاهه قائم الى يوم القيامة رضي الله عنه ونفعنا به في الدنيا والآخرة آمين

(فصل)

في ذكر جماعة من أصحاب الاستاذ رضي الله عنهم فمنهم سيدي الشيخ الامام العالم العلامة العارف بالله تعالى الشيخ شهاب الدين أحمد المكنى بابي العباس المعروف بالسرسي رضي الله عنه وانما بدأنا بذكره لتقدمه على جميع أصحاب الاستاذ رضي الله عنه وهو أول من بايعه وأول من صحبه وأول من أخذ عنه الطريق الى الله تعالى لا يشك أحد في ذلك ولا يرتاب وقد أجمع جميع الاصحاب على ذلك واعترفوا له بالفضل والتقدم عليهم وعلى كل أصحاب الاستاذ الاعلى منهم والادنى والقريب والبعيد وكانوا يخضعون لسيدي أبي العباس و يتواضعون له و يتأدبون في حقه و يخشونه و يخافونه و يراعون خاطره وكان رحمه الله تعالى قد كساه الله تعالى مهابة وجلالة واستحياء حتى روى عنه انه ما دخل الحمام قط ولا رفع رأسه الى السماء قط حياء من الله تعالى وكان اذا ركب مع الاستاذ الى الروضة أو الى القرافة أو الى التاج والسبع وجوه ووصل الاستاذ الى الموضع الذي هو قاصده استأذن الاستاذ و رجع الى الزاوية في يومه بل في ساعته وكان الاستاذ اذا أخذ الفقراء وذهب بهم الى الحمام ليزيلوا أوساخهم و يذهب عنهم ما كانوا يجدونه من الاوساخ من طول مكثهم في الزاوية لم يدخل سيدي أبو العباس معهم الحمام أبدا ولا رآه أحد عريانا لا في حمام ولا في غيره رحمه الله ما كان أصابه في دينه وما كان أخشنه في طريقته وما كان أحسن ملقاه اذا جاءه فقير يسلم عليه يلقاه بوجه بشوش غير عبوس و يظهر له الود والمحبة وكان رضي الله عنه مع ما أعطاه الله من الهيبة والوقار والاحترام يمد السماط للفقراء

ويتناول

و يتناول أوانى الطعام ويصفهم بيده على السماط و يعطى كل فقير ما يخصه من الخبز ويدور عليهم واحدا واحدا حتى يطوف عليهم الى آخرهم فاذا فرغ من ذلك رفع صوته وهو يقول بسم الله الرحمن الرحيم فيكون ذلك اذنا منه للفقراء ان يأكلوا وكان الاستاذ يميل الى قوله و يمتثل ما أمره به و يشاوره فى كثير من الامور وكان اذا فعل شيئا أو رأى رأيا جوّزه الاستاذ له وأمضاه وكان الاستاذ يقول عند ذلك الرأى ما رآه أبو العباس وذلك لما علم من عقله وسداد رأيه وكان أبو العباس يفعل كل ما بداله من الرأى لان رأيه كان صوابا فى كل ما رآه وهذا كله من دينه وقوة يقينه وعفافه وصلاحه وأمانته ورأى رجل من أصحاب سيدى الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى منامه وهو يقول له اذهب الى سيدى أبى العباس واقرئه منى السلام وقد تقدم ذلك وكان من شأن سيدى أبى العباس انه ما رآه أحد خاليا من نوع من انواع العبادات اذا لم يكن مصليا أو ذاكرا سرا أو جهرا أو مسبحا أو مستغفرا أو ناظرا فى كتاب من كتب الفقه مما يتعلق بدرسه وكان له درس عظيم يجتمع فيه الطلبة الذين تفقهوا و بلغوا الى الغاية فى العلوم فكانوا يحضرون عند سيدى أبى العباس ليأخذوا من علومه زيادة على علمهم و يحضرون مجلسه وقد علاهم الهيبة فى مجلس درسه حتى كأن الطير على رؤسهم ولقد رأيت الامام العارف بالله تعالى ابن كتيلة يحضر مجلسه وهو متأدب ولا يبحث معه فى شئ وقع من المسائل المخالفة لمذهبه بل يلزم معه الادب الى أن ينتهى المجلس فيقبل يده و يمضى الى خلوته ولقد سمعته يوما يقول لما أن أحضر درس سيدى أبى العباس أكون فيه كاللقمة المفركة رضى الله عنهما ونفع بهما وقد تقدم فى أثناء هذا الكتاب المبارك أن سيدى أبا العباس كان قد ورث من أبيه مالا له صورة فأنفقه جميعه على الاستاذ الحنفى فى أيام العدم والفاقة ومنه ما صرفه على المديونين فيقول الاستاذ يا أبا العباس أوف عن هذا دينه وعن هذا دينه ومنه ما أنفقه على الارامل والايتام وفى الآخر قال له الاستاذ هل بقى معك شئ من المال فقال يا سيدى بقى معى ثمانون ألف درهم من الفضة فقال له ائتنى بها قال فأحضرت المال بين يديه فى كيس فقال لى اذهب الى البحر وألقه فى وسطه ان كنت صادقا فى محبتنا قال فمضيت بذلك وهو معى فى كيس حتى توسطت فى البحر و التفت يمينا وشمالا وأسقطته من كمى فى البحر فلما عديت الى بر انبابة وطلعت رجعت على فورى الى المركب وعديت فيها الى بولاق ومضيت الى الاستاذ حتى دخلت اليه وجلست بين يديه فقال لى ما فعلت فى المال قلت فعلت ما أمرنى به سيدى فسكت ساعة ثم قال لى ارفع طرف السجادة وخذ ما تجده تحتها قال فرفعت طرف السجادة فوجدت الكيس بعينه وهو مبلول بالماء فقال خذه واجعله تحت يدك للمستحقين قال فامتثلت ما أمرنى به الاستاذ وصار سيدى كلما قال لى أعط كذا وكذا و يسمى لى المستحقين من الفقراء والمساكين والارامل والايتام أعط ولا أخالف له أمرا فلما فرغ المال قال لى يا أبا العباس اخرج واشحت على

الابواب واحضر بين يدى ما يدخل عليك فى شحاتتك قال فلبست مرقعة وعلقت فى رقبتى المخلاة وصرت أشحت من أول النهار الى آخره فمن الناس من يعرفنى فيعطينى الاشرفى والاشرفيين ومنهم من يعطينى الفضة ومنهم من يعطينى الفلوس فلما أمسى الوقت حضرت بين يدى الاستاذ ووضعت ذلك بين يديه فلما رأى ذلك قال لى ليس هذا المقصود انما المقصود ان تشحت فى مواضع لا يعرفك فيها أحد قال فخرجت فى اليوم الثانى وشحت فى مواضع غير تلك المواضع فجاءنى أرغفة من الخبز وكسيرات وغير ذلك كالبصيلات والبويضات فلما أحضرت ذلك بين يدى الاستاذ أعجبه وشكرنى على صنعى وقال لى جزاك الله خيرا عن نفسك قلت وقد تقدم نظير ذلك مع زيادة عليه وكان سيدى أبو العباس رضى الله عنه يقول والله لو رأيت رجلا وضع احدى رجليه على الارض والاخرى فى سماء الدنيا ما اعتقدت فيه كاعتقادى فى سيدى ولو حدثتكم بما عاينته منه من العجائب ما قبلته عقولكم ولقد صحبت الاستاذ عمرى كله ما مللته ساعة ولا خالفت له أمرا ولا ضجرت من صحبته لحظة واحدة ولا جالسته فى ليل ولا فى نهار الا وزادنى من مدده وبركته ولقد قلت له عند موته يا سيدى عبدك يسألك المدد وان تمدنى بشئ مما فضل الله عليك به قال فنظر الى وقال يا أبا العباس أما ترضى ان تكون بدايتى نهايتك فقلت رضيت يا سيدى بذلك قال سيدى أبو العباس فلم أزل أترقب ذلك وأستمطر مما هنالك حتى بدا الى شئ مما وعدنى وأنا منتظر ومتشوق الى الكمال ان شاء الله تعالى ومن أصحاب الاستاذ رحمه الله سيدى عمر وهو صهره وكان من أهل العلم وكان لا ينام الليل الا قليلا ثم يقوم لاوراده اما القراءة القرآن أو للصلاة وكان كثير القراءة فى القرآن وكان له درس فى مذهب السادة الحنفية رضى الله عنهم وقرأت عليه فى مختصر القدورى رضى الله عنه وكان موصوفا بالعفة والامانة والديانة والوراعة وفعل الخير فى حق الارامل والايتام وكان له مكتب للايتام من آبائهم لكل يتيم رغيفان كبيران وثلاثون درهما كل شهر وللفقيه أربعة أرغفة وثلاثمائة درهم فى كل شهر وكنت عريفا تحت يد الشيخ شهاب الدين بن المسدى رحمه الله وعفا عنه وجزاه الله عنا خيرا وجمع بيننا وبينه فى الجنة دار الكرامة بمحمد وآله آمين وكان الاستاذ رحمه الله أشار لى بذلك وكان يصرف لى فى كل شهر مائة درهم ورغيفين فى كل يوم وذلك غير ما كان يبرنى به الفقيه من الخير والافتقادات وكنت أرى نفسى عنده أعز من الولد عند أبيه رحمه الله وعفا عنه فلما توجه الشيخ شهاب الدين الى الحجاز باذن الاستاذ وقال له سيدى لا تعد تخرج من مكة فان وفاتك بها أقمت مكانه فى المكتب فقيها ما شاء الله تعالى وأقام الشيخ شهاب الدين بن المسدى بمكة عشرين سنة أو أكثر وهو شيخ رباط يعرف برباط ربيع الى أن توفى الى رحمة الله تعالى قال سيدى عمر رحمه الله فى كل شهر من شهور رمضان يطبخ طعاما فاخرا للايتام الذين يقرؤن فى المكتب ويفرق عليهم لقرب أذان المغرب لكل واحد منهم

قدرة

قدير طعام ورغيفان ويبرهم في العيدين في عيد رمضان بفليسات للكعك وفي عيد الاضحى يذبح لهم بقرة سمينة معلوفة ويفرقها عليهم فينصرفون واللحم معهم وهم فرحون ضاحكون يدعون له وقد كان للايتام الذين وصفناهم كسوة في الصيف وكسوة في الشتاء أما كسوة الشتاء فكبر طرح مضرب ومركوب خشب وأما كسوة الصيف فقميص وطاقية ونعلان ومازال على ذلك حتى انتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى فرحم الله سيدي عمر ما كان أكثر خيره وما كان أرأفه بالايتام والارامل والفقراء والمساكين خصوصا في يوم العشر وكان قد وسع الله عليه في دنياه وأصلح له دينه وأقامه لفعل الخير والمعروف وكان رضي الله عنه شجيعا في دينه لايخشى في الله لومة لائم قليل الكلام فيما لايعنيه ثقيل الدماغ رزينا عاقلا مارؤي قط يمازح أحدا من أصحابه ولايضحك من غير عجب وكان ضحكه من غير صوت وأكثر ضحكه تبسما فلما توفي الى رحمة الله تعالى تغيرت الاحوال بعده رحمه الله وعفا عنه وقد كان له أخوان أحدهما يسمى فخر الدين عثمان والآخر يعرف بشمس الدين أخي سيدي عمر وكان فخر الدين عثمان مقيما بالخانكة وأظن انه كان له وظيفة في الاشرفية وأما سيدي شمس الدين فكان له اقطاع كما كان لسيدي عمر وكان سيدي شمس الدين رجلا سادج الباطن وكان مواظبا على تلاوة القرآن لايفتر عن تلاوته لاليلا ولانهارا الا ان يكون مشغولا بشئ لم يتعلق بمصلحة نفسه وكان منعزلا عن الناس قليل الخلطة بهم وكان الاستاذ يحبه كثيرا مقربا عنده وكان رجلا ضخما ذا هيئة حسنة وشكل عظيم ويبالغ في الملبوس الحسن وكان من رؤساء الناس وأعيانهم وكان اذا رأى الاستاذ لايملك نفسه من شدة المحبة فيه والاعتقاد وكان الاستاذ يميل اليه لسداجة باطنه وكان معظما عند الناس مهيبا لايتطلى عليه المحال وكان كل من رآه يمزح أو يضحك يعرض عنه ويكره منه ذلك وكان اذا جلس في الزاوية يقرأ القرآن كأنه يقرأ سورة الفاتحة من شدة حفظه وان كان ماشيا أو راكبا يقرؤه سرا ولايغفل عن القراءة ولايفتر عنها الا ان يكون في الصلاة أو في قراءة الحزب أو في شئ يعنيه وكان اذا مر بصبيان يلعبون يسلم عليهم فتارة يردون عليه السلام وتارة لايردون فلايغيره ذلك فهذا كان حاله رحمه الله وعفا عنه وكان من أصحاب الاستاذ سيدنا الامام العالم العلامة العارف بالله تعالى الشيخ شمس الدين الشهير بابن كتيلة رضي الله عنه الداعي الى الله الناصح لعباد الله القائم باوامر الله اذا غضب غضب لله واذا رضي رضي لله مراعيا لحقوق الله مواظبا على طاعة الله راغبا فيما يرضي الله قائما بحقوق عباد الله وكان من أولياء الله لايفتر ولايغفل عن ذكر الله كثير الذكر الله رضي الله عنه وكان لايجلس اليه أحد من أصحابه الا وأمده بمدد منه وشفقة ورحمة منه عليه وكان شديد الغيرة لله ولرسوله يتبع الحق حيث كان رضي الله عنه وكان منصفا من نفسه ولاينتصف لها من غيره رؤفا بعباد الله رحيما بهم ناصحا لهم

شفوقاعليهم فجزاه الله عنا وعن المسلمين خيرا فطال والله ماأدبنا وعلمنا وأرشدنا وسلكنا وعرفنا ودلنا على الخير وأمرنا به كنت اذا جلست اليه ينظر الى نظر الوالد الى ولده وأشفق من الوالد على ولده وكان ينظر لكل انسان نظر الرحمة والشفقة والرأفة واذا رأى من أحد شيئا لايوافق الشرع لايتغافل عن ذلك فان كان فعله بجهل منه دعاه اليه ونهاه عن ذلك وأرشده الى الخير والصواب ومما يزيد ماقلناه انه رضى الله عنه كان يوما جالسا على باب خلوته بين أصحابه اذ هو بعبد لبعض الناس قد دخل الى الجامع بجرة وأباريق يملؤها من البئر فلما ملأها وضعها على حافة البئر اذ جاءه رجل ومعه ابريق فملأه من تلك الجرة وسيدى شمس الدين ينظر اليه فدعاه اليه فلما حضر بين يديه قال له ما حملك على مافعلت قال ياسيدى ومافعلت قال أخذت الماء من جرة العبد حتى تتوضأ به فقال نعم ياسيدى فقال له كيف تتوضأ بماء ملك لغيرك أما علمت أن العبد ملأ الجرة ماء لسيده فصار الماء ملكا لسيد العبد فانه كان فى البئر مباحا فلما أحرزه العبد فى الجرة صار ملكا لسيده فكيف صح وضوءك بماء هو ملك لغيرك ارجع الماء الذى فى ابريقك الى جرة العبد ولاتعد الى مثلها فقال الرجل عند ذلك جزاكم الله ياسيدى عنى خيرا وأنا أستغفر الله تعالى ولا أعود الى مثل ذلك ثم قام من بين يديه وصب الماء الذى فى ابريقه فانظر الى هذا التدقيق العظيم وهذا النصح والشفقة منه رحمه الله حتى انه لم يغفل عن ذلك ولم يرض به ولم يسكت عنه حتى عاب ذلك الرجل بأحسن عبارة رضى الله عنه ما كان أخفض جناحه وألين جنابه لجميع أصحابه ولغيرهم وكيف لايكون ذلك والاستاذ كان يقول الشيخ شمس الدين صار داعيا الى الله وكفاه ذلك من مثل سيدى فانه جاء اليه زائرا وقد دخل الى الزاوية وكان الاستاذ جالسا وحوله جماعة من أصحابه فقال لهم الاستاذ قوموا الى الشيخ شمس الدين وسلموا عليه فانه قد صار داعيا الى الله تعالى ومما حكاه شمس الدين بن عبد القادر وكان من أصحاب الاستاذ رضى الله عنه قال رأى رجل من أهل الخير الاستاذ فى المنام وحوله خلائق لايحصون وهم من الملائكة من سكان السموات فقال الرائى ماهذا فقال له قائل هؤلاء جند الله جاؤا نصرة للشيخ شمس الدين بن كتيلة قال وكان الشيخ شمس الدين كثير الادب فى حق الاستاذ ما أظن ان أحدا كان يتأدب فى حق الاستاذ مثله فانه كان اذا جاء للاستاذ زائرا ودخل الزاوية ولم يجده حاضرا فيها يتوضأ من الفسقية ويصلى ركعتين ويدعو بعد الصلاة ثم ينهض قائما ويقصد الى خلوة الاستاذ فيقف تجاه الخلوة ويضع يده اليمنى على اليسرى ويطرق برأسه الى الارض فيكون على هذه الحالة الى ان يظهر الاستاذ من باب الخلوة فوالله لقد رأيته يقبل أقدام الاستاذ قبل أن يقبل يديه ويبكى بكاء كثيرا والاستاذ يقول له يوم مبارك واذا قال له الاستاذ يوم مبارك يزداد بكاؤه فاذا بلغ مراده من تلك الحالة قام قائما وأخذ بيد الاستاذ يقبلها كثيرا وهى معه كالخرقة يلمس بها على وجهه ويبكى وكل من كان

حاضرا يبكى لبكائه فاذا قضى أربه من السلام وجلس الاستاذ جلس بين يديه وأطرق برأسه الى الارض فيقول له الاستاذ مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا فمن شدة بكائه لم يستطع أن يرد عليه جوابا فيسكت عنه الاستاذ ساعة طويلة حتى يرجع اليه حاله فبعد ذلك تدخل أصحابه الذين جاؤا فى خدمته الى الاستاذ يساوون عليه فما كانت تلك الساعة الا ساعة عظيمة فلا أوحش الله منها ما كان ألذها وأطيبها وأنعشها للخواطر وأحلاها فى القلوب وأنفعها للعقول

فانظر الى حسن عقيدة سيدى الشيخ شمس الدين الذى صاحب الاستاذ الاوحد ومفتن فى العلوم نفعنا الله به وبعلومه آمين

قال ولقد كنت مع الاستاذ مرة فى الروضة فلما رجع الاستاذ من الروضة طالبا نحو الزاوية وركب فرسه وركب الناس بين يديه أسرع سيدى الشيخ شمس الدين رحمه الله الى مشاة الاستاذ لما أن خلعها من قدميه وركب الفرس فاخذها ورشقها فى حزامه وكان مشدود الوسط وعليه جوخة زينية فبينما نحن فى الطريق بين مصر العتيقة والقاهرة اذ أمطرت السماء فاسرع الشيخ شمس الدين وقلب ذيل الجوخة وجعله على رأسه وقاية من المطر وهو ماش عن يمين الاستاذ وكنت خلفه وسجادتى منشورة على رأسى من المطر فلما قربنا من الزاوية اسرع سيدى شاهين الفخرى عن يمينه سيدى وسنقر عن يساره آخذين بلجام فرس الاستاذ حتى دخل الى الدرب وأسند الفرس الى الدكة المنصوبة هناك حتى نزل الاستاذ عليها وعمد الشيخ شمس الدين الى مشاة الاستاذ ونزعها من حزامه وألبسها له فى قدميه فقال له بارك الله فيك ومازال الشيخ شمس الدين يخدم الاستاذ حتى خدم خدمة الاحرار والعبيد والقريب والبعيد وقد شاع ذكره وفاح نشره وعظم شأنه وعلى برهانه وانتفع به خلق كثير والعدد الجم الغزير وحفته بركة الاستاذ الكبير وقد ظهرت له الفضائل الكثيرة والمناقب الغزيرة

فمن مناقبه ما حكاه لى بعض أصحابه وهو من أهل القرآن وكان دينا خيرا تقيا طاعنا فى السن قال كنت ذات يوم جالسا بين يدى سيدى شمس الدين بن كتيلة وكان ذلك اليوم يوم عرفة وكان بعد صلاة العصر اذ قال له رجل من أصحابه ياسيدى ان العبد ما عاد ينظر الشيخ محمد بن طاهر الاباصيرى المجذوب قال فاشار الشيخ اليه باصبعه السبابة وقال له انظر نحو اشارتى قال فنظرت نحو اشارته فكشف لى عن أهل عرفة فرأيت الشيخ محمد بن طاهر وهو حامل فروة على ظهره وهو واقف مع أهل عرفات يدعو ويتضرع الى الله تعالى ثم حيل بينى وبينه حتى اختفى عنى فعند ذلك قام الشيخ من بيننا ودخل الخلوة رضى الله عنه فجعلت أتعجب مما رأيت

ومما وقع للشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين بن كتيلة ما حكاه لى الشيخ شمس الدين المعروف بابن عبد القادر رضى الله عنه قال أرسلنى الشيخ المشار اليه فى شفاعة عند

الحولى يحيى بن نصيف وكان مدركا بصندفا لاجل أن يسأله فى اطلاق رجل محبوس عنده فلما سألته فى اطلاقه قال لى عد على غدا قال فرجعت الى الشيخ وأخبرته فسكت سيدى عند ذلك فلما كان من الغد أرسلنى اليه ثانيا فقال لى عد على غدا فرجعت وأخبرته عن ذلك فسكت فلما كان من اليوم الثالث أرسلنى سيدى اليه فوجدته قد ركب فرجعت اليه وأخبرته انه قد ركب الى بعض البلاد فقال لى ركب قلت نعم يا سيدى قال فسكت ساعة وهو مطرق رأسه الى الارض ثم رفع رأسه الى وقال لى ركب قلت نعم ياسيدى فقام ودخل الى الخلوة فسمعته يقول اللهم ارفع حملك عنه اللهم أشدد وطأتك عليه قال فلما كان بعد ساعة أو ساعتين اذ جاء خبر من أهل المحلة انه قتل فى يومه ذلك قد لقيه بعض أعدائه فقتله فنعوذ بالله من تغير الفقراء وتغير خواطرهم

ومما وقع للشيخ المشار اليه أن ثلاثة أنفس من أصحابه جاؤا اليه للزيارة من بعض البلاد وقد اشتهى كل واحد منهم شهوة يأكلها عند الشيخ فمنهم من قال اليوم آكل عند سيدى بيرافا وجبنا طريا وعسل نحل فقال الثانى أنا ما آكل عنده الا زلابية وعسلا فقال الثالث أنا ما آكل الا سمكا مقليا قال فلما دخلوا الى الشيخ سلموا عليه وجلسوا بين يديه قال فجعل الشيخ ينظر اليهم ويتأملهم واحدا بعد واحد فلما طال عليهم الجلوس استأذنوا الشيخ فى الرجوع فقال لهم اصبروا قدر ساعة قال فجلسوا ثم قام الشيخ ودخل الخلوة وغاب ساعة طويلة ثم ظهر اليهم وقال لبعض الجماعة ادخل الى الخلوة وأخرج ما فيها من الخبز قال فدخل الخلوة وأخرج منها البيراف والعسل ثم بعد ذلك أخرج الزلابية ثم أخرج بعد ذلك السمك المقلى فلما وضع ذلك بين أيديهم قال لهم كلوا ما اشتهيتم ولا يرجع لكم بالعادة قال فحصل لهم من الخجل مالا غاية له فأكلوا وهم يبكون ورجعوا وهم يبكون رضى الله عنه ونفع به ولولا خوف الاطالة لبسطنا الكلام فى ذلك

ومن أصحاب الاستاذ الشيخ سالم ابن مريم ساكن تروجة من أعمال البحيرة رضى الله عنه فانه كان صالحا زاهدا عابدا عارفا بمقامات الرجال داعيا الى الله تعالى قائما بحقوق الله وحقوق المخلوقين ما صحبه أحد الا وانتفع بصحبته وكان شاذلى الفقراء مالكى المذهب وكان قد أطلعه الله تعالى على الضمائر وما تخطر به الخواطر فقد أرسل اليه الاستاذ بعض مريديه وكان يعرف بمحمد البابا وهو من خواص أصحابه بل من أعيانهم وساداتهم وكان قد شكى للاستاذ حالة الفاقة والحاجة وشدة البرد فقال له الاستاذ امض يا محمد الى تروجة واجتمع بالشيخ سالم بن مريم فقد جعلناه حملتك قال فذهبت اليه فلما اجتمعت به ووقع نظره على قال لى الاستاذ الحنفى بعثك قلت نعم قال فاحضر شيئا من العيش فأكلت وأكل معى قال فلما فرغنا قال لى قم معى الى البحر فقمت معه الى البحر فجلس عند شاطئه وغرف بيديه الاثنين فاذا هما مملوءتان لؤلؤا وقال لى تأخذ من هذا فقلت مالى فى هذا أرب قال فألقاه فى البحر

ثم غرف بيديه ثانيا وطلع بهما فاذا فيهما جوهر فقال لى تأخذ من هذا فقلت له ليس لى فى هذه الاشياء رغبة قال فرماه فى البحر ثم قال لى اتبعنى قال فتبعته الى منزله فدخل المنزل وأخرج لى جوخة وقميصا وعمامة ومنديلا أبيض وأذن لى بالسفر الى الاستاذ وقال لى سلم عليه واسأله لى الدعاء قال ومازلت بخير من حين مافارقت سيدى الشيخ سالما الى الآن

ومن أصحاب الاستاذ رضى الله عنه الشيخ يوسف القطورى الشهير بابى طاقية رضى الله عنه وهو الشيخ العارف بالله تعالى والداعى اليه والدال عليه العارف بالطريقة الجامع بين الشريعة والحقيقة الزاهد العابد المحقق الصالح المدقق صاحب الاشارات الكثيرة والعبارات الغزيرة وكان الاستاذ رحمه الله يميل اليه بالمحبة لكثرة الانتفاع به وقد تقدم فى ترجمته سبب تسميته بابى طاقية انه جاء يوما الى الاستاذ رحمه الله وكان سيدى ذلك الوقت جالسا على الدكة التى كانت منصوبة فى الدرب المجاور للزاوية قال فلما دخل الى الاستاذ وسلم عليه تأخر ووقف بين يديه وكان الى جانب حائط الزاوية طوبات مهدودة من الجدار وهناك بعض طين وذلك بسبب اصلاح ذلك الموضع الذى فى الجدار قال فالتفت الاستاذ الى الشيخ يوسف وقال له يايوسف انزع عمامتك وشد وسطك وشمر أكمامك وخمر هذا الطين ورقع هذا الموضع الذى فى الجدار فقال السمع والطاعة ياسيدى ثم انه أسرع وشرع فيما أمر به الاستاذ حتى أنهاه وأصحابه يساعدونه فى ذلك فلما فرغ من البناء ناوله بعض أصحابه عمامته ليلبسها فابى ولم يلبسها فسئل عن ذلك فقال ان سيدى أمرنى بنزع عمامتى فنزعتها باذنه وأنا لا ألبسها الا باذنه فان أذن لبستها فلما فرغوا وغسلوا أيديهم من الطين طلعوا الى الزاوية قال فلما ظهر الاستاذ لصلاة الظهر تقدم اليه الشيخ يوسف وقبل يده وعمامته معه فلم يقل له الاستاذ البس عمامتك ولم يستأذنه سيدى يوسف فى لبس عمامته فمازال على تلك الحالة بطاقية واحدة الى أن توفى الى رحمة الله تعالى

ومن أصحاب الاستاذ رحمه الله الشيخ الصالح والعالم الناصح الامام المحقق والعامل المدقق الورع الزاهد العابد سيدى طلحة المعروف بالمنشاوى من بلدة تعرف بالمنشأة باقليم السخاوية رضى الله عنه ونفع به وببركة أسلافه وأولاده وهو الراوى عن الاستاذ أنه قال له حين جاءه زائرا وهو فى مرض موته ياطلحة ياولدى لقد خرج من هذا الموضع يعنى زاويته نحو الاربعمائة ولى كلهم على قدمى هذا يعنى على طريقته وقد تقدم فى أثناء هذا الكتاب أن الاستاذ لما نزل الى الريف ودخل الى المنشأة كان سيدى طلحة صغيرا مراهقا على رأسه طاقية وكان له اعمام يطعنون فى جانبه بسبب رزقة كانت بينه وبينهم فقالت له أمه ياطلحة اخرج الى سيدى محمد الحنفى وقبل يده واجلس بين يديه فاذا انفردت به فاشك حالك له وما تلقاه من أعمامك قال فامتثل ماأمرته به أمه وخرج الى الاستاذ وهو جالس فى زاويتهم فسلم عليه وجلس مع الناس فلما انصرفوا وانفرد سيدى طلحة بسيدى تقدم اليه وشكا له حاله

ومايلقاه من أعمامه قال فوضع الاستاذ يده على رأسه وقال له والله ياولدى ياطلحة كلهم ينقرضون ومايعمر البيت الا أنت قال سيدى طلحة فوالله لقد انقرضوا كلهم ولم يخلفوا غيرى و بلغت مابشرنى به الاستاذ رحمه الله وقد تقدم ذلك بزيادة فيه

ومن أصحاب سيدى الشيخ نور الدين الحنفى شيخ المخلصية التى بصندفا المجاورة لبطن البحر وهو الشيخ الصالح الفقير الصابر الورع العابد الخير التقى العفيف النقى صاحب الاستاذ قديما وأقام فى صحبته زمانا طويلا وكان الاستاذ يميل اليه بالمحبة وكان عليه ملامح من الاستاذ وكان الشيخ شمس الدين بن كتيلة رضى الله عنه يقول له ياشيخ نور الدين أنا أحبك لانى أرى فى وجهك آثارا من وجه سيدى وكان الشيخ نور الدين هذا عليه خفر ووقار وسكينة وافتقار مكسور النفس كثير التواضع لايميل لنفسه تمييزا على غيره من جالسه ودأبه لايفارقه من حسن محاضرته ومن لين كلامه وخفض جناحه قريب من الناس يحب من جلس اليه ويخدمه بنفسه ويستأنس بانسه وقد كان حوله جماعة يأتمرون بامره وينتهون بنهيه ويبادرون الى قضاء حوائجه منهم سيدى حسن القرقشندى والنقيب داود وعبد اللطيف الكبير وعبد اللطيف الثانى وكلهم صحبوا الاستاذ وأخذوا عنه الطريق وانتفعوا به رحمة الله عليهم أجمعين

ومن أصحاب الاستاذ الشيخ على الشنيشى من بلد بالشرقية تسمى شنيشة صاحب الاستاذ قديما وأقام فى صحبته زمانا طويلا رأيته وقد بلغ المائة سنة ومع ذلك أعطى قوة فى بدنه على العبادة وقيام الليل وصيام النهار وكان زاهدا للدنيا عن جانب عظيم ليس له فيها رغبة وانما كان يرغب فى عبادة الله كثير الاجتهاد فيها بعيدا عن الخنا والغيبة والنميمة ولايتكلم فيما لايعنيه ولايخوض فى باطل قط أكثر كلامه فى كرامات الاولياء والصالحين واذا ذكر سيدى فيهل وهو الذى روى عن الاستاذ أنه كان جالسا ذات يوم بالروضة التى على جانب البحر والناس حوله فمايشعرون الا ورجل مغربى دخل على الاستاذ فى الزاوية للزيارة فسلم عليه ووقف بين يديه واستأذنه فى السؤال فقال له اسأل عما شئت فسأله عن مسألة فى الطريق الى الله تعالى فاجابه عنها ثم سأله مسألة ثانية وثالثة فأجابه عن سؤاله فقال له الاستاذ اسأل يامغربى عما تريد وان سألتنى عن شئ ليس عندى له جواب أتيتك بجوابه من اللوح المحفوظ قال واذا بالمؤذن قد أذن لصلاة الظهر فقاموا الى الصلاة وصلوا فلما فرغوا من الصلاة طلبوا المغربى فلم يجدوه فسألوا الاستاذ عنه فقال لهم هذا هو القطب أتاكم يعلمكم الادب مع الاستاذ قلت وأخبرنى الشيخ على الشنيشى رحمه الله قال لما صحبت الاستاذ وأردت ان أبايعه على الكتاب والسنة فبايعنى على ذلك ثم قال لى ياعلى تبايعنى على الروح والمال أو على المال دون الروح أو على الروح دون المال قال وقد كان لى نحو الثلاثين فرسا شركة بين الناس فعزت على الخيل فقلت له ياسيدى أبايعكم على الروح دون المال وذلك لامر

قدره الله تعالى قال فبايعني على الروح دون المال قال فوالله مامر على شهران أودونهما حتى ماتت الخيل كلها ومابقى لى حيلة غير حمارة عرجاء

ومن أصحاب الاستاذ رحمه الله الشيخ يعقوب المعروف بالحسيني من أهل منية ابي الحسين صحبته وقد كان طاعنا فى السن قد جاوز التسعين وكان له أحوال عجيبة تظهر منه عند الذكر من التغيبات والاستغراقات والغشيان وكان الناس يحضرون معه الذكر فلما شاهدوا منه تلك الاحوال كثروا ورغبوا فى الذكر معه فيزدادون فى الذكر رغبة ومحبة حتى ان بعض الناس كانوا يتركون نساءهم وأولادهم وينامون عنده فى الزاوية وقد كثرت أصحابه بسبب ذلك وزادت وكان يدعوهم الى الله تعالى ويسلكهم الطريق اليه حتى انتفع به خلق كثير ولقد حكى لى رحمه الله فقال أول ماصحبت الاستاذ نفع الله به قال يايعقوب اذا كان وقت الضحى شد وسطك واغسل بيوت الراحة التى فى الميضأة وكذلك عند الغروب وداوم على ذلك

قال فامتثلت ما أمرنى به الاستاذ وجعلت أفعل ذلك كل يوم حتى أقمت على ذلك مدة فلما كان بعد ذلك قال لى اكنس الزاوية كل يوم واخدم الفقراء واقض لهم حوائجهم قال ففعلت ذلك مدة فقال لى بعد ذلك قد صلح حالك يايعقوب وكنت قبل ذلك عندى شمم وكبر وعجب فى نفسى فذهب عنى ذلك وانكسرت نفسى وصرت أقول فى نفسى ما أحد اذل عندى منها حتى فتح الله على ببركة الاستاذ رضى الله عنه ونفع به والحمد لله على ذلك

ومن أصحاب الاستاذ رضى الله عنه الشيخ زين الدين خلف المشالى الحنفى الشيخ الصالح والورع الزاهد التقى النقى العفيف الامين الدين الخير أحد شيوخ العبد رضى الله عنه ونفع به آمين ولقد كان عالما فاضلا عاملا بكتاب الله تعالى وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وله تصانيف بديعة فى علم العروض والفرائض والبديع وله شرح مجمع البحرين أمعن فيه وأبدع ولم يكمله قالوا ولم يسبق اليه وكان مفننا فى علوم كثيرة وكان عظيما فى الفوائد عارفا بالادلة من الكتاب والسنة ماناظره أحد ممن يخالف مذهبه الا قطعه من غير تعب ولا نصب حتى يبهت ناظره ويتحير مناظره وينقطع مخالفه وينشرح مخالفه ومع ذلك كان اذا دعاه الاستاذ يحضر اليه ويقبل يده ويجلس بين يديه جاثيا على ركبتيه طارقا برأسه الى الارض بادب ووقار

ولقد سمعته يوما يقول وأنا جالس بين يديه والله لقد سافرت بلادا كثيرة ودخلت مدائن غزيرة وجالست علماء عديدة امارأيت أحدا بلغ رتبة الاستاذ ولا هيبته ولا خفره ولا كلمته المسموعة ولا شفاعته المقبولة عند من يعرفه ومن لا يعرفه ولا أراه الا آية من آيات الله تعالى رضى الله عنه ونفعنا به آمين

(قلت) ولقد دعاه الاستاذ يوما فلما حضر بين يديه قال له ياشيخ خلف جهز حالك وسافر الى

البرلس ولا تعد تخرج منها الا باذن وادع الناس الى الله تعالى وعلمهم أمور دينهم وشرائع الاسلام اذهب بارك الله فيك قال فخرج من بين يدى الاستاذ وشرع فيما أمر به الاستاذ وجهز حاله وسافر الى البرلس فأقام بها سبع سنين يدعو الناس الى الله تعالى ويعلمهم أمور دينهم وشرائع الاسلام وصار له بها مريدون ومحبون وأصحاب وأحباب فلما مضت السبع سنين أرسل له الاستاذ كتابا بالسلام عليه وأمره فيه بالرجوع الى مصر فلما وصل الى الاستاذ فرح به وشكره على فعله وجزاه خيرا رحمه الله تعالى وعفا عنه

قال ولقد حكى لى رحمه الله يوما عن بعض أهل العلم انه قال اعلم أن بين قوله تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين آخر الحجر وبين قوله تعالى أتى أمر الله فلا تستعجلوه أول سورة النحل سبعمائة وجه هكذا أخبرنى به سيدى الشيخ زين الدين خلف رحمه الله تعالى ونفعنا به وببركة علومه آمين

ومن أصحاب الاستاذ رحمه الله الشيخ الصالح الدين الخير العفيف صاحب الورع والزهد والعفة والامانة الشيخ فتح الدين قارئ الحديث بين يدى الاستاذ الحنفى وقد كان الاستاذ يقربه ويدنيه ويميل اليه بالمحبة والاحسان والشفقة والرأفة والتعطف ويتعاهده بالبر والاحسان وكان فى يوم ميعاد الاستاذ ينصب له كرسى للوعظ يجلس عليه فيه فيعظ الناس من طلوع الشمس الى وقت الضحى

فعند ذلك يظهر الاستاذ الى الميعاد وقد نصبت لسيدى دكة من الخشب وعليها فرش لين وهى مستورة بسجادته الخضراء فيجلس عليها ويفتتح الذكر بالجماعة أولا ثم اذا ختم الذكر أخذ يتكلم فى الميعاد بالعلوم اللدنية والاسرار الربانية

وقد تقدم ذلك بتمامه فى أثناء هذا الكتاب فاذا ظهر سيدى من باب خلوته أخذ النقباء فى رفع الكرسى الذى كان عليه الشيخ فتح الدين فيرفعونه ويجعلونه خلف الناس فى موضع لا يجلس فيه أحد وقد جلس الشيخ فتح الدين خلف الحلقة التى بين يدى الاستاذ حتى يفرغ سيدى من الميعاد فرحمة الله على تلك الاوقات ما كان أحسنها وما كان الذها وما كان أطيبها فلا أوحش الله منها ولا من أهلها فنعمت الحضرة كانت ونعم الاوقات بانت أعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاتها وبركات صاحبها من كان السبب فيها وجزاه الله عن المسلمين خيرا بمحمد وآله آمين

ومن أصحاب الاستاذ رضى الله عنه الشيخ نور الدين المغربى وكان صهر سيدى أبى العباس خادم الاستاذ الحنفى رضى الله عنه وكان يقرأ القرآن كثيرا وقرأت معه وجلست بين يديه وحل على نظره رحمه الله تعالى قال وكان اذا جلس لقراءة القرآن لا يغير قعدته حتى يقرأ ربع القرآن أو نصفه أو أكثر وفى كل ذلك لم يغير قعدته وكان الله قد أعطاه قوة على ذلك وكان على رأسه شعرة مرباة وكان مكشوف الرأس يتعمم على شعرته بشملة من الصوف

الابيض

الابيض وعليه قميص من الملحم صيفا وشتاء لا يشكو بردا ولا حرا وكان مجانبا للناس لا يجالس أحدا الا ان كان يتلو القرآن لا غير فاذا انتهى مجلس القراءة قام وأسرع فى مشيته حتى لا يتبعه أحـد وكان قليل الاجتماع بالاستاذ من عظم هيبة سيدى فى قلبه وكان اذا رأى الاستاذ من بعيد يتوارى عنه من شدة الهيبة التى تقع فى قلبه رحمه الله وعفا عنه

ومن أصحاب الاستاذ رضى الله عنـه الشيخ شمس الدين الاندلسى المغربى العالم العـلامة المحقق المدقق فاق أكثر أهل زمانه زهدا وصلاحا وعفة وعلما وكان يتكلم فى عشرين علما من علوم الشريعـة والحقيقة وكان لما أن دخـل الى القاهرة نزل عند الشيخ سعد الدين ابن الديرى رحمه الله شيخ المؤيدية فانزله عنده فى خلوة فلما أن سمع بالاستاذ الحنفى مال اليه بالقلب والمحبة وقد جاء اليه زائرا فلما وصل الى الزاوية ودخلها رأى الاستاذ جالسا على باب خلوته فلما وقع نظره على الاستاذ تقدم اليه واستأذنه فى الوصول اليه فتقدم وسلم عليه وقبل يديه وجلس بين يديه جاثيا على ركبتيه فاقبل الاستاذ عليه ورحب به وبسط له الانس والان له الـكلام حتى ارتفعت منـه الوحشة التى وقعت فى قلبه من الهيبة وصار الاستاذ يستجلب خاطره ويستعطفه حتى مال الى الاستاذ بالمحبة وأحب سيدى محبة عظيمة قال ولقد رأيته يوما جاء الى الاستاذ للزيارة فلما وقف بباب الزاوية سمعته يقول والله لما أن ادخل الى هـذا المكان المبارك أرى نفسى كانى داخل الى حرم مكة من عظم هيبة هذا المـكان المبارك وما زال على ذلك حتى انتقل من المؤيدية وأخـلى له الاستاذ بيتا على انفراده وكان معـه خادم يخدمـه لا يفارقه لا ليـلا ولا نهارا وكان مغربيا صحبه من البلاد فلما أقام عنـد الاستاذ مدة بلغه أن الاستاذ له ابنة استحقت الزواج فخطبها منـه على يد سيدى أبى العباس خادم الاستاذ وقد أرسل له خمسين دينارا معجـلة على يد سـيدى أبى العباس فقال الاستاذ لسيدى أبى العباس اجعلها عنـدك فانى أظن ان ماله عنـدنا رزق فلما كان بعد مدة مال الشيخ شمس الدين الاندلسى الى حب الرآسة وسعى فى قضاء حمص وقيـل حماة فانعم له السـلطان بذلك وأمره بتجهيز حاله

فلما بلغ الاستاذ ذلك الامر أمر سيدى أبا العباس أن يدفع اليه ماله ففعل سيدى أبو العباس ذلك فلما جهز حاله وأراد السفر جاء الى الاستاذ يودعه ويأخذ خاطره فقرأ له الاستاذ سورة الفاتحة فقبل يده وسافر فبعد ذلك جاء الخبر الى الاسـتاذ أنه توفى فى الطريق وكذا خادمه فى بعض البلاد ودفنا بها فترحم الاستاذ عليه وقرأ له الفاتحة

ومن أصحاب الاستاذ رضى الله عنـه الشيخ شهاب الدين بن أبى زيد المغربى المانسـتيرى الشيخ المحقق والامام المدقق وكان معروفا بالزهادة وبالوراعة وبالعفة والامانة والصلاح والعبادة والعلم والعمل والديانة والصيانة رضى الله عنه ونفعنا به

وكان من أعيان مشايخ الغرب مقيما ببلاد سيدنا ومولانا أبى فارس سـلطان تونس الخضراء

وكان سيدى شهاب الدين المغربى المذكور مقيما فى مكان يعرف بمانستير يقال انه على جانب البحر المالح على جبل وهناك زاوية فيها ثلاثمائة وستون فقيرا كلهم أتباع الشيخ المذكور وان لهذه الزاوية غيطانا وبساتين من التين والتمر وغلاله للفقراء وقد كان شهاب الدين قد أتى الى مصر لطلب الحج الى بيت الله الحرام وزيارة النبى صلى الله عليه وسلم قال فلما جاء الى مصر قصد الى زاوية الاستاذ الحنفى ومعه كتاب من سلطان الاندلس وذلك فى زمن الاشرف رحمه الله فاخلى له الاستاذ خلوة وكان معه ثلاثة أنفس يخدمونه خرجوا معه فى صحبته وهم من الغرب وقد رأيته وقبلت يده مرارا ودعالى وكان شيخا ذا لحية بيضاء تملأ صدره وعليه خفر ووقار وهيبة وجلالة وكان اذا أراد أن يتوضأ أخذ الطست بيده وخرج من خلوته ووقف على جانب البئر ويملأ الدلو مرتين يملأ بهما الطست وكان ملء الطست دلوين فاذا امتلأ الطست أخذه بيده وجلس الى جانب الفسقية ويبدأ بغسل يديه وأنا أنظر لفعله وأتبرك بالنظر اليه فيفرغ الماء الذى فى الطست بعد غسل وجهه ثم يأخذه ويملؤه ثانيا بدلوين آخرين ثم يعود الى مكانه ويتم وضوءه فيتوضأ بأربعة دلاء ولا يمكن أحدا من خدمه الثلاثة من ملء ذلك الطست ولا يرضى يكلف أحدا ولا يتعبه بسببه ولا تلحقه مشقة فى خدمته بل كان يتولى أمره بيده فاذا قارب الشيخ من فراغ الوضوء عمد أصحابه الى سجادتين خضروتين فيفرشون احداهما ويصلون بها الاخرى فيقوم الشيخ ويمشى عليهما الى باب خلوته فاذا دخل الخلوة عمد أحد الخدم الى سجادة منهما ويفرشها بين يديه فى الخلوة ليصلى عليها فكان هذا دأبه فى كل يوم مرة واحدة والله أعلم بأحواله فى الليل هل يتوضأ مرة أو مرتين أم لا وكان الاستاذ يخرج من خلوته فى الليل فيحس الشيخ المغربى بظهوره فيخرج من خلوته ويسرع اليه ويجلس بين يديه والناس نائمون فيختلى مع الاستاذ ويتكلم معه سرا من غير أن يسمع لاحدهما كلام والله أعلم بما يكون بينهما من أمرهما من الاسرار التى لا يعلمها الا الله تعالى فما زال على ذلك حتى توجه مع الحجاج وقضى مناسك الحج ورجع الى الاستاذ فاقام عنده فى الخلوة التى كان فيها أولا مدة ثم استأذنه فى السفر للغرب فاذن له فكان آخر عهدنا به رضى الله عنه

ومن أصحاب الاستاذ رضى الله عنه الخطيب جلال الدين الرئيس الجليل الكبير المحترم وكان صاحب عقل ورزانة وهيبة وجلالة ووقار وكان قليل الكلام جدا لا يكلم أحدا الا جوابا صاحب الاستاذ قديما وكان خطيب الزاوية قليل المخالطة للناس وكان له صبانة تقوم بنفقته ونفقة عياله وكان يبالغ فى الملبوس منعما فى دنياه بعيدا عن الرياء والمداهنة زاهدا فى الرآسة راغبا فى العزلة عن أبناء الدنيا لا يجالس أحدا منهم ولا يميل اليه ولا يعبأ به ومن رآه اعتقد أنه أخرس لقلة كلامه ومخالطته بالناس ومن الناس من يعتقد انه أصم وهو مستغن بالله عن جميع الناس ليس له الى أحد حاجة الا أن يضطر اليها فيستعين بالاستاذ

عليها قلت وكان اذا حضر بين يدى الاستاذ لا يتكلم ولا ينطق بكلمة كأن الكلام لم يخلق فاذا قام الاستاذ من مجلسه قام هو ودخل بيته وكان مجاورا لسيدى أبى العباس من داخل الدرب فمازال على ذلك الى أن انتقل الى رحمة الله تعالى رحمه الله وعفا عنه ما كان ألين جنابه وأخفض جناحه مع أنه كان ذا شكل حسن وذا هيئة وجمال وكانت رؤيته تملأ العين والقلب مارآه أحد الا أحبه فرحمه الله تعالى وعفا عنه

ومن أصحاب الاستاذ رضى الله عنه الشيخ الصالح الورع الزاهد العالم العلامة العامل المحقق الشيخ شمس الدين البساطى المالكى قاضى قضاة المالكية شارح مختصر الشيخ خليل فى جزأين كبيرين ماسبقه اليه أحد وكان مع وجود هذه العلوم الغزيرة يعانى الصيد بالشبكة وتارة بالسنارة ويبيع مااصطاده ويقتات من ثمنه وكان اذا خرج الى الصيد يلبس خلقانا كخلقان الصيادين ويتلثم حتى يستر لحيته عن الناس ويشد وسطه ويأخذ شبكة أو قصبة ويخرج الى الصيد من خوخة فى داره فاذا قضى أربه من الصيد وباعه رجع الى أهله ودخل الى بيته من الخوخة التى خرج منها فينزع ماعليه من الخليقات ويلبس أفخر ثيابه ويتعمم بشاش ويلبس جندة بيضاء مثمنة ويتطيلس ويخرج ويجلس على مسطبة فى دهليز منزله بين نوابه ويحكم بين الناس بلا اجرة فاذا احتاج الى نفقة دفع الى غلامه دراهم ينفقها على عائلته وقيل انه كان له بعض أملاك ينفق على أهل بيته من أجرتها ويصرف للغلام منها وكان هو لا يأكل الا من ثمن الصيد

ولقد حكى لى بعض أهل الخير عنه قال اصطاد الشيخ شمس الدين قاضى القضاة البساطى المذكور يوما سمكة كبيرة فبينما هو قاصد الى من له فيها رزق اذ لقيه رجل ذمى من النصارى فقال له ياصياد هل معك شئ من السمك فقال له نعم قال فلما رأى السمكة قال له كم ثمنها بشرط أن تحملها معى الى البيت فقال له اشتر وأنا أحملها معك الى بيتك قال فاشتراها منه بستة عشر درهما على هذا الشرط وحملها معه الى بيته واذا بوالد الذمى على باب المنزل فقال لولده أين كنت فقال اشتريت سمكة من هذا الصياد وعرضها على والده وقص عليه قصته فقال لولده أعطه الثمن قال فدفع اليه ثمن السمكة وصار والد الذمى يتأمل الصياد فعرفه فلحق به وقال له ادفع الى قفة الصيد ان كنت اشتريت قال فدفعها اليه ورجع وقد عرفه الذمى وصار يتبعه الى أن دخل منزله من تلك الخوخة وقد شاع هذا الامر بين الناس وقيل ان الذمى أسلم هو وأهله وولده بسبب ذلك

ولقد رأيت الشيخ شمس الدين قاضى القضاه البساطى يدخل الى الاستاذ رضى الله عنه ويجلس بين يديه جاثيا على ركبتيه وكان ذا هيئة عظيمة وعليه خفر ووقار وله حرمة جسيمة وكان رجلا طوالا وله هيبة تملأ العين والقلب وعلى رأسه عمامة عظيمة وطيلسانه يسحب على الارض وكان القاضى يرفع طيلسانه بيده حتى لا يصيب الارض وكان مع ذلك يجلس بين

يدى الاستاذ كأنه طفل صغير طارقا رأسه الى الارض من هيبة الاستاذ وكان سيدى أبو العباس خادم الاستاذ يقول لا اله الا الله طال ما مشى الشيخ شمس الدين البساطى تحت ركاب الاستاذ الى الروضة والى غيرها رحمه الله وعفا عنه ورأيته أيضا لما أراد أن يسافر مع الملك الاشرف الى آمد وقد جاء لوداع الاستاذ وكذلك الشيخ شهاب الدين بن حجر رحمه الله جاء الى الاستاذ بسبب الوداع حين خرج السلطان الى آمد وكذا جوهر الخازندار جاء في الليل لوداع الاستاذ وأخذ منه جبة جوخ ليلبسها السلطان ان وقع في حرب وأخذ منه جوهر الخازندار طاقية وألبسها له الاستاذ بيده في تلك الليلة وأصبح السلطان صبيحة تلك الليلة مسافرا الى آمد رحمهم الله

ومن أصحاب الاستاذ رضى الله عنه الشيخ مصطفى بقلعة الروم كتب له الاستاذ توقيعا بالمشيخة وأخذ العهود وتسليك الفقراء وتربية المريدين وأمره أن يجلس في زاويته بقلعة الروم فامتثل أمر الاستاذ وفعل ما أمره به وقد صار يدعو الناس الى الله تعالى حتى كثرت أصحابه وأحبابه ومحبوه فقيل انهم بلغوا ثلاثة آلاف مريد وقيل أكثر من ذلك

وأخبرني الشيخ بدر الدين حسن الحصيني وكان من أصحاب الاستاذ الحنفي قال دخلت الى قلعة الروم واجتمعت بالشيخ مصطفى الحنفي الشاذلي رحمه الله فرأيتهم يقرؤن حزب الاستاذ بين يدى الشيخ مصطفى وعنده فقراء مجاورون في زاويته في خلاوعدة فسألني الشيخ من أين جئت فقلت له من ناحية العراق كنت في زيارة الصالحين فقال لي والى أين أنت قاصد فقلت له الى مصر لزيارة سيدى محمد الحنفي وأجاور عنده في الزاوية ان شاء الله تعالى قال ففرح بي وأكرمني وأقبل علي وجمع لي من أصحابه دراهم كثيرة حتى قامت بي نفقة وكراء ومؤنة الى أن دخلت الى مصر

وكان الشيخ مصطفى عهد الي عند الوداع أن اقرئ الاستاذ عنه السلام وان أسأله الدعاء قال فلما وصلت الى الاستاذ بلغته سلامه فقال لي سيدى كيف حال مصطفى فقلت ياسيدى بخير فقال زاده الله خيرا ونفع به المسلمين

ومن أصحاب الاستاذ رضى الله عنه الشيخ شمس الدين محمد المعروف بالبابا رحمه الله وكان رجلا كبيرا صالحا تقيا نقيا عفيفا أمينا وكان من أهل الزهد والورع والعفة والامانة على جانب عظيم وكان عارفا بالله تعالى مع انه كان عاميا لا يقرأ ولا يكتب لكن ما اتخذ الله من ولي جاهل ولو اتخذه لعلمه ولقد رأيته وجالسته وكان يميل الي بالمحبة والشفقة رحمه الله تعالى وكنت أسمع منه كلاما عاليا في علم الحقيقة والشريعة لم أسمعه من كثير من المشايخ فسبحان المعطي الوهاب وكان مشهورا بذلك بين أصحاب الاستاذ وكانوا يعتقدونه ويتبركون به ويعترفون له بالفضل والصلاح والكشف والفلاح ويتعجبون من أمره لانه ما احتاج الى معلم ولا فقيه وما حصل له ذلك الفتح الا من بركة مدد الاستاذ له وقد تقدم في أثناء هذا الكتاب

شئ

شئ من ترجمته وذكر شئ من علامات ولايته فمن ذلك أنه لما حضرته الوفاة وأصحاب الاستاذ حوله اذ سألوه عن القطب فقال لهم هو معكم فى هذه الساعة فقالوا له ياسيدى محمد فما علامته قال أن تكون الدنيا بين عينيه كالكرة يقلبها كيف يشاء ثم انه تلفظ بالشهادتين ومات رحمه الله فعلموا أنه عنى بالقطب عن نفسه وعرفوا أنه تقطب قبل موته كما وقع لسيدى أبى بكر الطريفى رضى الله عنه فان بعض الفقراء العارفين أخبر عنه أنه تقطب قبل موته بخمس ساعات ولما مات دفنوه الى جانب سيدى عمر صهر الاستاذ زوج ابنته فى مدرسته غربى زاوية الاستاذ الحنفى رحمه الله تعالى وعفا عنه ونفع به آمين

ومن أصحاب الاستاذ رضى الله عنه الشيخ الصالح الورع الزاهد سيدى نور الدين على الفضالى رحمه الله رأيته وجالسته مرارا وسمعت كلامه وكان الغالب عليه الجذب والوله وتارة يكون فى هيئة قاض على رأسه شاش عظيم وجندة بعلبكى رفيع وطيلسان رفيع ومركوب شامى أحمر وهو يمشى فى تلك الهيئة ويجلس فى زاوية الاستاذ رحمه الله فمن رآه اعتقد أنه قاض فاذا قرب منه وعرفه علم انه الشيخ على الفضالى وكان قد أعطى حظا عظيما وصوتا رخيما فى قراءة القرآن فكان اذا قرأ لا يمكن لاحد أن يفارقه وان سمعه أحد من الناس وهو خارج عن الزاوية دخلها حتى يسمع قراءته وما سمع أحد قراءته الا وارتاح اليها قلبه واستأنست بها نفسه وغلب عليه وجده فاذا قطع قراءته أرسل اليه أهل بيت الاستاذ يطلبون منه القراءة ثانيا وكان جوهرى الصوت حنون القلب حزينه تخشع له الاصوات عند قراءته وتميل له القلوب عند سماع صوته وكان اذا قرأ يجتمع اليه اثنان أو ثلاثة من الفقراء يقرؤن معه ويعضدونه فى القراءة وكان اذا قرأ ورفع صوته بالقراءة غطى عليهم برخيم صوته فقل من يملك نفسه عن البكاء عند سماع قراءته وكنا تارة نراه على غير هيئته المذكورة وعليه شلتوتة دنسة على رأسه يتعمم بها على خلق قمع أصفر قديم قد اندعك بالعرق وهو لابس خلقاما قعادنسا كأنه ثوب زيات وفى رجليه بروة قبقاب قديمة وهو يقول ما أطيب هذا العيش وما أهنأه فكانت هذه طريقته رحمه الله تعالى وعفا عنه ونفعنا به آمين

ومن أصحاب الاستاذ رضى الله عنه الشيخ الصالح العابد الضعيف فى نظره وبدنه القوى فى دينه وكان يعرف بالسقاء نفعنا الله به وكان من شأنه حب قيام الليل وصيام النهار والاشتغال بكثرة النوافل وكان الغالب عليه قراءة القرآن ليلا ونهارا وكان ثقيل اللسان رقيق القلب قليل الكلام كثير البكاء وكان اذا وقع نظره على الاستاذ لا يملك نفسه من البكاء واذا سمع حس باب خلوته عند ظهوره منها رفع صوته بقول لا اله الا الله وكل عضو فيه يهتز ويرتعد وكان الشيخ سنقر البشمقدار يحسن اليه كثيرا ويوادده ويصله بالبر والخير والهدايا والمأكول والمشروب والملبوس الى أن تزوج الشيخ على السقاء قطع عنه

معروفه وخيره وهجره كأنه لم يعرفه وصار ينتقد عليه ويقول هذا قد لهته امرأته عن عبادة الله تعالى فحصل للشيخ المذكور بسبب ذلك كسر خاطر وتغير خاطره حتى نفرت القلوب عن سنقر وحصل له مقت من الفقراء فدام في عكس الى أن مات وتغيرت أحواله حتى انه كان قد اشترى بعض كتب ووقفها في زاوية الاستاذ على الطلبة المجاورين بالزاوية فأحوجته المقادير الى فك الوقف وباع الكتب بعد وفاة الاستاذ وأخذ ثمنها يستعين به على سفره الى الحجاز فتوفي بمكة وهو في حال ضيق فنعوذ بالله من تغير خواطر الفقراء

ومن أصحاب الاستاذ رضي الله عنه الشيخ حسن المحلي الرجل الصالح المغفل الكثير البكاء المعرض عن الدنيا وكان عن الناس بمعزل مشتغلا بالله تعالى لا يلتفت الى الدنيا ولا الى أهلها مجتنبا للاغنياء مقبلا على الفقراء مكسور النفس قليل الكلام أكثر ما كان يرى منفردا بنفسه خاليا متلذذا بخلوته مستأنسا بالله تعالى مستوحشا من الناس نظره الى الارض أكثر من نظره الى السماء وكان من وظائفه أنه كان خادما للمصحف الذي يقدمونه الى الاستاذ بعد صلاة العصر عند قراءة الربعة بعد فراغهم من قراءة الحزب كان يفتح الخزانة ويأخذ منها المصحف والكرسي ويقدمهما الى الاستاذ وهو جالس على باب خلوته والحلقة معقودة حوله فيضع المصحف على الكرسي بين يديه ويقبل ركبته ويرجع الى خلفه خلف العمود قريبا من خلوة سيدي وكان سيدي أبو العباس يفرق أجزاء الربعة على الفقراء فاذا فرغ الاستاذ من القراءة قبل المصحف فاذا رآه الفقراء قبل المصحف رفعوا أصواتهم بقراءة قل هو الله أحد ثلاث مرات والمعوذتين والفاتحة ثم يدعو الامام

وأما الشيخ حسن المحلي فانه كان اذا عاين الاستاذ قبل المصحف نهض مسرعا الى المصحف والكرسي فيرفعهما من بين يديه ويضعهما في الخزانة ويقفلها ويأخذ المفتاح معه وكان يوقد المصابيح لصلاة الصبح وصلاة العشاء وكان يخدم في الزاوية ويملأ الفسقية من البئر وكان فقيرا جدا لا يملك شيئا من الدنيا وكان له ورد في الليل وذكر خفي وكان كثير الاوصاف المحمودة وكان عنده كسر خاطر وكسر نفس ومسكنة فوق الوصف

ومما وقع له مع بعض الفقراء أنه ظهر له منه بعض جفاء فخاف أن يكون قلبه قد تغير عليه فما يشعر ذلك الفقير الا وسيدي حسن المحلي قد أقبل عليه بعد ساعة وفي رقبته حبل معلق به مراكيب جلد وهو مكشوف الرأس فوقف بين يدي ذلك الفقير وقد وضع يده اليمنى على اليسرى فوق صدره وهو يبكي حتى رحمه كل من حضره من جماعة الفقراء وأقسم بالله تعالى أنه لا يرمي هذه المراكيب المعلقة في رقبته حتى يطيب خاطر ذلك الفقير فما وسع الفقير الا أنه قام اليه وكشف رأسه وعانقه وبكى وبكى الآخر ورفعا أصواتهما بالبكاء فمد ذلك الفقير يده الى الحبل ونزعه من رقبة الشيخ حسن وكل الفقراء يبكون لبكائهما فبعد ذلك وقع الصفاء بينهما وصارا أحبابا واخوانا في الله تعالى فكان أصحاب

الاستاذ كلهم على هذه الحالة وكيف لا يكون ذلك وقد حل نظر الاستاذ عليهم رضي الله عنهم ونفعنا بهم

وكان الاستاذ رحمه الله يقول ان من فضل الله علينا أنه ما وقع نظرنا على أحد الا ويحصل له خير وقد صدق فيما قاله فان قوله ذلك مجرب صحيح بين أصحابه فانه رضي الله عنه ما نظر الى أحد بعين المقت الا وصار ممقوتا ولا نظر لاحد بعين الرضا الا وصار محبوبا

وكان من أصحاب الاستاذ رجل واعظ يسمى أبا الخير الواعظ وهو عبارة عمن ينشد بين يدى الاستاذ بعد فراغه من الميعاد فينشد من كلام السلف الصالح فيحصل بذلك للسامعين وجد وطرب وتواجد وطيبة وبكاء ويتعشون من ذلك السماع فمنهم من يصرخ ومنهم من يبكى ومنهم من يرقص ومنهم من يغشى عليه ومنهم من يتكلم في وجده بكلام لا يقصده بل يخرج منه بغير اختياره وتظهر فيه أحوال الفقراء على صنوف مختلفة وكان هذا أبو الخير قد رباه الاستاذ وهو مع والده النقيب محمد رحمه الله رأيته وصحبته وكان رجلا دينا تقيا عفيفا أمينا قليل المخالطة للناس وكان محترما مهيبا عند الناس وكان الاستاذ يميل اليه بالمحبة لاجل هذه الصفات المحمودة فاتفق أن ولده أبا الخير حضر مجلس بعض الفقراء وكان في عمل مولد عنده فانشد بحضرته وكان ذلك الرجل سيئ الاعتقاد في الفقراء فبلغ ذلك الاستاذ رحمه الله فتغير خاطره على أبي الخير فانقطع صوته وصار متروكا بين الناس لا يعبأ به أحد ولا يلتفت اليه وصار والده المتقدم ذكره يتوسل الى الاستاذ باعيان الناس وسألوه أن يطيب خاطره على ولده أبي الخير الى أن رضي عليه الاستاذ وأرسل خلفه فحضر بين يديه وهو مكشوف الرأس باكيا وقبل مركوب الاستاذ وقبل يديه واستغفر ووقف بين يديه ساعة مكشوف الرأس فمد الاستاذ يده وأخذ عمامته منه ووضعها على رأسه فعلموا أن الاستاذ قد طاب خاطره عليه ففرح أصحابه بذلك وكان صوت سيدى أبي الخير صوتا عظيما وكان قد أعطى حظا وعزا عند الاكابر واتسعت عليه الدنيا وكثر ماله وكان يبالغ في الملبوس ويتغالى فيه كثيرا وكان والده رحمه الله يفرح بذلك ويسره ويدعو للاستاذ كثيرا فلما طاب خاطر الاستاذ عليه قال له يا ولدى

اعلم أن الفقراء ما عندهم عصا يضربون بها من أساء الادب في حقهم وما عندهم الا تغير خواطرهم ونعوذ بالله من تغير خواطر الفقراء ولولا أنت عندنا عزيز لرفعنا اسمنا عنك وتركناك ثم وضع يده على حلقه ومسح بها عليه فرد الله عليه حاله وزاد عما كان فرحم الله الاستاذ ما كان أكثر حلمه وأوسع صدره على من يلوذ به وينتمى اليه وما كان أكثر عفوه وصفحه واحتماله على من يعرفه ومن لا يعرفه رضي الله عنه وأرضاه فانه والله ما انتقم لنفسه من أحد قط ولا انتصف لها ولا غضب لها وما كان غضبه ورضاؤه الا لله وكان مأمون الرضا مأمون الغضب لا يخرجه غضبه ولا رضاؤه عن الكتاب والسنة

وممارأيناه ورأيناه ان بعض الاجناد في زمن الملك الاشرف برسباى وكان مملوكا من مماليكه شديد التعصب على فقراء الزاوية سيئ الاعتقاد فيهم وكان مجاورا للزاوية فوقع بينه وبين فقير من الفقراء كلام يتعلق بالاعتقاد في حق الفقراء فانكر ذلك المملوك على الفقراء فقال أنا والله مااعتقد في أحد فقال له ولا في النبي صلى الله عليه وسلم فتكلم بكلام لا ينبغي ذكره وكان ذلك بحضرة جماعة فبلغ الكلام الى الاستاذ فقال والله أماسوء اعتقاده في الفقراء فذلك أمره الى الله تعالى وأماسوء اعتقاده في سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينبغي السكوت عنه

ثم قال الاستاذ استفتوا العلماء في ذلك فكتبوا فتاوى وأرسلوها الى العلماء فقالوا ان الاستاذ يحكم فيه برأيه فارسل يقول لهم لابد من وضع خطوطكم لتحصل البركة فعند ذلك أفتى بعضهم بكفره وبعضهم أفتى بتعزيره وبعضهم أفتى انه يسأل عن معنى القول الذى قاله ان كان قوله يدل على نقص وازدراء في حق النبي صلى الله عليه وسلم فقد كفر وان دل قوله على غير ذلك فيعزر فلما وقف الاستاذ على الفتاوى قال نأخذ بالاهون ونؤدبه ثم ان الاستاذ أحضره فوقف بين يديه وأرسل الى الكتاب أعنى كتاب السبيل وكان العبد اذذاك فقيه الكتاب فاخذ الفلقة والعصا فقمت أنظر مايقع بهذا الجندى فادركته وهو ممدود على ظهره ورجلاه في الفلقة وبعض الاجناد يضربه على رجليه وهو يقول توبة لله توبة لله الى ان أمر الاستاذ بقيامه فأقاموه فلما قام تقدم الى الاستاذ وقبل يده وأخرجه مع اثنين من الاتراك وبات معهما في الترسيم فلما أصبح الاستاذ وكان ذلك اليوم يوم الميعاد فحين انفض الميعاد أرسل الاستاذ بذلك المملوك الى السلطان فلما وقف بين يديه وقصوا عليه قصته رسم بنفيه الى الشام ومات فيها وشاعت هذه الحكاية في القاهرة فارتجت القاهرة وتعجب الناس من ذلك وزاد سيدى عما كان ووقعت هيبة الاستاذ في قلوب الناس أكثر مما كانت ولقد سمعت بعض الاعيان من أكابر الناس يقول والله طيب ياسيدى محمد ياحنفي لك في المدينة خمسون سنة أو أكثر في المشيخة ماانطفأ لك نعم حتى قيل ان الاستاذ لما أن توفى الى رحمة الله تعالى ظهرت رماية النطرون في القاهرة فكان ذلك أول ماظهر من المظالم

ومما وقع لشخص من مجاورى الزاوية اسمه خضر السروى ويعرف بابن خراز ولقد رأيته ورأيت والده وكان مدرك السرو وكان يأتى الى ولده خضر ليزوره ويتفقد أحواله فيجده يقرأ في العلم فيفرح بذلك ويسر به وكنت ألوذ به وكان الاستاذ ناظرا اليه لحذقه ومعرفته بأصول الفقه حتى زوجه بجارية من جواريه وكان من طلبة سيدى أبى العباس خادم الاستاذ رضى الله عنه فلما رأى نفسه صار عارفا بالاصول في مذهب السادة الحنفية طمع في أعلى مماهو فيه فطلق الجارية ومضى الى الجامع الازهر يريد أعلى مما كان فيه فسأل الاستاذ عنه فقيل انه مقيم بالجامع الازهر فقال لا حول ولا قوة الا بالله

العلى العظيم فقال والله انه لمسكين مابقى يحصل له شئ لا من هنا ولا من الجامع الازهر قال فضاق عليه الجامع الازهر واستوحش من أهله ولم يلتم عليه أحد منهم فلما اشتد به الامر سافر الى السر و فأقام بها فضاقت عليه فخرج الى الشأم فضاق عليه أيضا فسافر الى مدينة صغد فأقام بها يقرئ الاطفال الى ان مات غريبا رحمة الله عليه فنعوذ بالله من تغير خواطر الفقراء

ومن أصحاب الاستاذ رضى الله عنه الشيخ شهاب الدين أحمد المغربى وكان مجاورا بالزاوية قال بعض الفضلاء ان له خمسين سنة وهو مقيم فى خلوته لا يخرج منها الا فى حين ما وكان مشتغلا بكتاب الله تعالى لا يتعدى ربع القرآن من سورة يس الى سورة الفاتحة يكتب فى لوح خشب من ألواح المغاربة غير مدهون من أول يس و يدرس فيه فاذا حفظه مسحه وكتب غيره وهكذا الى سورة الفاتحة ثم يعود يكتب الى سورة يس فيكتب من أولها الى الحمد كل يوم لوحا فأقام على ذلك خمسين سنة وهو على هذا الحكم لا يزيد ولا ينقص وكان تقيا عبدا صالحا فى دينه عفيفا دينا صينا خيرا لا يشوبه شئ فى دينه وكل أحواله مستقيمة على الكتاب والسنة وكان له شرب بدار الاستاذ رضى الله عنه واذا عطش الاستاذ وهو فى الزاوية أرسل الى سيدى أحمد المغربى يطلب منه الكوز فيحضر سيدى أحمد وهو معه فاذا شرب الاستاذ رجع سيدى أحمد بالكوز معه الى الخلوة وعلقه فيها هكذا كان دأبه مع الاستاذ رحمه الله وكان قليل النوم فى ليله كثير الاوراد لا يشغله عن الله شاغل مشتغلا بالله عن جميع الناس ما دخل حماما قط ولا أحد رآه خارج الزاوية ولا بالقاهرة ولا بغيرها منذ ما كان فى صحبة الاستاذ الى أن توفاه الله تعالى وكان اذا اشتاق الى الجلوس فى الزاوية ظهر من خلوته وجلس فيها ساعة أو أقل وينهض الى خلوته وكان الاستاذ يأمنه على الفقراء وعلى الشبان المردو يوصيه بهم ويقول له يكون ذهنك عليهم وراعهم بنظرك يحصل لك خير وذلك لما يعلم من دينه وعفته وأمانته وكمال عقله ونصحه للفقراء رضى الله عنه ونفع به آمين وكنت أراعيه وأنتظر ظهوره من خلوته فاذا رأيته ظهر منها وجلس فى الزاوية أهرول اليه فاسلم عليه وأقبل يده وأجلس بين يديه فيقول لى كيف حالك يا سيدى على فأقول له بخير فيقول الحمد لله رب العالمين فاذا رأيته قرأفى وجهى بعضا من القرآن أقوم وأرجع الى موضعى

ومن أصحاب الاستاذ رضى الله عنه الشيخ الصالح الورع الزاهد العارف بالله تعالى والقائم بحقوق الله وحقوق عباد الله المشتغل بعبادة الله تعالى التابع لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المعتقد فى أولياء الله المحب لاهل كتاب الله المتواضع لاخوانه فى الله الراضى بأحكام الله الصابر على قضاء الله المقبل على طاعة الله المعرض عن معاصى الله المؤتمر بما أمر الله به والمنتهى عما نهى الله عنه سيدى الشيخ شهاب الدين المعروف بابن

الخلادتي رضي الله عنه ونفعنا به لقد كان من خواص أصحاب الاستاذ بل من أعيانهم وأخيارهم وكان من أقران سيدي أبي العباس والشيخ شهاب الدين بن حجر والخطيب جلال الدين ومن أقران الاستاذ أيضا فانهم كانوا جميعا مجتمعين في مكتب واحد وكان الفقيه صاحب المكتب يوصيهم جميعا بالاستاذ ويقول لهم أوصيكم بهذا محمد اليتيم فأوصيكم به خيرا فلازموه واعرفوا فضله وامتثلوا أمره ولا تخالفوه وتأدبوا معه واحترموه ووقروه فانه يكون له شأن عظيم وصيت ورفعة عالية وكلمة نافذة وبركات ظاهرة ومناقب باهرة وسوف ترون ما أقول لكم وستذكرونه فيما بينكم فاذا رأيتم ذلك فادعوا لي بالرحمة والمغفرة فما زالوا يحترمون الاستاذ في صغره وكبره وهم محافظون على وصية الفقيه ويعترفون بفضل الاستاذ ويراعون خاطره ويحفظون وداده ويتأدبون معه حتى رأوا جميع ما أخبرهم به الفقيه فكانوا يدعون للفقيه بالرحمة والمغفرة كما قال لهم فكان سيدي شهاب الدين بن الخلادتي المتقدم ذكره يراعي خاطر الاستاذ ويرعى وداده ويحفظ وصية الفقيه طول حياته وكان يأتي الاستاذ للزيارة في رأس كل شهر عند صلاة العشاء فيصلي معه العشاء مع الجماعة فاذا قضيت الصلاة فتح له الاستاذ باب الخلوة الاخرى فيدخل منه وينام عند الاستاذ وكان شيخا كبيرا فجاءه ذات ليلة ونام عنده على حكم عادته وكان سيدي الشيخ شمس الدين ابن كتيلة تلك الليلة قدم للزيارة وكان معه جماعة من أصحابه يذكرون معه بعد العشاء وكان العبد من جملتهم

فلما رأى الشيخ شهاب الدين ابن الخلادتي قد دخل الى خلوة الاستاذ صار يقول هنيئا له ويكررها وصار يحسده على بياته عند الاستاذ في الخلوة ولم يفعل الاستاذ هذا في حق أصحابه الا الشيخ شهاب الدين ابن الخلادتي فاذا ظهر سيدي لصلاة الصبح ظهر الشيخ شهاب الدين من الباب الذي دخل منه واستأذن الاستاذ في رواحه الى منزله فيأذن له الاستاذ في ذلك فكان هذا دأبه معه كلما زاره ينام عنده في الخلوة ولقد بلغني عن الاستاذ انه أرسل الى الشيخ شهاب الدين ابن الخلادتي قاصدا في حاجة وقال للقاصد اذا قضي حاجتك فقل له أوصني بوصية أحفظها عنك فلما قضى حاجته قال له القاصد مثل ما قال له الاستاذ فقال له اذا صليت الصبح والمغرب قل عقب كل صلاة منهما اللهم أجرنا من النار سبعا فان من فعل ذلك أجاره الله من النار قلت ورأيت منه ذلك مرارا كلما جاء للزيارة يبيت عنده في الخلوة ويخرج منها بعد أذان الفجر وكان منزله بعيدا داخل القاهرة وكان فقيه مكتب السبيل بازاء المؤيدية الذي بناه المؤيد الشيخي للايتام رحمه الله فكان الشيخ شهاب الدين ابن الخلادتي فقيه هذا المكتب الى أن توفي الى رحمة الله تعالى ومما وقع لي مع الاستاذ رضي الله عنه ونفع به أني سألته أن يبايعني فقال لي حتى أستخير الله تعالى فانصرفت من بين يديه وأنا منتظر لما وعدني فلما كان بعد يومين أو ثلاثة أيام تقدمت اليه وسألته عن ذلك فمد يده المباركة الي

وقال

وقال هات يدك فلما وضعت يدى فى يده ومسكها قال لى مهما قلت لك قل نعم فصار كلما قال لى كلمة أقول نعم وقد غاب صوابى وغبت عن حسى وصرت لا أشعر بنفسى ولا أعلم فى أى مكان أنا وقد أخذنى الخجل والاستحياء والعرق حتى ابتل قميصى عرقا من شدة تجلى منه فلما أطلق يدى من يده المباركة ورجع الى حالى قمت من بين يديه ورجعت الى خلوتى فلما أن خلوت بنفسى تفكرت فيما قاله لى فعرفت أنه بايعنى على الكتاب والسنة فحمدت الله وشكرته الذى رآنى الاستاذ أهلا لمبايعته وفرحت بذلك فرحا شديدا

وكان سيدى الشيخ شمس الدين بن كتيلة رضى الله عنه جالسا ذلك الوقت فى خلوته فصعدت اليه وقبلت يده وأخبرته بما جرى لى مع الاستاذ فحمد الله على ذلك وأظهر لى السرور ومن ذلك اليوم صار يقول لى أنت أخى ما أنا شيخك فان شيخى وشيخك واحد وكان منصفا كثير الانصاف سالما من الدعاوى الكاذبة بعيدا عن الاقوال الباطلة وما رآنى بعد ذلك اليوم الا بعين الكمال والمحبة والشفقة وكنت أتردد اليه وهو بالجامع الذى بسويقة العمرى قبل أن يعمر الضريح والجامع على الملقة ومازلت أتردد اليه بعد ذلك وهو يكرمنى غاية الاكرام ويقربنى ويلاطفنى بالكلام ويمدنى بنظره ويجبر بخاطرى اسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يمتعنا بالنظر الى وجهه الكريم وأن يجبر كسره بين يديه وأن يجمعنا واياه فى دار كرامته انه ولى ذلك والقادر عليه

(استلحاق)

قال ثم انى بعد ذلك اجتمعت بالاستاذ مرة أخرى بعد مبايعتى له وهو يريد تربته التى بالقرافة وذلك بعد صلاة العصر لما أن انصرفنا من بين يديه وأخذ كل من الفقراء مكانه فوقفت من بعيد وأنا أنظر الى الاستاذ وأشاهده وكنت لا أشبع من نظرى اليه فلما وقع نظره على أشار الى بيده المباركة أن تعال فأسرعت اليه من شدة فرحى باشارته فلما وصلت اليه وقبلت يده أقبل على وقال اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وسلم ورضى الله عن أصحاب رسول الله أجمعين ثم قال لى أذنت لك أن تذكر وتذكر وتدعو الناس الى الله تعالى ثم قال لى ياعلى ها أنت قد ملأت قربتك ثم قال وكان لنا صاحب يقال له يوسف أبو طاقية وكان كل قليل يأتينا للزيارة ويملأ قربته ويروح الى البلاد ويسقى الناس وكلما فرغت قربته يجئ يملؤها من هنا ويرجع ينفع الناس وها أنت قد ملأت قربتك فكان ذلك آخر اجتماعى بالاستاذ رحمه الله وعفا عنه ونفع به فما كان أرحمه وأرأفه وألطفه بأصحابه ومحبيه ومعارفه ومريديه كان والله أشفق عليهم من الوالدين بولدهما فجزاه الله عن المسلمين خيرا وأعاد الله علينا وعلى المسلمين من جزيل بركاته فى الدنيا والآخرة آمين

وممن تردد الى الاستاذ رضى الله عنه الشيخ الصالح الورع الزاهد مربى المريدين والداعى الى رب العالمين الشيخ الجليل والعالم النبيل سيدى أبو عبدالله محمد البلالى نزيل القرافة

رضي الله عنه ونفع به فبلغه عن الاستاذ الكبير أنه مر مع أصحابه وهو قاصد الى الروضة بساقية دائرة فتقدم اليه القاضي ناصر الدين الشنيشي رحمه الله حتى حاذاه وقال له ياسيدى العبد سمع منكم فى بعض المواعيد أن من الاولياء من يعرف لسان حال الجمادات فقال له الاستاذ نعم فقال له ياسيدى فما يقول لسان حال هذه الساقية فقال له هذا سؤال استفهام أو سؤال استمعان فقال لا والله ياسيدى انما هو سؤال استفهام لا استمعان فقال له سيدى تقول لك على قدر عقلك لسان حالها يقول لا تراه ملآنا الا طالعا ولا تراه فارغا الا نازلا قال فبلغ ذلك سيدى محمد البلالى وهو فى زاويته بالقرافة فصار يتعجب ويقول ألله ألله صدق رضي الله عنه فلما دخل الليل قال سيدى محمد البلالى لبعض جماعته قوموا بنا نزور سيدى محمدا الحنفى ولا يصحبنى منكم الا من يكون على وضوء كامل قال فتوضأ منهم جماعة وخرجوا مع الشيخ حتى وصلوا الى الاستاذ رضي الله عنه فلما اجتمع به سيدى محمد البلالى وسلم عليه وجلس بين يديه أقبل الاستاذ عليه وأكرمه ورحب به قال فعند ذلك قال ياسيدى بلغ العبد ما هو كذا وكذا قال نعم فقال له ياسيدى هذا لسان حال القواديس وأريد من سيدى ان أسمع منه لسان حال الساقية بنفسها فقال له الاستاذ ادن منى قال فدنا منه فقال له سرا كلاما ليس بمسموع فلما سمع ذلك من الاستاذ بكى وقال سألتك بالله ياسيدى دعنى أقبل مركوبك فقال لا والله ان كان ولا بد فهذا قدمى ومد الاستاذ قدمه الى الشيخ محمد البلالى فقبلها وكان سيدى الشيخ محمد البلالى صاحب علم وعمل وبلغنى أنه اختصر احياء علوم الدين للغزالى فى جزء واحد وهو مطلوب ومنتفع به قلت وممن كان يتردد الى الاستاذ سيدى أبو بكر الطريني رضي الله عنه وكان يحضر ميعاد الاستاذ وكان سيدى أبو بكر اذا قرب من باب زاوية الاستاذ يقف عند الباب والاستاذ يتكلم فى الميعاد وعيناه مغمضتان فيطأطئ سيدى أبو بكر رأسه وهو على باب الزاوية ويسمع كلام الاستاذ ثم يقول * ياقليله تدحرجى * وابصرا المامن اين يجى * ثم يقول يجئ من عند محمد الحنفى هكذا مرتين أو ثلاثا ثم يدخل ويسمع كلام الاستاذ الى آخره فاذا انقضى المجلس اجتمع بالاستاذ وسلم عليه فكان أبو بكر رضي الله عنه ما دام مقيما بالقاهرة ما يقطع ميعاده رضي الله عنهما وكان الاستاذ يفرح به اذا رآه ويكرمه ويقربه وكان سيدى الشيخ أبو بكر يتأدب معه كثيرا وكان الاستاذ يعتقده وقد أحببت أن أضيف الى هذه الحكاية ما كان الشيخ أبو بكر يقوله اذا أراد أن يدخل الى الزاوية لسماع الميعاد وهو * ياقليله تدحرجى * وابصرى المامن اين يجى فان المقادير قد أطلعتنى على سبب هذا الكلام عن رجل من أهل الخير وذلك أن بعض الصالحين المتمكنين كان له خادم يخدمه فأقام فى خدمته زمانا طويلا فقال له الشيخ يوما من الايام اسقنى يامنطال بطريق المباسطة معه قال وكانت القلة التى يشرب منها الشيخ بحضرته وهى فارغة فقال الخادم فى نفسه أنا لى فى خدمة هذا الرجل سنون عديدة أخدمه وأقوم

وما أسمى عنده الامتثال ثم انه خاف عاقبة أمره فرجع الى شيخه فوجد الكعبة طائفة به والقلة ملآنة بالماء وهى تتدحرج بين يدى الشيخ حتى يشرب منها فلما رأى ذلك ندم على ما قاله وكشف عن رأسه واعتذر الى الشيخ فأقبل الشيخ عليه وقبله وقال له لا تعد الى مثلها وجعل الشيخ يقول(٢) * ياقليلة تدحرجى * وابصرى الماء ابن يجى * قلتى ليس مثلها * لا ولا مثل مائها * من شرب من زلالها * من هذا الجحيم نجى * قلتى كم تعلقت * فى حبكم وبقبقت * وقد صفت وروقت * تفديكمو بالمهج * ابن أدهم لها كتم * وترك ملكه العجم * والسرى لها خدم * من عذاب الجحيم نجى * وجنيد سقى بها * صار مغرما بحبها * ياهنا من يلذ بها * من عذاب الجحيم نجى * ومعروف بها عرف * وحلاج بها وصف * وشبلى بها تحف * من عذاب الجحيم نجى * وبايزيد هام بها * لما غرم بحبها * ياسعد من يلذ بها * من عذاب الجحيم نجى * بشر بها تقدما * وصار منها مغرما * ولم يزل متيما * من عذاب الجحيم نجى * قلتى قدر وقت * وفى الدنان عتقت * كم أسير عتقت * من عذاب الجحيم نجى * قلتى فاض ماؤها * ياهنا من ينالها * كم ولى نالها * من عذاب الجحيم نجى * قلتى قد زخرفت * وبالنور تشرفت * كم علينا تعطفت * ياهنا من لها يجى * فكم لها من عاشق * وذائق وناشق * ومغرم وشائق * وطالب لها يجى * قليلتى تدحرجت * وبالبها تبهرجت * وبالنها تأرجت * بسرها المتوج * فكم نفوس نشقت * من سرها واستنشقت * وكم رجال عتقت * بحسنها المبتهج *

ومن أصحاب الاستاذ رضى الله عنه الشيخ بدر الدين حسن المعروف بالقطورى وكان رجلا صالحا مباركا تقيا نقيا دينا خيرا عفيفا أمينا صاحب أوراد وأذكار مواظبا على ذلك لا يفتر ولا يلهو ولا يلغو وكان شديد الاعتقاد فى الاستاذ وأقام فى صحبته احدى عشرة سنة لا يصلى الصبح والعشاء الا عنده فى الزاوية وكان ساكنا ببولاق فانظر الى هذه الهمة العالية والمحبة الصادقة ومما اتفق له مع الاستاذ رضى الله عنه أنه كان يوما جالسا بحضرته فلما مد سيدى أبو العباس السماط للفقراء وقال بسم الله الرحمن الرحيم وكان ذلك اذنا منه للفقراء بالأكل فقال الاستاذ للشيخ حسن القطورى قم ياشيخ حسن كل مع الفقراء فقال له ياسيدى العبد صائم فقال له قم كل معهم وأنا أضمن لك ثواب صوم هذا اليوم فأمسك الشيخ حسن عن ذلك فقال له سيدى قم كل مع الفقراء وأنا أضمن لك ثواب صوم ثلاثة أيام فطمع الشيخ حسن فى كثرة الثواب فقال له كل وأنا أضمن لك ثواب صوم شهر فطمع فى كثرة ما كان فقال له قم كل مع الفقراء وأنا أضمن لك ثواب صوم رمضان وصوم هذا اليوم فأمسك الشيخ حسن عن ذلك فقال له الاستاذ قم كل مع الفقراء وأنا أضمن لك ثواب صيام سنة فعند ذلك قام وأكل

ومن أصحاب الاستاذ رضى الله عنه الشيخ الصالح الزاهد العابد المحقق العارف بالله تعالى المعروف بالشيخ مدين الذى كان تلميذ سيدى أحمد الزاهد قال جاء الى الاستاذ وصحبه وأقام

(٢) هكذا وجد بالأصول التى بيدنا

عنده مدة في زاويته مختليا في خلوة ثم انه طلب من الاستاذ اذنا بالسفر الى زيارة الصالحين بالشام وغيره فاعطاه سيدي اذنا بذلك فأقام مدة طويلة سائحا في الارض لزيارة الصالحين ثم رجع الى مصر فأقام بها واشتهر بين أهلها وشاع أمره وانتشر ذكره وقصده الناس وأخذوا منه العهود وكثرت أصحابه ومريدوه فلما بلغ سيدي أبا العباس نقيب الاستاذ الكبير أمره وحاله قال لا اله الا الله هذا مدين ظهر بعد هذه المدة الطويلة والله لقد أقام عند الاستاذ في هذه الزاوية في الخلوة نحو الاربعين يوما حتى كمل ثم انه أخذ من سيدي اذنا بسفره الى زيارة الصالحين والآن قد ظهر رضي الله عنه ونفع به المسلمين وكان ذلك بعد وفاة الاستاذ رحمه الله ونفع به وقال بعض الفقراء ان رضاع سيدي الشيخ مدين كان على يد سيدي أحمد الزاهد وفطامه على يد سيدي محمد الحنفي رضي الله عنهم أجمعين

ومن أصحاب الاستاذ رضي الله عنه الشيخ الصالح علي الموازيني وكان يجلس بين القصرين لعمل الموازين ويغطي حاله على الناس وكان الناس يقصدونه للزيارة والتبرك به ويأخذون خاطره ويرغبون في دعائه ويلتمسون بركته ويغتنمون دعوته وكان رضي الله عنه لا يعلم له أحد بيتا ولا مأوى وكان بالنهار في دكانه وبالليل في عبادة ربه امافي بعض المساجد المهجورة أو في بعض ترب المدينة في القرافة أو في بعض الجوامع التي لا يعرفه بها أحد كل هذا فرارا عن الناس واشتغالا بالله تعالى وكان في دكانه لا يغفل عن ذكر الله تعالى وكان يذهب الى المسجد اذا قرب وقت الصلاة وكان لا يؤذن المؤذن الا وهو في المسجد وكان مواظبا على حضور ميعاد الاستاذ رضي الله عنه

وكان من أصحاب الاستاذ رضي الله عنه الشيخ عبد الوهاب العلاف الذي ما كان لسانه يفتر عن ذكر الله تعالى رأيته وهو رجل يتعمم بطلحية وهو أسمر اللون بلغني ان له أربعين سنة في صحبة الاستاذ يحضر مجلسه ويجلس في الحلقة التي تعقد حول الاستاذ يوم الميعاد وذكر عنه انه تأخر يوما من بعض الايام قليلا حتى فاتته الحلقة فجاء بعد ذلك وجلس خلفها ومد ذراعه بين اثنين من الحلقة حتى فرغ الاستاذ من الميعاد فسأله سيدي عن ذلك فقال له سمعت من سيدي يقول في بعض مواعيده ان الرحمة أول ما تنزل على حلقة الذكر ثم تنتشر على الجماعة فأحببت أن تصيب الرحمة عضوا من أعضائي فمددت ذراعي في الحلقة بسبب ذلك لعل أن يصيبه شئ من رحمة الله تعالى وكان الشيخ عبد الوهاب لا ينقطع لسانه عن ذكر الله من حين يظهر الاستاذ من الخلوة للميعاد الى أن ينفض المجلس رحمه الله تعالى وعفا عنه

ومن أصحاب الاستاذ رضي الله عنه الشيخ علي السدار وكان له دكان بين القصرين يبيع فيه السدر يوم السبت لا غير وكان يفتح من الدكان درابة واحدة ويجلس داخل الدكان فتنسا مع الناس به ويقصدونه من البعد وقد كان أطلعه الله على خواطر الناس فكان من قصده في أمر وطلب أن يعلم عاقبته يقف على باب الدكان فيقول يا سيدي علي فيجاوبه

ويقول

و يقول له نعم فيدفع اليه بعض فليسات و يقول له أطلب منك قليل سدر فيعطيه و يقول له على ما في خاطره افعل أو لا تفعل وكان السلطان يأتي اليه و يقول له ياسيدى على فيقول له نعم يا قايتباى و يدعو له و يقول له عليك بالاحسان للرعية فجاءه حين أراد الخروج الى أطراف الشام في تلك السفرة البعيدة على أيام يشبك الدويدار فأخبره أنه يريد السفر الى تلك البلاد البعيدة وقال له انى خائف فقال له لا تخف تسافر وتجئ في خير ان شاء الله تعالى فكان الامر كما قال وهذا أمر مشهور عنه رضى الله عنه ونفع به

واعلم انا لو اجتهدنا غاية الاجتهاد وغصنا غاية الغوص على أن نستوعب جميع أصحاب الاستاذ ما استطعنا ذلك ولضاق هذا الكتاب عن ذكر بعض الاصحاب فضلا عن الكل ويكفى في ذلك قول الاستاذ رضى الله عنه لسيدى طلحة المنشاوى وكان من أكابر أصحابه بل هو من خواصهم وأعيانهم لما قال للاستاذ في مرض موته جزاكم الله ياسيدى عن المسلمين خيرا فلكم ربيتم للمسلمين أورادا وأحزابا وأذكارا فجزاكم عن المسلمين خيرا فقال له والله ياولدى ياطلحة لقد خرج من زاويتى هذه نحو أربعمائة ولى كلهم على قدمى هذا يعنى على طريقته ثم قال وأكثر أصحابنا باليمن والغرب وأما أهل الكهوف والمغارات والجبال فلا يعلم عددهم الا الله تعالى هكذا أخبرنى الشيخ الصالح جمال الدين عبد الله ولد سيدى الشيخ طلحة وقال لى هكذا أخبرنى الوالد عن الاستاذ الحنفى رضى الله عنه ونفع به وببركاته آمين فدل ذلك على أن أصحاب الاستاذ رضى الله عنه لا يحصى عددهم الا الله تعالى كما قال

ومن مكارم أخلاق الاستاذ رضى الله عنه أنه كان يتفقد جميع أصحابه المحتاجين المستحقين المقيمين بالقاهرة في كل سنة بما يكفيهم من المؤنة حتى يتفرغوا العبادة الله تعالى ولا يحتاجون الى غيرهم

قلت وكان من جملة الاصحاب المستحقين الشيخ الكبير الامام العالم العلامة النحرير شمس الدين البساطى المالكى قاضى قضاة المالكية وقد تقدم في هذا الكتاب المبارك أنه ما كان يقتات الا من صيد السمك وهو قاضى القضاة كان يتنكر ويخرج الى الصيد في هيئة الصيادين رحمه الله ونفع به

ومن جملتهم أيضا القاضى علم الدين الاخنائى المالكى وكان موصوفا بالعلم والورع رأيته ذا هيئة عظيمة وكان خفيف العوارض طوالا عليه هيبة ووقار وكان يتردد الى الاستاذ كثيرا رحمه الله وعفا عنه

ومن جملتهم القاضى شهاب الدين المالكى الذى كان يجلس في سويقة صفية وقد سبق ذكره في أثناء هذا الكتاب وهو الذى كان يحسد الاستاذ ويتكلم فيه اذا مر عليه وهو راكب في تلك الكبكبة العظيمة والخلائق الكثيرة والقاضى جالس على مصطبته وشهوده حوله وكان من أهل العلم الا أنه كان مشهورا بالجول أى منسيا وكان فقيرا جدا

فقال فى نفسه يوما لابد ان أمضى يوما الى هذا الرجل واسأله بعض مسائل وأفحمه بها بين أصحابه فبلغ ذلك الاستاذ فقال ان قدر يسألنى عن شئ لم أجلس على سجادة الفقراء فلما حضر ذلك القاضى بين يدى الاستاذ الحنفى اضمحل عنه جميع ما كان معه من المسائل وتحير فى عقله فما وسعه الا أنه قام وكشف رأسه واستغفر فى حق الاستاذ واذعن له ولزم صحبته وصار من أصحابه الى أن انتقل الى رحمة الله تعالى فكان بعد ذلك الاستاذ يتفقده بما يكفيه من المؤنة وقد تقدم ذلك فى أثناء هذا الكتاب

(ومن) جملتهم الشيخ ناصر الدين المعروف بالغرز وكان من قصاد الاستاذ وكان من الحذاق المعروفين بالذكاء والفصاحة وسرعة الجواب وكثرة الصواب والمعرفة وكان من أهل التقوى بعيدا عن الخنا والفحشاء عفيفا فى دينه تقيا نقيا رحمه الله تعالى وعفا عنه

(ومن) جملتهم الشيخ تقى الدين عبد الرحمن المعروف بالسويفى وكان أيضا من قصاد الاستاذ وكان مقربا عنده وكان ذا لسان وحذق وصدق ومعرفة وفصاحة موفقا لبيبا حاذقا وكان هو الذى يكتب المراسلات لسلطان الغرب ولابن عثمان سلطان الروم وللنواب ببلاد الشام وكذا الى اليمن وغير ذلك وكان قد فتح الله عليه بكتابة التواقيع كل ذلك بأمر الاستاذ وببركته حتى كان كثير من الموقعين يحسدونه على ذلك ويذعنون ويعترفون له بالمعرفة والحذق والصواب ويتأدبون معه رحمه الله وعفا عنه فكان الاستاذ يتفقده بالقمح والنفقة والكسوة بما يكفيه

(ومن) جملتهم الشيخ فتح الدين قارئ الحديث النبوى بين يدى الاستاذ وكان من أهل الفضل والمعرفة بالدين بعيدا عن الناس يحب العزلة والانفراد وكان طاعنا فى السن كثير التواضع لين الجانب مخفوض الجناح وكان الاستاذ يميل اليه بالمحبة وقابلت معه فى صحيح البخارى بين يدى الاستاذ رحمه الله

(ومن) جملتهم الشيخ شهاب الدين المعروف بالمسدى وكان امام الزاوية وخطيبها وله نظر على الكتب الموقوفة على المجاورين وكان تربى على يد الاستاذ من الصغر حتى صار رجلا كبيرا معتبرا بين أصحاب الاستاذ وكان سيدى يتفقده من القمح بما يكفيه من العام الى العام الآخر وقد تقدم فى أثناء هذا الكتاب أن الاستاذ أرسل خلفه فى وقت خروج الحاج من مصر وقال له يا شهاب الدين جهز حالك وسافر مع الحاج ولا تخرج من مكة فان ترابك فيها فأسرع وخرج من بين يدى الاستاذ وجهز حاله وسافر صحبة الحج وأقام بمكة أكثر من عشرين سنة ومات فيها رحمه الله وعفا عنه

وبما سمعته من لفظ سيدى الشيخ العلامة شمس الدين بن كتيلة رحمه الله ونفع به قال زرت سيدى مرة فأقمت عنده مدة فلما أردت العودة الى المحلة الكبرى استأذنت سيدى فى السفر فأذن لى فى ذلك وقال لغلامه شد له فرسا من الاصطبل يركبها الى البحر ففعل الغلام

ما أمر به الاستاذ ثم انى ركبت الفرس وقصدت الى البحر وكان معى بعض الاصحاب فررنا ببعض الشوارع فرأيت رجلا عليه خليقات دنسة وهو فى زى الحرافيش جالسا فى الشمس وهو يفلى قميصه من القمل فلما قربت منه ازدريته فى نظرى وقلت له السلام عليكم قال فرفع رأسه وقال وعليكم السلام وأعرض بوجهه عنى وأطرق برأسه على الارض كأنه عرف حالى قال فلما جاوزته أخذت فى خاطرى منه فلما نزلت الى المركب وسافرنا ووصلنا الى سمنود طلعت الى المشهد فجلست فيه ومعى أصحابى وكانت عادتى أنى اذا دخلت الى سمنود أن أرسل شخصا من أصحابى الى المحلة يأتينى بفرس من بعض الاصحاب أركبها الى المحلة فأرسلت بعض الاصحاب لعله يأتينى بشئ من الدواب أركبه فغاب عنى الى آخر النهار فلما حضر قلت له ما الذى أبطأك فقال والله ياسيدى اجتمعت بأصحاب سيدى وطلبت منهم فرسا أو بغلة أو حمارا تركبه سيدى فما أعطانى أحد منهم جوابا ولا كأنهم عرفوا سيدى أبدا فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم انى أرسلت الى بعض المكارية من سمنود فحضر فأكريت منه بغلة وحمارين الى المحلة فلما دخلت الى المحلة جلست فى الجامع بعد ان صليت ركعتين تحية المسجد وأقمت فيه نهارى كله فلم يعبأ بى أحد من أصحابى ولا جاءنى أحد منهم للسلام على فلما كان اليوم الثانى جرى كذلك وكذلك اليوم الثالث فرجعت الى نفسى وتفكرت فى حالى فألهمتنى القدرة أن هذا كله بسبب احتقارى لذلك الفقير فقمت فى الوقت وأخذت ورقة ودواة وكتبت رسالة الى سيدى الكبير وحكيت له فيها ما جرى لى مع ذلك الفقير ودفعتها الى بعض المحبين وقلت له اذا وصلت الى زاوية سيدى فأعط الرسالة لسيدى أبى العباس خادم سيدى وهو يقرأها على سيدى فلما وصل القاصد الى سيدى أبى العباس دخل بالورقة الى سيدى وقرأها عليه فقال له اقبلها واكتب على ظهرها بعد السلام عليه يا محمد يا كتيلة دع الخلق تحت ستر الله وانظر الى جميع الناس بعين الشفقة والرأفة وعدم الانكار ولا تظن بالمسلمين الا خيرا ولا تحتقر أحدا من الفقراء والمساكين واعتقد فى نفسك أنك شر الناس واحمد الله الذى رد عليك حالك الاول والسلام عليك ورحمة الله وبركاته قال فلما وصل الى الجواب وقرأته تبت الى الله مما وقع منى وصممت على العمل بما قاله سيدى فلما عملت بقوله كأنى ما جئت من القاهرة الا فى تلك الساعة فلم يبق أحد من أصحابى الا جاءنى فى تلك الساعة للسلام على فرحم الله سيدى ونفع به آمين ومما سمعت منه أيضا رحمه الله انه قال كنت عند سيدى رضى الله عنه بسبب الزيارة فلما طلبت السفر الى المحلة ودعت سيدى فقال لى يا محمد لا تبت هذه الليلة الا فى المركب فقلت سمعا وطاعة ولم أدر ما أراد سيدى بذلك فلما وصلت الى بولاق لقينى رجل من المحبين فعزم على وذهب بى الى منزله وكان قد عمل سمكا فى طواجن فقدم الى طاجنا فلما أكلت منه وقعت عظمة فى حلقى فسعلت على أنها تخرج فلم تخرج فعالجت نفسى فى خروجها فلم أقدر على

خروجها وعجزت عن ذلك فحمل ذلك الرجل همابسببي وحملت أناهم نفسي ثم أمرت صاحب المنزل أن يعينني على الوصول الى المركب قال فأخذ بيدي وأعانني هو و بعض أصحابي حتى وصلت ثم ودعني ذلك الرجل ورجع الى بيته فلما سافرنا و وصلنا تجاه سنباط قلت لهم اطلعوا بي ههنا ففعلوا ذلك فلما دخلت الى سنباط أكريت لي ولاصحابي ما نركبه الى طندتا فلما وصلنا اليها قصدت ضريح سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه فلما دخلت اليه جلست عند رأس الضريح وشكوت اليه ما نزل بي وقلت له ياسيدي أحمد هذه الجملة عليك فلا تخيبني ياولي الله ثم قرأت سورة يس فبينما أنا أقرأها اذ حصل لي عطاس فعطست عطسة شديدة بانزعاج فخرجت تلك العظمة من حلقي ممزوجة بالدم فسقطت من بين يدي فلما رأيت ذلك استبشرت وحمدت الله على ذلك فلما فرغنا من قراءة سورة يس ودعت سيدي أحمد وخرجت من عنده وأنا أبكي من شدة فرحي كما قال بعض الناس

هجم السرور علي حتى انني * من عظم ما قد سرني أبكاني

وقد سمعت من غيره يقول ان سيدي أرسل يقول له يامحمد ادع لسيدي أحمد البدوي والله أعلم

ومما سمعته ان كثيرا من الاصحاب ممن لا يعد ولا يحصى عددهم كانوا في مؤنة الاستاذ وكان يتفقدهم أيضا في الاعياد والمواسم ولا يقطع عنهم افتقاده وكان فعله مع أصحابه وافتقاده لهم سر الا يطلع عليه الا الله تعالى فرحم الله الاستاذ ما كان أكثر شفقته على أصحابه.

(وأما ما كان) من أمر الاصحاب والاعيان من أبناء الدنيا والدين فكان الاستاذ رضي الله عنه يتفقدهم بالهدايا والتحف التي تأتي اليه من بلاد الغرب والروم واليمن ومن عند نواب الشام حتى كان يهدي من ذلك الى السلطان فيفرح السلطان بذلك وينظر الى شئ ما رأى مثله في مصر وقد تقدم في أثناء هذا الكتاب نظير ذلك فراجعه ولو بسطنا الكلام في أحوال الاستاذ من مكارم أخلاقه وما كان يفعله من الاحسان والبر والمعروف والافتقاد لاصحابه لضاق هذا الكتاب عن ذلك وخرجنا عن المقصود فافهم ذلك

وحكى لي الشيخ شمس الدين بن كتيلة قال حكى لي سيدي الاستاذ الكبير سيدنا وشيخنا وقدوتنا ومؤدبنا شيخ مشايخ العارفين ومربي المريدين ودليل السالكين والداعي الى رب العالمين سيدي شمس الدين الحنفي عامله الله بلطفه الخفي وجميع المسلمين فقال بلغني عن سيدي محمد بن هارون الذي كان بسنهور بلدة بالغربية أنه سلب حاله من الولاية على يد رجل كان صبي قراد ورد الله عليه حاله ومقامه على يد من سلبه قال فتعجبت من ذلك وقلت له ياسيدي ما كان سبب هذا كله فقال سبب هذا أن سيدي محمد بن هارون كان قد أعطاه الله تعالى من الكرامات وخرق العادات شيئا كثيرا وعمر الله ظاهره و باطنه بالولاية حتى اذعن له العلماء وأرباب المناصب من الامراء والوزراء والملوك وقد ألقى الله تعالى عليه

هيبة

هيبة الولاية حتى انه كان اذا مر بمن لا يعرفه يقوم اليه ويمشي معه في خدمته فاتفق أنه صلى يوما صلاة الجمعة في جامع سنهور فلما قضيت الصلاة وخرج قاصدا الى منزله خرج معه كل من صلى الجمعة الا القليل يمشون بين يديه ويشيعونه الى منزله وكان ذلك عادتهم معه فاذا وصل الى بيته قبلوا يديه ورجعوا عنه وذلك من كثرة اعتقادهم فيه ومحبتهم له فبينما هو ذاهب الى منزله في ذلك اليوم والناس يمشون معه اذ مر بفقير عليه خلقان رثة في هيئة جعيدي قاعد في الشمس يفلي مرقعته في الشمس فلما مر عليه سيدي محمد بن هارون لم يلتفت اليه ولم يقم له فتحركت نفس الشيخ على ذلك الفقير وقالت له تكون محمد بن هارون ولم يقم اليك هذا الفقير قال فما شعر سيدي محمد بن هارون الا وقد تفرق الناس عنه كانهم لم يعرفوه فلم يصل الى منزله ومعه أحد من الناس فلما دخل الى منزله لم تقم له زوجته ولا جاريته ولا أحد من أهل بيته فدخل الى موضعه الذي يجلس فيه فأقام فيه ساعة طويلة وهو متحير متفكر في أمره فحدثته نفسه أن ما وقع له بسبب احتقاره لذلك الفقير فلما خطر له ذلك الخاطر نهض مسرعا وخرج الى ذلك الفقير فلم يجده في مكانه فطاف المساجد التي ببلده فلم يجده فيها فرجع الى منزله وشد وسطه وأخذ معه بعض كسيرات وأخذ عكازه في يده وخرج قاصدا نحو المحلة الكبرى لعله أن يجده فيها فلم يجده فلم يزل سائرا من بلد الى بلد حتى دخل الى القاهرة المحروسة فلما طلع اليها قصد نحو الجنينة وباب اللوق فاستقرأ الحلقات التي تجتمع فيها الحرافيش والفقراء فلم يجده فيها فلاحت له من بعيد حلقة كبيرة وفيها جمع كبير فقصدها فلما وقف عليها رأى فيها قرادا ومعه قرد يرقصه والناس يضحكون ووجد غريمه صبي القراد والقراد الكبير يصفعه في قفاه فيضحك عليه الناس فلما وقع نظر سيدي محمد بن هارون عليه اطمأن قلبه وقال الحمد لله رب العالمين ثم ان سيدي محمد بن هارون تأخر ووقف خلف رجلين وكان صبي القراد لمحه بنظره وتغافل عنه فلما انقضت الحلقة وانصرف الناس قال القراد لصبيه خذ هذا القرد واذهب به الى المخزن حتى أذهب الى السوق واشترى لنا عيشا نتعشى به فأخذ القرد معه ومضى قاصدا الى المخزن فتبعه سيدي محمد بن هارون من بعيد فلما قرب منه سمعه يقول محمد بن هارون محمد بن هارون ولو كنت محمد بن هارون ماذا يكون وصار يكرر ذلك القول قال فمشى اليه سيدي محمد بن هارون فلما قرب منه انقض على رجليه يقبلهما وهو مكشوف الرأس باكيا ويقول يا سيدي أنا أستغفر الله وأتوب اليه مثلي من يخطئ ومثلك من يصفح ويعفو يا سيدي العفو ارحمني يرحمك الله تعطف علي بنظرة منك فوالله لا أعود الى ما صدر مني أبدا كل هذا والشيخ واقف وحبل القرد بيده وهو ساكت وسيدي محمد بن هارون يمرغ لحيته البيضاء على رجلي ذلك الرجل وهو صبي القراد فلما علم أن سيدي محمد بن هارون أنصف من نفسه مد يده اليه وأخذه بيده وأقامه بين يديه وقال له قد قبلناك لا تخف لا بأس عليك ارجع الى بلدك فقد رددنا

ماسلبناه منك وزيادة ولا تعلم بنا أحدا واسترنا بين الناس فقال له الشيخ السمع والطاعة ورجع الشيخ عنه فرحا مسرورا فلما وصل الى سنهور وجد أهل البلد قد خرجوا جميعا لملاقاته فسلموا عليه ووقفوا بين يديه يذكرون الله تعالى فرفعوا أصواتهم بذكر الله تعالى فعلم حينئذ أن الله تعالى قد رد عليه حاله وما كان معه وزيادة وما زال سيدى محمد بن هارون على ولايته الى أن مات رضى الله عنه ونفع به آمين قال ثم قال لى سيدى اسمع ياولدى اياك أن تحقر فقيرا أو ترى لنفسك تميزا على غيرك فتسقط من عين الله تعالى اللهم لا تسلبنا صالح ما أعطيتنا وأدم ما أنعمت واحفظ ما استحفظت ويسر ما عسرت ولا تهتك ما سترت انك كريم غفار حليم ستار برحمتك ياأرحم الراحمين

(قلت) وأخبرنى الشيخ الصالح الورع الزاهد العالم العلامة المحقق سيدى شمس الدين ابن كتيلة رضى الله عنه ونفعنا به آمين قال كنت جالسا بين يدى الاستاذ فخطر ببالى ان أسأله عن القطب فقلت له ياسيدى ما معنى القطب فقال ان الاقطاب كثيرون فان مقدام كل قوم فهو قطبهم وأما القطب الغوث الفرد الجامع فهو واحد

(وتفسير) ذلك ان النقباء هم ثلاثمائة وهم الذين استخرجوا خبايا النفوس ولهم عشرة أعمال أربعة ظاهرة وستة باطنة فأما الظاهرة فكثرة العبادة والتحقق بالزهادة والتجرد عن الارادة وقوة المجاهدة وأما الباطنة فهى التوبة والانابة والمحاسبة والتفكر والاعتصام والرياضة فهؤلاء الثلثمائة لهم امام منهم يأخذون عنه ويقتدون به فهو قطبهم (وأما) النجباء فأربعون وقيل سبعون وهم مشتغلون بحمل اثقال الخلق فلا يتصرفون الا فى حق الغير ولهم ثمانية أعمال أربعة ظاهرة وأربعة باطنة (فأما) الظاهرة فالفتوة والتواضع والادب وكثرة العبادة (وأما) الباطنة فالصبر والرضا والشكر والحياء وهم أهل مكارم الاخلاق (وأما الابدال) فهم سبعة رجال أهل فضل وكمال واستقامة واعتدال قد تخلصوا من الوهم والخيال ولهم أربعة أعمال باطنة وأربعة ظاهرة (فأما الاربعة الظاهرة) فالصمت والسهر والجوع والعزلة ولكل من هؤلاء الاربعة ظاهر وباطن فأما الصمت فظاهره ترك الكلام بغير ذكر الله تعالى وأما باطنه فصمت الضمير عن جميع التفاصيل والاختيار وأما السهر فظاهره عدم النوم وباطنه عدم الغفلة وأما الجوع فعلى قسمين جوع الابرار لكمال السلوك وجوع المقربين لموائد الانس وأما العزلة فظاهرها ترك مخالطة الناس وباطنها ترك الانس بهم وللابدال أربعة أعمال باطنة وهى التجريد والتفريد والجمع والتوحيد ومن خواص الابدال أن من سافر من القوم من موضعه وترك جسدا على صورته فذلك هو البدل لا غير والبدل على قلب ابراهيم عليه السلام فهؤلاء الابدال لهم امام مقدم عليهم يأخذون عنه ويقتدون به وهو قطبهم لانه مقدامهم ويؤيد هذا القول ما أخرجه الطبرانى فى معجمه من قوله صلى الله عليه وسلم

لايزال فى أمتى أربعون على قلب ابراهيم الخليل قال صاحب مجمع الاحباب وهو نص فى ثبوت الولاية الى يوم القيامة وقيل الابدال أربعون والسبعة هم الاخيار وكل منهم له امام منهم هو قطبهم ثم الاوتاد وهم عبارة عن أربعة رجال منازلهم منازل الاربعة أركان من العالم شرقا وغربا وجنوبا وشمالا مقام كل واحد مقام تلك الجهة * ولهم ثمانية أعمال أربعة ظاهرة وأربعة باطنة فالظاهرة كثرة الصيام وقيام الليل والناس نيام وكثرة الايثار والاستغفار بالاسحار * فأما الباطنة فالتوكل والتفويض والثقة والتسليم ولهم واحد منهم هو قطبهم * وأما الامامان فهما شخصان أحدهما عن يمين القطب والآخر عن شماله فالذى عن يمينه ينظر فى الملكوت وهو أعلى من أصحابه والذى عن شماله ينظر فى الملك وصاحب اليمين هو الذى يخلف القطب * ولهما أربعة أعمال ظاهرة وباطنة * فاما الظاهرة فالزهد والورع والامر بالمعروف والنهى عن المنكر * وأما الباطنة فالصدق والاخلاص والحياء والمراقبة * والغوث عبارة عن رجل عظيم وسيد كريم يحتاج اليه الناس عند الاضطرار فى تبيين ما يخفى من العلوم المبهمة من الاسرار ويطلب منه الدعاء لانه مستجاب الدعاء لو أقسم على الله لابر قسمه مثل أويس القرنى فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولا يكون القطب قطبا حتى يجتمع فيه هذه الصفات التى اجتمعت فى هؤلاء الجماعة المتقدم ذكرهم قلت وقد تقدم فى أثناء هذا الكتاب المبارك أن الاستاذ كان اذا صلى صلى عن يمينه اثنان روحانيان وعن يساره اثنان جسمانيان وقد تقدم أيضا ان الاستاذ عزم عليه بعض الناس أن يكون عنده فى هذه الليلة فى منزله وقال آخر لا والله لا يكون الا عندى فى منزلى فقال لهما ان شاء الله تعالى ما يحصل الاخير فلما أصبحنا وصلينا صلاة الصبح مع الاستاذ وانصرف الناس تخلفا فى المجلس فقال أحدهما للاستاذ والله ياسيدى هذه الليلة كانت مباركة فقال الآخر والله ياسيدى ما فارقتنى هذه الليلة وزوجة الاستاذ تسمع كلامهما من داخل الخلوة فقال لهما الاستاذ اكتما أمركما ولا تخبرا أحدا فقالا سمعا وطاعة ياسيدى فلما دخل الاستاذ الى الخلوة قالت له زوجته أم سيدى أبى الخير ما سمعت من الرجلين ثم قالت أنت والله ياسيدى ما فارقتنى الليلة حتى خرجت الى صلاة الصبح فقال لها اكتمى ما سمعت خيرا لك ولا تخبرى أحدا حتى انتقل * قال فلم تخبر بذلك حتى انتقل الى رحمة الله تعالى * قلت وما ذكرناه فى هذا الكتاب من أحوال الاستاذ ومناقبه ومكارم أخلاقه وفضائله كل ذلك يدل على ان الاستاذ قد اجتمعت فيه جميع خصال الرجال المذكورين لا يرد ذلك راد ولا ينكره منكر * ومما يدل على ذلك أيضا ما أجراه الله سبحانه وتعالى على لسانه من تنزلاته وذلك مذكور فى ديوانه المعروف بالانشاء فمن ذلك قوله

كان لى قلب به أرقى العلى * فرأى الحق تجلى فارتحل

طالبا لله يبغي قربه * فتدانى منه قربا واتصل
ثم وافى حضرة هي لم تزل * تهب الارواح أسرار الازل
قرع الابواب لما أن دنا * قيل من أنت ومن ذا بالحلل
قال عبدها ثم فيكم بكم * قيل أهلا مرحبا نلت الامل
فتحوا باب المعالى منة * ثم نادوه وقالوا حيهل
دخل الابواب ركضا أدبا * خالعا نعليه تشريف المحل
خر فى الحضرة يبكى ساجدا * شاكيا يشكو مقامات الملل
جاءه من حيث لا أين الندا * لا تخف غيرا ولا تخشى زلل
قد وهبنا من أتانا قاصدا * كل ذنب ما تشأ منا فسل
ياعبيد الله انثنى * عن رسوم وعهود وطلل

(وقوله أيضا)

سرى الوادى وطورى قبسى * وكليم الشوق منى نفسى
فادخل الحان ترانى طائفا * بدنان الحان عار مكتسى
وحبيبى قد تجلى حسنه * وهو فى خلوة سرى مؤنسى
أيها الحلاج غب عن حضرتى * ان ذكراك بذكرى قد نسى
أنا لا أشرب الا خمرة * طهرت عن مسها بالملمس
أنا لا أسمع الا من شذا * هب من حضرة روح القدس
خطف البارق منها أعينا * كم سبت كم سلبت من أنفس

(وقال أيضا)

سر تردد فى روحى وجثمانى * أخفى من الوهم فى ادراك ذى شان
لو يعلم الخلق منه ذرة لغدوا * منه حيارى هيامى شبه غيلان
لا يهتدون الى أهل ولا وطن * ولا يرون سوى علم ببرهان
ولو على جبل التى تفتت من * مبدا لوامعه دكا بهدمان
ولو على الماء مرت منه بارقة * لعاد أجمد من طور ولبنان
ولو بدت لمحة للنار منه همت * كالماء من مزنة تهمى كغدران
ماذا أقول وأهل الحق تشهد لى * أن ليس يدركه عقل بحسبان
حارت عقول الورى فى سر حكمته * فلا يرى من يرى فى الكون من ثانى
هذا حديث غريب ليس يفهمه * الا فتى واله بالله ربانى
خال عن الكل مشغول به أبدا * يرقى لمولاه من شان الى شان

(وقال أيضا)

وقف الفهم ترانى * فى مقاصير الجنانى
اجتلى بين الغوانى * سر اسرار المعانى
ليس لى شغل سوى أن * أشهد السر عيانى
لا ولا ذكرى سوى من * فى هواه قد سبانى
علا دنى فى هواه * بهواه علادنى
واطرحانى فى حماه * فى حماه فاطرحانى
فافهم السر حبيبى * تبقى فى روح التدانى
سره أهدى لسرى * مذ تحققت أمانى
أنت سرا لكون حقا * أنت روح للزمان
أنت سر الله تجلى * فيك أوصاف المعانى
أنت فى العالم فرد * ان تكن فى الحب فانى
أنت سر السر حقا * فيك مجموع المبانى
أنت ان تسمع لقولى * أو ترى لى أو ترانى
تشهد السر جهارا * فيك يجلى للعيان
سيدى ما زال يرعى * كل من فيه أتانى
وكما أظهر سعدى * فكذا فيه هدانى
لا يرى حالى سوى من * شأنه يشبه شانى
لا ولا يفهم قصدى * من يرى فى الكون ثانى

(وقوله أيضا)

سر تبدى لعين قلبى * يشهده العارف اللبيب
اذا بدا لى على لسانى * ترى شمس الهوى تغيب
نفذ حبيبى من سر قلبى * ان كنت مثلى به طروب
فان قلبى بيت لربى * تطوف من حوله القلوب
مشاهد الحق أذهبتنى * وانما يشهد القريب
أشهد فى ذاته كفاحا * فلم أرى شمسها تغيب

(وقوله أيضا)

نحن أسرار الوجود * لا نرى الا شهود
قد تجلى سرنا * باسمه الحى الودود
وأرانا أمرنا * بمواثيق العهود
فى سجاف العز لم * نخش يوما من حسود

لا أرانا الله من * كان لله جحود
غاب عنا كل من * فى الورى لله كنود
حسبنا الله وكفى * من مقال أهل الصدود
سعد أصحاب الولا * فى نعيم وسعود
بحبيب ووفى * وجنان وخلود
ورياض ورضاء * وحضور وشهود

(وقال أيضا)

حدثت عنا المعالى بعبير * ضوؤها فى السر شمس وقمر
لو تجلت فى دياجى غيهب * أسفرت صبحا علينا وظهر
ياهنا من قد تولى أمرنا * ياهنا بالحب من معنا حضر
سرنا جهر ومغنانا غنى * وسوانا واقف عند الاثر
وحديث عن حمانا حسن * فيه معنى للمعنى قد بهر
عن لبانات النقا عن عالج * عن قديم العهد عن عين الخبر
ان من أنعشه نور الولا * لم يزل فى كل كون معتبر
ياسماء الحق ياشمس الهدى * حيهل هذا الزمان المنتظر
حيهل لله تسمع وترى * من يكن لله لايخشى الغير
وادخل الحان ترى أهل النهى * فيه سكرى قد سقاهم بسحر
من سلاف صاح ماأطيبه * قد صفا عن كل هم وكدر

(وقال أيضا)

قل لارباب العمل * نحن أسرار الازل
كشف الله حجبكم * لتروا هذا المحل
وأراكم وجهه * وحماكم غيره
وكساكم نوره * فالبسوا هذى الحلل
ذا نعيم قدسى * فى مقام أنفسى
لزكى الانفس * مع قديم لم يزل

(وقال أيضا)

سرت نسمة منكم الى فأنعشت * بكاكمو كلى وكل فؤاديا
وهمت بكم اذ ماهمت بودادكم * بروق نمت من كل معنى أتانيا
اذا ماهدى ليل أحن لنحوكم * واهجر نومى كى يراكم خياليا
واهجس فى ليلى لعلى أراكم * وبحى بكم طول الزمان مواليا

وأدعو لكم منكم اليكم متيما * ليحظى بكم منكم بنيل المعاليا
اذا ماظهرتم لى ولاح جمالكم * لفلبى أهدى للانام جماليا

(وقال أيضا)

يا أيها المريد * ان كنت لى تريد
فاخرج عن الدنا * وادخل مع العبيد
عبيدنا ملوك * فى أشرف السلوك
والملك والملوك * كل لنا عبيد
من جا لبابنا * قاصدا جنابنا
فانه بنا * ينال ما يريد
الوقت قد صفا * ما عندنا جفا
فمن بنا اكتفى * فعندنا المزيد

ومن أراد الزيادة على ماذكرناه من كلام سيدى فعليه بديوانه فان فيه ماتقر به العيون وتنشرح به الصدور ويروى به الظمآن قلت وهذا آخر الذى أودعناه فى هذا الكتاب على سبيل الاختصار والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأزواجه وأتباعه كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون

(السلطان الحنفى)

هو سيدى شمس الدين محمد بن حسن بن على التيمى البكرى قطب الغوث تولى القطبانية بعد سيدى على وفاء وأخذ طريق القوم عن الشيخ ناصر الدين بن الميلق عن جده الشيخ شهاب الدين بن الميلق عن سيدى ياقوت العرش عن سيدى أحمد أبى العباس المرسى عن سيدى على أبى الحسن الشاذلى ولد فى سنة خمس وسبعين وسبعمائة وتوفى فى ربيع الآخر سنة سبع وأربعين وثمانمائة رضى الله تعالى عنه ونفعنا وجميع المسلمين بأسراره آمين

تم

قد تم طبع كتاب مناقب السلطان المذكور تأليف سيدى على البتنونى ويليه حزب النور والاذكار وحزب الدوار تأليف السلطان المذكور ودعاء يقال عند زيارة الصالحين

(هذا حزب النور والاذكار للسلطان الحنفي)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين * وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين * وبعد فهذا حزب النور للشيخ الامام * والفضل الهمام * العالم العلامة * والحبر البحر الفهامة * أبو الاخلاص محمد بن حسن بن على البكرى * التيمى الشاذلى * الحنفى * تغمده الله تعالى برحمته * وأسكنه فسيح جنته * وأعاد علينا وعلى المسلمين من بركاته * يقرأ بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر وبعد صلاة العشاء على حسب ما كان يقرأه المؤلف المشار اليه رحمه الله تعالى كما دل على ذلك شرح الحزب المبارك رحم الله مؤلفه ورضى عنه آمين وهذا الحزب المبارك

(بسم الله الرحمن الرحيم) * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * اياك نعبد واياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين

(بسم الله الرحمن الرحيم) * الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون * والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم * الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الارض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم * لله ما فى السموات وما فى الارض وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير * آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير * لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت * ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين * الم الله لا اله الا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام * ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام * قل اللهم مالك

الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير * تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب * لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون * هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم * هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون * هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم * لا اله الا هو الحليم العظيم * لا اله الا هو رب العرش العظيم * لا اله الا الله رب السموات ورب الارض ورب العرش الكريم لا اله الا الله الحليم العظيم سبحانه تبارك رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ثلاثا الله الله ربى لا أشرك به شيئا أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله لا اله الا أنت الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد * اللهم انى أسألك بأن لك الحمد لا اله الا أنت المنان بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام ياحى ياقيوم لا اله الا أنت برحمتك نستغيث سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار * اللهم رحمتك أرجو فلا تكلنى الى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله برحمتك ياأرحم الراحمين ثلاثا * اللهم انى عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك أو أنزلته فى كتابك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاثا بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثلاثا بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله * اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر * اللهم انا أصبحنا (٢) نشهدك ونشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك انك أنت الله لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك * اللهم انى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك انك أنت الله لا اله الا أنت وأن محمدا عبدك ورسولك أربعا * اللهم انا نعوذ بك أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه ثلاثا * اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ولعظيم سلطانك * اللهم انا نسألك

(٢) واذا كنت فى المساء تقول * اللهم ما أمسى بى من نعمة وأمسينا نشهدك الخ الصيغ المذكورة

العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة لا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم يا نور كل شئ وهداه أنت الذى فلق الظلمات نورك ثلاثا أسألك بحق أحديتك ووحدانيتك أن تخرج لى حرزا منيعا وحمى عزيزا وحصنا حصينا تحفظ به نفسى ودينى وأهلى ومالى وولدى ودنياى وآخرتى وجميع من تلحقه عنايتى وجميع نعم الله عندى وحققنى بحقائق الزهد حتى لا أشتغل بغيرك * اللهم فهمنى بك عنك واحجبنى بك عمن سواك * اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى واعصمنى من كل هلكة وأدخلنى فى زمرة أحبابك الذين اصطفيتهم وهديتهم الى صراطك المستقيم وأشهدنى كل شئ من عندك حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت واملأ قلبى بمحبتك حتى لا أجد فيه متسعا لغيرك يا ذا الفضل العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين الحمد لله رب العالمين ٣ آمين

(بسم الله الرحمن الرحيم) قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد احدى عشرة مرة أستغفر الله لذنبى سبحان الله وبحمده ربى احدى عشرة مرة * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد احدى عشرة مرة *(بسم الله الرحمن الرحيم)* الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الارض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم أربع مرات * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد احدى عشرة مرة أستغفر الله احدى عشرة مرة لا اله الا الله محمد رسول الله احدى عشرة مرة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر احدى عشرة مرة اللهم صل وسلم على سيدنا محمد احدى عشرة مرة * الله الله احدى عشرة مرة * الله فرد احدى عشرة مرة * لا اله الا الله محمد رسول الله ثلاثا * عليها نحيا وعليها نموت وعليها وبها نبعث ان شاء الله من الآمنين الفرحين المستبشرين برحمة الله وكرمه * اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم عدد ما ذكرك الذاكرون وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون (٣) ثلاثا الصلاة والسلام عليك يا سيدنا يا رسول الله الصلاة والسلام عليك يا حبيب الله الصلاة والسلام عليك يا خليل الله الصلاة والسلام عليك يا كليم الله الصلاة والسلام عليك صلى الله عليك ورضى الله عن ضجيعيك أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ورضى الله عن أصحاب رسول الله أجمعين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ٣ آمين

(بسم الله الرحمن الرحيم) قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ثلاثا

(بسم الله الرحمن الرحيم) قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب

٣ * بعد قوله ثلاثا الحمد لله رب العالمين تدعو الله سبحانه بما أحببت ثم تقول آمين الخ

٣ * بعد قوله الغافلون تدعو الله عز وجل بما أحببت من أمور الدنيا والآخرة ثم تقول الصلاة والسلام الخ

ومن

ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد
(بسم الله الرحمن الرحيم) قل أعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس
(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * اياك نعبد واياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم وتب علينا انك أنت التواب الرحيم واغفر لنا وارحمنا انك أنت الغفور الرحيم * واختم لنا منك بخير أجمعين اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

وهذا الحزب الكبير الذي يقال له حزب الدوار يقال من قبيل الفجر الى استغراق صلاة الصبح على حسب ما كان يقرأه المؤلف رحمه الله تعالى ونفعنا به وهو هذا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد مائة مرة يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين مائة مرة لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين مائة مرة الله الله ربي لا أشرك به شيئا مائة مرة اللهم اكفنا شر من كفايته بيدك وادفع عنا كالا بفضلك مائة مرة اللهم أجرنا من الخزي والفضيحة في الدنيا والآخرة مائة مرة ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار مائة مرة ياذا الجلال والاكرام ياحي ياقيوم لا اله الا أنت برحمتك نستغيث مائة مرة اللهم غسلني من خطاياي بالثلج والماء البارد مائة مرة اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الابيض من الدنس مائة مرة اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب مائة مرة حسبي الله لديني حسبي الله لما أهمني حسبي الله ونعم الوكيل مائة مرة أستغفر الله لذنبي وسبحان الله والحمد لله مائة مرة ياحي ياقيوم أحي قلبي مائة مرة يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك مائة مرة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير مائة مرة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده أستغفر الله مائة مرة لا اله الا الله الملك الحق المبين مائة مرة أستغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأسألك التوبة مائة مرة اللهم صل على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم عدد ما ذكره الذاكرون وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون مائة مرة اللهم صل وسلم على سيدنا محمد مائة مرة لا حول ولا قوة الا بالله مائة مرة أستغفر الله مائة مرة سبحان الله عدد خلقه ثلاثا سبحان الله زنة عرشه ثلاثا سبحان الله رضا نفسه ثلاثا سبحان الله مداد كلماته ثلاثا الحمد لله عدد خلقه ثلاثا الحمد لله زنة عرشه ثلاثا الحمد لله رضا نفسه ثلاثا الحمد لله مداد كلماته ثلاثا لا اله

ثم بعد قولنا الحمد لله رب العالمين ندعو الله بما نختار ثم نقول آمين ثم نقرأ الصمدية

الا الله عدد خلقه ثلاثا لا اله الا الله زنة عرشه ثلاثا لا اله الا الله رضا نفسه ثلاثا لا اله الا الله مداد كلماته ثلاثا سبحان الله عدد ما خلق فى السماء ثلاثا سبحان الله عدد ما خلق فى الارض ثلاثا سبحان الله عدد ما بين ذلك ثلاثا سبحان الله عدد ما هو خالق ثلاثا الحمد لله عدد ما خلق فى السماء ثلاثا الحمد لله عدد ما خلق فى الارض ثلاثا الحمد لله عدد ما خلق بين ذلك ثلاثا الحمد لله عدد ما هو خالق ثلاثا لا اله الا الله عدد ما خلق فى السماء ثلاثا لا اله الا الله عدد ما خلق فى الارض ثلاثا لا اله الا الله عدد ما خلق بين ذلك ثلاثا لا اله الا الله عدد ما هو خالق ثلاثا الله أكبر عدد ما خلق فى السماء ثلاثا الله أكبر عدد ما خلق فى الارض ثلاثا الله أكبر عدد ما خلق بين ذلك ثلاثا الله أكبر عدد ما هو خالق ثلاثا اللهم صل على سيدنا محمد عدد ما خلقت فى السماء ثلاثا اللهم صل على سيدنا محمد عدد ما خلقت فى الارض ثلاثا اللهم صل على سيدنا محمد عدد ما خلقت بين ذلك ثلاثا اللهم صل على سيدنا محمد عدد ما أنت خالق ثلاثا لا اله الا الله ثلاثا وثلاثين لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين آمين

(تمت هذه الاحزاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه)

ثم بعد قولك لا اله الا الله ثلاثا وثلاثين تدعو الله بما أحببت ثم تختم وتقول لا اله الا الله محمد رسول الله

(هذا دعاء مبارك يقال عند زيارة الصالحين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اللهم يا من لا يعلم كيف هو الا هو ولا يعلم أحد قدرته الا هو يا عالم السر والخفا و يا ذا الجود والوفا أسألك بحرمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المصطفى وبحق ساداتنا الشرفا وبحق أصحابه أهل الوفا وبحق وليك هذا سيدى فلان ان تقضى لى حاجتى ياولىّ الله ياولىّ الله ياولىّ الله الله لا اله الا هو الحىّ القيوم تقرأ ثلاثا يا أهل النوبة ثلاثا العبد

واقف فى حماكم قد نزل ياسادة لهم السيادة فى الازل انى أتيت اليكم

مستصرخا يا من لهم كل الامل أنتم حماية الحىّ ياغوث الورى

فى نصرلنا على عجل الحمد لله رب العالمين وصلى الله على

سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه كلما ذكرك

الذاكرون وغفل عن ذكره

الغافلون

آمين

كتاب

كتاب المآثر النفيسة في مناقب السيدة نفيسة
المتوفية بالقاهرة نفعنا الله تعالى ببركاتها آمين

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله) رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم *(وبعد)* فان الله عز وجل لما خاطب الخلق بالانقياد الى الطاعات * لم يخص الذكور بل قال سبحانه وتعالى ان المسلمين والمسلمات * والمؤمنين والمؤمنات * والقانتين والقانتات * والصادقين والصادقات * والآيات في ذلك كثيرة ليست بالخفيات * وأفضل العطايا والهبات * وأعظم المنازل والكرامات * توفيق المرأة الصالحة لفعل الطاعات * والتأدب بآداب الاحاديث النبويات * وتكون أعمالها صالحة لعالم الخفيات * وان تجتنب المعاصي والامور المحرمات * وتتورع عن الشبهات والمكروهات * حياء من الله تعالى لا من العيون الناظرات * وخوفا من سخط الله سبحانه وتعالى لا من الضرب والعقوبات * وقد استخرت الله تعالى في ذكر نبذة من كرامات سيدة النساء العامرات *(وسميتها المآثر النفيسة بذكر صبابة من مناقب السيدة نفيسة)* مما ذكره موفق الدين أبو محمد عبد الرحمن ابن الشيخ الفقيه أبي الحزم مكي بن تاج الدين أبي العباس بن شرف الدين محمد بن جمال الدين ابن عثمان بن أبي الحزم مكي بن عثمان شافعي زمانه سماه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عماد الدين أبي الفداء اسمعيل بن ابراهيم بن شيث بن غنائم بن محمد بن عثمان بن خاقان بن عبد الله بن عبيد بن ابراهيم بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن عبادة الخزرجي الانصاري رضي الله تعالى عنهم أجمعين في كتابه مرشد الزوار الى قبور الابرار وماذكره خاتمة الحفاظ والمحدثين أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناصر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح بن أيوب ناصر الدين محمد ابن الشيخ همام الدين الهمام الخضيري السيوطي في كتابه حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة في ذكر من دخل مصر من الزهاد وماذكره الشيخ الامام العالم العامل العارف بالله تعالى مربي المريدين ومرشد السالكين وقدوة العارفين والمحققين ودليلهم على رب العالمين صاحب الاحوال والمقامات والتجليات والكرامات عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن زرحا بفتح الزاي وسكون المهملة بعدها موسى ابن السلطان أحمد بمدينة تلمسان في عصر الشيخ أبي ميدان ابن السلطان سعيد ابن السلطان قاشين ابن السلطان محيا ابن السلطان زرفا ابن السلطان زيان ابن السلطان محمد ابن السلطان موسى هكذا نقلته من خطه الكريم ثم قال بعده ورأيت في نسبتنا القديمة بعد موسى ثلاثة أسماء مطموسة بينه وبين السيد محمد ابن الحنفية ابن الامام علي بن أبي طالب ابن عبد المطلب ويسمى شيبة الحمد بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف بن قصي القرشي

الشعرانى بالنون وغيرهم (فأما) ماذكره صاحب كتاب مرشد الزوار الى قبور الابرار عندذكر السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها فنصه ﴿ هى السيدة نفيسة العابدة الزاهدة المجتهدة الورعة صاحبة الكرامات المتنوعة نخبة دهرها وفريدة عصرها المرتقية بجدها المفتخرة بأبيها وجدها السيدة الرئيسة نفيسة ابنة الحسن الانور قدم والدها الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم أجمعين مصر ومعه ابنته نفيسة وكان اماما عظيما عالما من كبار أهل البيت معدودا من التابعين ولى المدينة من قبل عبد الله أبى جعفر المنصور بن أبى عامر العباسى الخليفة وكانت دعوته مجابة وكان يسمى شيخ الشيوخ ومدح بقصائد كثيرة لكرمه وحلمه وهو ممن انتهت اليه الرآسة فى زمنه من بنى الحسن فان أجل الاشراف الحسنيون والحسينيون والاشراف أنواع الحسنيون والحسينيون والجعافرة نسبة الى جعفر الطيار بن أبى طالب وله ذرية بالقرافة ﴿ ولما ولى الحسن بن زيد المذكور والد السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها المدينة كان بها رجل فقير يقال له ابن أبى ذئب فقربه الحسن وأحسن اليه وكثر مال الرجل ورأس وقربه الى المنصور فلما عظم عند المنصور شرع يتكلم فى حق الحسن وينم عليه حتى انه قال للمنصور عنه انه يريد الخلافة فأحضره المنصور وسلب نعمته ثم بعد قليل ظهر للمنصور كذب القائل المذكور فرد على الحسن أمواله وأنعم عليه انعاما بليغا وأرسله الى المدينة على عادته فلما قدم المدينة أرسل الى ابن أبى ذئب هدية عظيمة وأمده بمال جزيل ولم يعاتبه فى ذلك ولم يقل له فى يوم من الايام فعلت كيت وكيت (وحكى) عنه انه كان يصلى بالابطح فى يوم من الايام واذا بامرأة مارة وعلى يدها طفل صغير فاختطفه عقاب منها فحصل لها عليه وجد كبير فالتهبت بالنار وجاءت الى الحسن وتعلقت به وسألته الدعاء بأن يرد لها ولدها فدعا لها من ساعته فنزل العقاب به الى الارض ورده الله عليها ببركته وبركة دعائه (قال) الطبرى لما مات والد الحسن رضى الله تعالى عنه ترك عليه ما يزيد على خمسة آلاف دينار للناس فحلف الحسن أن لا يستظل بسقف حتى يقضى دين أبيه فلم يزل كذلك حتى قضى دين أبيه رضى الله تعالى عنه وكان له دعوة مجابة وسمى فى زمنه بصفى الاسخياء قال عبد الله بن يعيش كان الحسن بن زيد يعد بألف من الكرام واليه انتهت رآسة بنى الحسن جىء له بشاب شارب متأدب فقال له يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل ذوى العثرات عثراتهم أنا ابن امامة بن سهل بن حنيف وقد كان أبى مع أبيك على ما قد علمت قال صدقت فهل أنت عائد قال لا والله فأقاله وأمر له بخمسين دينارا وقال له تزوج بها وعد الى فتاب الشاب فكان الحسن بن زيد يجرى عليه النفقة نفع الله تعالى به فى الدنيا والآخرة ﴿ ولدت هذه السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها فى سنة مائة وخمس وأربعين بعد الهجرة النبوية فى خلافة أبى جعفر عبد الله محمد بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهم المعروف بالمنصور بالله

وذلك

وذلك بعد ولادة الامام الليث بن سعد رضي الله تعالى عنه باحدى وخمسين سنة تقريبا وقبل ولادة الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه بخمس سنين (قال) العلامة المقريزي رحمه الله في كتاب الخطط عند ذكر المشاهد مشهد نفيسة قال الشريف النسابة شرف الدين أبو علي محمد بن أسعد بن علي بن معمر بن عمر والحسني الجواني المالكي نقيب السادات الاشراف في كتاب الذروة الانيسة بمشهد السيدة نفيسة رضي الله تعالى عنها نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أمها أم ولد واخوتها القاسم ومحمد وعلي وابراهيم وزيد وعبيد الله ويحيي واسمعيل واسحق وأم كلثوم أمهم يقال لها أم سلمة واسمها زينب ابنة الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم ❁ وتزوج أختها أم كلثوم عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنهم ثم خلف عليها الحسن بن زيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم وأما ابراهيم وزيد اخوة السيدة نفيسة ويحيي فعاشوا الى أن بلغوا ولهم نسل ❁ وكانت ولادة السيدة نفيسة في سنة عمارة المنصور ابغداد وكانت تحب العبادة من صغرها ونشأت بالمدينة المنورة وصحبت كثيرا من نساء الصحابة وكانت تلازم حرم النبي صلى الله عليه وسلم وحكى الحافظ أبو محمد عبد الله بن يرعش النسابة في كتابه تحفة الاشراف ان الامام زيد الابلج رضي الله تعالى عنه كان يأخذ بيد ولده الحسن الانور والد السيدة نفيسة رضي الله تعالى عنها ويدخل الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويقول يا سيدي يا رسول الله هذا ولدي الحسن أنا عنه راض ثم يرجع وينصرف فلما كان في بعض الليالي نام فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول له يا زيد اني راض عن ولدك الحسن برضاك عنه والحق سبحانه وتعالى راض عنه برضائي عليه ❁ فلما نشأ الحسن وجاء بالسيدة نفيسة الى المدينة المشرفة كان يأخذ بيدها ويدخل بها الى القبر الشريف ويقول يا رسول الله اني راض عن بنتي نفيسة ويرجع فما زال يقول له ذلك حتى رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول له يا حسن اني راض عن ابنتك نفيسة برضاك عنها والحق سبحانه وتعالى راض عنها برضائي عنها (وما أحسن ما قال بعضهم شعرا)

بكم المدائح تستلذ وتعشق ❁ ولنا بكم يا آل أحمد رونق
واذا انتظمت مدائحا لعلاكم ❁ صدق المديح وغيره لا يصدق
واذا كتبت حروفها ورقتها ❁ قال الورى تالله أنت موفق
والغيران عمل المديح لغيركم ❁ هو كاذب فيما نحاه وأحمق
لم يخلق الرحمن مثل محمد ❁ وقبيله وأظنه لا يخلق

(قال الراوي النسابة) لما بلغت السيدة نفيسة من العمر ست عشرة سنة رغب الناس في خطبتها لما علموا من خيرها ودينها وما نشأت عليه من العبادة والدها يأبى ذلك ثم جاء رجل من بني الحسن الى أبيها فخطبها فأبى والدها ثم جاء السيد اسحق المؤتمن بن جعفر الصادق بن

محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم فخطبها
من أبيها فلم يرد عليه جوابا فقام من عنده ودخل الحجرة النبوية وقال يارسول الله اني
خطبت نفيسة بنت الحسن منه فلم يرد علي جوابا واني لم أخطبها الا لخيرها ودينها وعبادتها
فلما كان تلك الليلة رأى أبوها الحسن الانور النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول
له ياحسن زوج نفيسة لاسحق المؤتمن فلما أفاق دعا باسحق وعقدله على ابنته وذلك في سنة
احدى وستين ومائة وهي بنت عمه وولى اسحق بعد والدا السيدة نفيسة من قبل أبي جعفر
المنصور ورزقت منه بولدين القاسم وأم كلثوم * وحجت ثلاثين حجة وكان الغالب عليها
المشي في حجاتها وكانت تتعلق باستار الكعبة عند الطواف وهي تبكي وتقول الهي وسيدي
ومولاي متعني وفرحني برضاك عني فلا تسبب لي سببا يحجبني عنك (وحكى) عن السيدة
زينب بنت أخيها سيدي يحيى المتوج قالت خدمت عمتي السيدة نفيسة رضي الله تعالى عنها
أربعين سنة فما رأيتها نامت ليلا ولا نهارا ولا أفطرت نهارا الا العيدين وأيام التشريق
فقلت لها ياعمتاه أما ترفقين بنفسك فقالت كيف أرفق بها وأمامي عقبات لايقطعها
الا الفائزون * وكانت كثيرة التلاوة للقرآن وتفسيره وكانت تبكي وتقول الهي سهل علي
زيارة قبر خليلك ونبيك ابراهيم عليه الصلاة والسلام فلما حجت هي وزوجها آخر حجة
قصدا زيارة الخليل عليه الصلاة والسلام فلما أن زارته هي وزوجها عزما على المجيء الى
مصر فتوجهوا الى أن جاؤا الى مصر وكان قدومهم الى مصر لخمس بقين من شهر رمضان
سنة ثلاث وتسعين ومائة على خلاف في التاريخ وقيل سنة ست وتسعين ومائة * ولما سمع
أهل مصر بقدومها وكان لها ذكر شائع عندهم تلقتها النساء والرجال بالهوادج من العريش
ولم يزالوا معها الى أن دخلت مصر فانزلها عنده كبير التجار بمصر وهو جمال الدين عبدالله بن
الجصاص بالجيم وقيل بالحاء والاول أصح وكان من أصحاب المعروف والبر والمحبة والصدقة
للفقراء الصالحين والعلماء والسادات الاشراف فنزلت عنده في داره وأقامت بها مدة شهور
والناس يأتون اليها أجمعون من سائر الآفاق يتبركون بزيارتها ودعائها وقيل نزلت هي
وبعلها بالمصاصة في دار امرأة تعرف بأم هاني في التاريخ المذكور أولا وهو سنة ثلاث
وتسعين ومائة بعد وفاة الامام الليث بن سعد رحمه الله تعالى بثمان سنين تقريبا * وكان
بجوار هذه الدار رجل يهودي وله بنت مقعدة ولها أم فأرادت الام أن تتوجه الى الحمام
فقالت لها يابنتي ما أصنع في أمرك هل لك أن نحملك معنا الى الحمام فقالت لا أستطيع
ياأماه فقالت لها كيف أتركك في الدار وحدك قالت ياأماه اجعليني عند هذه الشريفة
التي بجوارنا حتى تعودي فدخلت أمها الى السيدة نفيسة رضي الله تعالى عنها وسألتها في
ذلك فأذنت لها في ذلك فأتت بها اليها ووضعتها في جانب ومضت فجاء وقت صلاة الظهر فقامت
السيدة نفيسة فتوضأت بجانب الصبية فجرى الماء فألهم الله تعالى البنت المقعدة أن
أخذت من ماء الوضوء وجعلت تمر به على أعضائها فتمتد باذن الله تعالى فقامت تمشي كأن

لم يكن بها شئ فلما جاء أهلها خرجت اليهم تمشي فسألوها عن شأنها فأخبرتهم فأسلموا * وفي رواية أخرى على صفة أخرى أن الصبية لما مسحت بماء وضوء السيدة نفيسة رضي الله تعالى عنها قامت تمشي على قدميها كأن لم يكن بها شئ من الامراض هذا والسيدة نفيسة مشغولة بالصلاة لم تعلم بما جرى ثم ان البنت لما سمعت بمجيء أمها من الحمام خرجت من دار السيدة حتى أتت الى دار أبيها فطرقت الباب نخرجت أمها المنتظر من يطرق الباب فبادرت البنت واعتنقت أمها فلم تعرفها وقالت لها من أنت قالت أنا بنتك قالت لها كيف قصتك فأخبرتها بما فعلت فبكت الام بكاء شديدا وقالت هذا والله الدين الصحيح لا ما نحن فيه من الدين القبيح ثم دخلت فأقبلت تقبل قدم السيدة نفيسة رضي الله تعالى عنها وقالت مدي يدك فأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن جدك محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكرت لها السيدة ذلك وحمدت الحق سبحانه وتعالى الذي أنقذها من الضلال ثم مضت المرأة الى منزلها فلما حضر أبو البنت وكان اسمه أيوب وقيل صابر وكنيته أبو السرايا وكان من أعيان قومه ورأى ابنته على تلك الحالة ذهل وطار عقله من الفرح وقال لامرأته كيف الخبر والقصة فأخبرته بقصتها مع السيدة رضي الله تعالى عنها فرفع اليهودي طرفه الى السماء وقال سبحانك هديت من شئت وأضللت من شئت هذا والله الدين الصحيح ولا دين غير دين الاسلام ثم أتى الى باب السيدة نفيسة ومرغ خديه على عتبته ونادى ياسيدتي ارحمي واشفعي فيمن هو في ضلال الكفر قد تاه ومن دينه قد أبعده وأقصاه فرفعت طرفها الى السماء ودعت له بالهداية فاسلم ونطق بالشهادتين ثم شاع خبر البنت وخبر اسلام أمها وأبيها وجاءتهم فاسلم في هذه الواقعة ما يزيد على سبعين من اليهود وهم أهل تلك الحارة ثم انها دخلت من المصاصة الى درب الكروبيين في دار أبي السرايا أيوب قال الحسن بن زولاق ولما شاعت هذه الكرامة بين الناس لم يبق أحد الا قصد زيارة السيدة نفيسة رضي الله تعالى عنها وعظم الامر وكثر الخلق على بابها فطلبت عند ذلك الرحيل الى بلاد الحجاز عند أهلها فشق ذلك على أهل مصر وسألوها في الاقامة فأبت فاجتمع أهل مصر ودخلوا على السري ابن الحكم أمير مصر وأخبروه أنها عزمت على الرحيل فاشتد ذلك عليه وبعث لها كتابا ورسولا يأمرها بالرجوع عما عزمت عليه فأبت فركب بنفسه وأتى اليها وسألها في الاقامة فقالت اني كنت نويت الاقامة عندكم واني امرأة ضعيفة والناس قد أكثروا من المجيء عندي وشغلوني عن أورادي وجمع زادي لمعادي ومكاني هذا صغير وضاق بهذا الجمع الغزير فقال لها السري أنا أزيل عنك جميع ما تشكونيه وأمهد لك الامر على ما ترتضيه أما ضيق المكان فان لي دارا واسعة بدرب السباع وأشهد الله تعالى أني قد وهبتها لك وأسألك أن تقبليها مني ولا تخجليني بالرد علي قالت قد قبلتها منك ففرح السري بقبولها منه فقالت كيف أصنع بهذا الجموع الوافدين علي قال تتفقين معهم على ان يكون للناس في

كل جمعة يومان و باقى الجمعة تتفرغين فيه لخدمة مولاك اجعلى يوم السبت والاربعاء للناس ففعلت ذلك واستمر الامر على ذلك الى أن توفيت رضى الله تعالى عنها بهذا المكان على ماسيأتى ذكره وكراماتها كثيرة (ومن) كراماتها رضى الله تعالى عنها ماحكاه سعيد بن الحسن قال توقف النيل فى زمنها الى حين وقت الوفاء فجاء الناس اليها وسألوها الدعاء فأعطتهم قناعها فجاؤا به الى البحر وطرحوه فيه فما رجعوا حتى وفى البحر و زاد على ذلك زيادة عظيمة كل ذلك ببركتها * وكان كلما نزل بالناس أمر جاؤا اليها وسألوها الدعاء فتدعو لهم فيكشف الله عنهم ذلك البلاء وكان الناس يزدحمون عندها فلما رأى زوجها ذلك قال ارحلى بنا الى الحجاز فقالت لاأستطيع لانى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى لاترحلى من مصر فان الله تعالى متوفيك فيها ففى ذلك دلالة على أنها ما أقامت بمصر الا باشارة النبى صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين (قال القضاعى) رحمه الله تعالى قلت لزينب بنت أخى السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنهما ما كان قوت عمتك قالت كانت تأكل فى كل ثلاثة أيام أكلة وكانت لها سلة معلقة أمام مصلاها وكانت كلما طلبت شيئا للاكل وجدته فى تلك السلة وكانت لاتأخذ شيئا من غير زوجها فالحمد لله الذى جعل لنا نصيبا مما جعل للسيدة مريم ابنة عمران عليهما السلام فان الله تعالى قال فى كتابه المبين حاكيا عنها كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب وقد جعل الله تعالى ذلك للسيدة نفيسة كما جعل ذلك للسيدة مريم عليهما السلام (وما أحسن ما قاله بعضهم)

بتقوى الاله نجا من نجا * وصار بذا الله مارجا
ومن يتق الله يجعل له * كما قال من أمره مخرجا
ويرزقه من حيث لايحتسب * وان ضاق أمر به فرجا
وان كان فيما مضى مذنبا * فعفو الاله غدا يرتجى

كيف لايكون لها ذلك وهى البضعة الشريفة صلى الله تعالى وسلم على روح جدها وعليها (وما أحسن ما قال بعضهم)

اليكم كل مكرمة تؤل * اذا ماقيل جدكم الرسول
أبوكم خير من ركب المطايا * وأمكم المعظمة البتول
اذا افتخر الامام بمدح قوم * بخدمتكم تشرف جبرئيل

(ومن كراماتها رضى الله تعالى عنها) ان امرأة عجوزا كان لها أربع بنات يتقوتن من غزلهن وكن يغزلن من الجمعة الى الجمعة وفى آخر الجمعة تأخذ العجوز الغزل وتمضى به الى سوق الغزل وتبيعه وتشترى منه كتانا ومهما فضل تشترى به مايقتتنه من الجمعة الى مثلها فاخذت العجوز الغزل فى خرقة حمراء وذهبت به الى السوق على عادتها فبينما هى فى أثناء

الطريق واذا بطائر انقض على الخرقة التى فيها الغزل فاختطفها من العجوز فسقطت العجوز
الى الارض مغمى عليها فلما أفاقت قالت كيف أصنع بايتام ضعفاء قد أجهدهم الجوع
والقل فبكت فاجتمع الناس عليها وسألوها عن خبرها فأخبرتهم بالقصة وكانت قريبة من
منزل السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها فدلها الناس عليها وقالوا لها امضى واسألها الدعاء
فان الله تعالى يزيل عنك ماتجدين من الهم فلما جاءت الى السيدة رضى الله تعالى عنها أخبرتها
بما جرى من الطائر وبكت وسألتها الدعاء فرحمتها السيدة نفعنا الله بها ورفعت رأسها الى
السماء وقالت اللهم يامن علا فاقتدر وملك فقهر اجبر من أمتك هذه ما انكسر فانها
وأطفالها عيالك ثم قالت لها اقعدى على الباب فان الله على كل شئ قدير فقعدت المرأة على
الباب وفى قلبها لهيب النار على الاطفال فما كان الا أن جلست ساعة يسيرة واذا بجماعة
قد أقبلوا واستأذنوا عليها فأذنت لهم فدخلوا فسلموا عليها وقالوا لها قد جئناك لنخبرك بأمر
عجيب نحن قوم تجار لنا مدة فى السفر فى البحر ونحمد الله سبحانه وتعالى اذ نحن سالمون
آمنون فلما وصلنا الى هذه البلدة انفتح المركب ودخلها الماء فاشرفنا على الغرق وجعلنا
نسد المكان المنفتح وبقيت قطعة صغيرة لم نجد لها ما نسدها به فاستغثنا بك فجاء طائر كأنه
حدأة وألقى علينا الخرقة جراءبها غزل فاخذناه ووضعناه فى المكان المفتوح فسده باذن
الله تعالى وقد جئناك بخمسمائة درهم شكرا لله تعالى على السلامة فلما سمعت السيدة
كلامهم بكت وقالت الهى ما أرأفك وما ألطفك بعبادك ثم انها دعت بالعجوز وقالت لها
بكم تبيعين غزلك فى كل جمعة قالت بعشرين درهما فقالت لها ابشرى فان الله سبحانه وتعالى
ضاعف لك الثمن اضعافا ثم أخبرتها بالقصة وأعطتها الدراهم فاخذتها المرأة وجاءت الى
أولادها وأخبرتهن بما جرى لها وكيف رد الله لهفتها ببركة هذه السيدة نفيسة رضى الله عنها
ونفع ببركتها (ومن كراماتها) أن رجلا من أهل المعافر تزوج بامرأة ذمية فجاء منها بولد
فأسر فى بلاد العدو فجعلت تدخل البيع وتسأل عن الاسارى وولدها لا يأتى فقالت لزوجها
بلغنى أن بين أظهرنا امرأة يقال لها نفيسة بنت الحسن اذهب اليها لعلها تدعو لولدى فان
جاء آمنت بدينها قال فجاء الرجل الى السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها وقص عليها القصة
فدعت له أن الله يرده عليه فلما كان الليل واذا بالباب يطرق فخرجت المرأة فوجدت
ولدها واقفا بالباب فقالت له يابنى أخبرنى بأمرك كيف كان فقال ياأماه كنت واقفا بالباب
فى الوقت الفلانى وهو الوقت الذى دعت فيه السيدة نفيسة وأنا فى خدمتى فلم أشعر الا ويد
وقعت على القيد وسمعت من يقول أطلقوه فقد شفعت فيه السيدة نفيسة بنت الحسن
فأطلقت من الغل والقيد ثم لم أشعر بنفسى الا وأنا داخل من رأس محلتنا الى أن وقفت على
الباب ففرحت أمه بذلك فرحا شديدا وشاعت هذه الكرامة فأسلم فى تلك الليلة أهل
سبعين دارا ببركتها وأسلمت أمه أيضا وصارت من خدام السيدة نفيسة رضى الله تعالى

عنها (وحكى) صاحب محاسن الغرر ومساوى العرر أنه لما ظلم أحمد بن طولون واستغاث الناس من ظلمه توجهوا الى السيدة نفيسة وشكوا اليها فقالت لهم متى يركب قالوا فى غد فكتبت رقعة ووقفت فى طريقه وقالت له يا ابن طولون فلما رآها ترجل عن فرسه وأخذ الرقعة بيده وقرأها فاذا فيها ملكتم فأسرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم فعسفتم وردت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم أن سهام الاسحار صائبة غير مخطئة لاسيما من قلوب أوجعتموها وأكباد جوعتموها وأجساد أعريتموها فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم اعملوا ما شئتم انا عاملون وجوروا فانا الى الله مستجيرون واظلموا فانا الى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون (وحكى) بعض المشايخ انه كان فى زمنها أمير وكان الغالب على أحواله الظلم وانه طلب انسانا ليعذبه فلما قبض على الرجل أعوان الامير فبينما هو سائر معهم اذ مر على السيدة نفيسة فاستجار بها فدعت له بالخلاص وقالت له حجب الله عنك أبصار الظالمين فمضى ذلك الرجل حتى وقف بين يدى الامير فقال لاعوانه أين الرجل فلان قالوا انه واقف بين يديك فقال الامير والله ما أراه فقالوا انه مر بالسيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد رضى الله تعالى عنهم وسألها الدعاء فقالت حجب الله عنك أبصار الظالمين فقال وبلغ من ظلمى هذا يارب انى تائب اليك ثم بكى واستغفر فلما تاب ونصح فى توبته نظر الرجل وهو واقف بين يديه فدعاه وقبل رأسه وألبسه أثوابا سنية وصرفه من عنده شاكرا ثم انه جمع ماله وتصدق ببعضه على الفقراء والمساكين وذهب الى السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها ومعه مائة ألف درهم وقال خذى هذا المال شكرا لله تعالى بتوبتى فأخذته وصرته صررا وجعلته بين يديها وفرقته عن آخره وكان عندها بعض النساء فقالت لها ياسيدتى لو تركت لنا شيئا من هذه الدراهم لنشترى به شيئا نفطر عليه فقالت لها خذى غزل يدى وبيعيه بشئ نفطر عليه فذهبت المرأة وباعت الغزل وجاءت لها بما أفطرت به هى واياها ولم تأخذ من المال شيئا * وحكى صاحب المشرق فى تاريخ المشرق أن الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه سمع منها الحديث وقال السيوطى فى كتابه حسن المحاضرة عند ذكر من كان بمصر من الزهاد ومنهم السيدة نفيسة بنت الامير الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم كان أبوها أميرا المدينة المنورة وله روايات فى سنن النسائى ودخلت هى مصر مع زوجها المؤتمن اسحق بن جعفر الصادق رحمهما الله تعالى فأقامت بها وكانت زاهدة كثيرة الخير وكانت ذات مال فكانت تحسن الى الزمنى والمرضى وعموم الناس ولما ورد الشافعى رضى الله تعالى عنه بمصر كانت تحسن اليه وربما صلى بها فى شهر رمضان ولما توفى أمرت بجنازته فادخلت اليها فصلت عليه وماتت فى رمضان سنة ثمان ومائتين وكان زوجها عزم أن ينقلها فيدفنها بالمدينة المنورة (وقال) الاستاذ العارف بالله تعالى مربى المريدين مفيد الطالبين القطب الربانى والغوث الصمدانى الشيخ عبد

الوهاب

الوهاب الشعراني أعاد الله تعالى علينا من بركاته في كتابه المسمى بلواقح الانوار في طبقات الاخيار ومنهن السيدة نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تبارك وتعالى عنهم ولدت بمكة وكان مولدها سنة خمس وأربعين ومائة ونشأت في العبادة وتزوجت باسحق المؤتمن ورزقت منه بولدين القاسم وأم كلثوم وأقامت رضي الله تعالى عنها بمصر سبع سنين وتوفيت الى رحمة الله تعالى سنة ثمان ومائتين وخرج زوجها من مصر بولديها القاسم وأم كلثوم ودفنوا بالبقيع على خلاف في ذلك (قال) ابن الملقن ولما دخل الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه مصر كان يتردد اليها وكان يصلي بها التراويح في مسجدها في رمضان رضي الله تعالى عنهما وقيل انه مع جلالة قدره كان يأتي اليها ويسألها الدعاء وسماع الشافعي منها الحديث هو الصحيح خلافا لمن قال انه قرأ عليها وهو صاحب التحفة الانسية ولما حضر لزيارتها هو وأصحابه تأدبوا معها غاية الادب وكذلك كان الشيخ الامام العالم سفيان الثوري مع السيدة رابعة العدوية رضي الله تعالى عنه وعنها لما كان يتردد لسماع كلامها * وقد ادعى قوم أن رابعة العدوية والسيدة نفيسة رضي الله تعالى عنهما كانتا متعاصرتين وليس الامر كذلك فان السيدة رابعة رضي الله تعالى عنها أم الخير ابنة اسمعيل المصري وقيل البصري توفيت سنة خمس وثلاثين ومائة في خلافة السفاح وكان بين مولد السيدة نفيسة رضي الله تعالى عنها ووفاة رابعة رضي الله تعالى عنها عشر سنين فبطل قول من ادعى ذلك والمسمى برابعة كثير غير أن الاعيان منهن ثلاثة رابعة العدوية والثانية رابعة ابنة اسمعيل الدمشقية القدسية وقد شاركت الاولى في اسمها واسم أبيها والثالثة رابعة بنت ابراهيم بن عبد البر البغدادية تسمى رابعة بغداد * وقبر رابعة العدوية رضي الله تعالى عنها في البصرة معروف هناك مشهور وقبر رابعة الدمشقية في القدس دفنت على رأس جبل هناك مشهور معروف بالنور وانما عرفت بالقدسية لدفنها هناك وأكثر العامة يظنون أنه قبر رابعة العدوية فليعلم ذلك (وكان) الشافعي رضي الله تعالى عنه اذا مرض يرسل اليها انسانا من خدمه كالربيع الجيزي أو الربيع المرادي أو غيرهما فيسلم المرسل اليها ويقول لها ان ابن عمك الشافعي مريض ويسألك الدعاء فتدعو له فلا يرجع له القاصد الا وقد عوفي من مرضه فلما مرض مرضه الذي مات فيه أرسل لها على جري العادة يلتمس منها الدعاء فقالت للقاصد متعه الله بالنظر الى وجهه الكريم فجاء القاصد له فرآه الشافعي فقال له ما قالت لك قال قالت لي كيت وكيت فعلم أنه ميت فأوصى وأوصى أن تصلي على جسده فلما توفي في سنة أربع ومائتين كما هو مشهور مروا به على بيتها فصلت عليه مأمومة وكان الذي صلى بها اماما أبو يعقوب البويطي أحد أصحاب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه وكان جواز نعش الشافعي رضي الله تعالى عنه على بيتها بامر السري أمير مصر والله أعلم لانها سألته في ذلك نفاذا لوصية الشافعي رضي الله تعالى عنه لانها

كانت لا تستطيع الخروج الى جنازته لضعفها عن الحركة من كثرة العبادة وقد قال بعض الصالحين ممن أحضر جنازة الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه سمعت بعد انقضاء الصلاتين ان الله تعالى غفر لكل من صلى على الشافعي بالشافعي وغفر للشافعي بصلاة السيدة نفيسة عليه رضى الله تعالى عنهما ونفعنا ببركاتهما آمين

(ذكر وفاتها رحمة الله عليها ورضوانه وما وقع من الكرامات بعد وفاتها ومن زار قبرها من الاولياء والصلحاء والعلماء والفقهاء والفقراء من الاعيان رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بعلومهم ومعارفهم فى الدنيا والآخرة)

(قال) القضاعى رحمه الله تعالى لما ذكر آنفا أن السيدة انتقلت من المنزل الذى نزلت به الى دار أبى جعفر وخالد بن هارون السلمى وهى التى وهبها لها أمير مصر السرى بن الحكم فى خلافة المأمون أقامت بهذه الدار الى حين وفاتها بعد ان حفرت قبرها بيدها وقرأت فيه ألفى ختمة وقيل ألفا وتسعمائة قالت زينب بنت أخيها تألمت عمتى فى أول يوم من رجب وكتبت الى زوجها اسحق المؤتمن كتابا وكان غائبا بالمدينة تأمره بالمجىء اليها ولا زالت كذلك الى أن كان أول جمعة من شهر رمضان فزاد بها الالم وهى صائمة فدخل عليها الاطباء الحذاق وأشاروا بأسرهم اليها بالافطار لحفظ القوة لما رأوا من الضعف الذى أصابها فقالت واعجباه لى ثلاثون سنة أسأل الله عز وجل أن يتوفانى وأنا صائمة فأفطر معاذ الله ثم أنشدت تقول

اصرفوا عنى طبيبى * ودعونى وحبيبى
زادبى شوقى اليه * وغرامى فى لهيب
طاب هتكى فى هواه * بين واش ورقيب
لا أبالى بفوات * حين قد صار نصيبى
ليس من لام بعذل * عنه فيه بمصيب
جسدى راض بسقمى * وجفونى بنحيبى

(قلت) ومن الناس من يروى هذه الابيات لمحمد بن ابراهيم بن ثابت بن فرج الكيزانى الشيعى الذى دفن بقبة الامام الشافعى قبل بنائها ونقل فى زمن البناء الى المشهد بالقرب من تربة الفضل بن العراة الوزير والله أعلم بالصواب

(انعطاف) ثم انها بقيت كذلك الى العشر الاواسط من شهر رمضان فاحتضرت واشتد بها المرض فاستفتحت بقراءة سورة الانعام فلا زالت تقرأ الى ان وصلت الى قوله تعالى قل لله كتب على نفسه الرحمة ففاضت روحها الكريمة وقيل انها قرأت لهم دار السلام عند ربهم

وهو وليهم بما كانوا يعملون فغشى عليها قالت زينب فضممتها الى صدرى فشهدت شهادة الحق وقبضت سنة ثمان ومائتين وذلك بعد موت الشافعى رضى الله تعالى عنه بأربع سنين حكى ذلك عن البويطى رحمه الله تعالى * وما أحسن ما قال بعضهم فى خروج روحها رضوان الله عليها

روح دعاها بالوصال حبيبها * فأتت اليه مطيعة ومجيبه
يامدعى صدق المحبة هكذا * صدق المحب اذا دعاه حبيبه

وأوصت السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها أن لا يتولى أمرها غير بعلها وكان مسافرا كما قدمنا فلما ماتت قدم فى ذلك اليوم فحين أن قدم اجتمعت الناس من البلدان والقرى وأوقدت الشموع فى تلك الليلة وسمع البكاء من كل دار بمصر وهيأ لها بعلها تابوتا وقال لأدفنها الا بالبقيع عند جدها فتعلق به أهل مصر وسألوه بالله أن يدفنها عندهم فأبى فاجتمعوا وجاؤا الى أمير البلد وتوسلوا به اليه ليدفنها عندهم وليرجع عما أراد قال فسأله الامير فى ذلك وقال له بالله لا تحرمنا مشاهدة قبرها فانا كنا اذا نزل بنا أمر أتيناها الى دارها وهى حية فنسألها الدعاء فاذا دعت لنا رفع عنا ما نزل بنا فدعها تكون فى أرضنا اذا نزل بنا أمر أتينا الى قبرها فسألنا الله تعالى عنده قال فلم يرض فجمعوا له مالا جزيلا حمل بعيره الذى أتى عليه وسألوه فأبى فباتوا منه فى ألم عظيم وتركوا المال عنده فلما أصبحوا جاؤا اليه فوجدوا منه مالم يروه من قبل فانهم لما قاموا أنعم لهم بدفنها عندهم ورد عليهم المال فسألوه عن ذلك فقال لهم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وقال لى رد على الناس أموالهم وادفنها عندهم ففرحوا وصلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ثم انه دفنها بمنزلها المذكور آنفا بدرب السباع بين مصر والقاهرة وكان يوما مشهودا ازدحم الناس فيه ازدحاما شديدا عظيما وجعل الناس يأتون اليها من البلاد البعيدة ويصلون على قبرها وصلى عليها جماعة من علماء مصر ورؤسائها وعوامها وخرج زوجها رضى الله تعالى عنها بعد أيام قلائل ومعه ولداه منها القاسم وأم كلثوم الى المدينة وماتوا بها وفيهم خلاف أعنى الثلاثة فى دفنهم بالبقيع وليس فى قبر السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها خلاف ذكر ذلك أبو اسحق ابراهيم بن بلوه النسابة والشريف بن محمد بن الاسعد بن على الحسينى النسابة (قال) القضاعى رحمه الله تعالى أقامت السيدة نفيسة بمصر سبع سنين وحفرت قبرها بيدها فى البيت الذى كانت قاطنة فيه وهو المشهد الآن ولعلها لم تفعل ذلك يعنى حفر القبر الا بأمر النبى صلى الله عليه وسلم ولولا ذلك لما رأى زوجها ما رأى وربما يفهم ذلك من قوله ان الله متوفيك بمصر كما قدمناه آنفا ولم يختلف فى ذلك أحد من المؤرخين الا من ليس له معرفة بالتاريخ أو جاهلا لا يحسن ذلك ومن قال انها فى المسجد الذى بالمراغة فهذا جهل من قائله نعم التى مدفونة بذلك هى السيدة نفيسة بنت زيد الابلج بن الحسن

السبط عمة السيدة نفيسة أخت أبيها الحسن فانها دخلت الى مصر قبلها وكانت تحت الوليد بن عبد الملك بن مروان ودخولها الى مصر مشهور ولكن مختلف فى دفنها أهل هى ههنا أو بالشام ولعلها هنا فانه لم يرد فى كتاب خروجها من مصر بعد دخولها فلعلها توفيت بمصر ودفنت بهذا المشهد الذى بالمراغة وكانت من الصالحات وتوفيت قبل وفاة بنت أخيها رحمهما الله تعالى

(انعطاف) قال بعض المؤرخين لما حفرت السيدة نفيسة المذكورة آنفا قبرها بعد عمتها كانت تنزل اليه ليلا ونهارا وتصلى فيه قيل انها قرأت فيه ست آلاف ختمة والصحيح ما ذكر سابقا (وقال) بعض العلماء الاكابر من المتأخرين وهو الشيخ كمال الدين الدميرى وكان عالما بفنون عديدة منها فن التاريخ وأسماء الصحابة وأهل البيت وكان عالما بالانساب ان السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها كانت أمية لا تقرأ شيئا الا انها كانت سمعت الحديث كثيرا وكانت من أهل الخير والصلاح وكانت فى آخر عمرها اذا عجزت عن الصلاة قائمة صلت قاعدة وكانت من كثرة الصيام والقيام ضعفت قواها وزار قبرها جماعة من الاولياء والصلحاء والعلماء ومشايخ الرسالة ولم ينكر أحد منهم هذا القبر ممن زارها بهذا المشهد فى حياتها وبعد وفاتها الاستاذ الكبير أبو الفيض توبان ذو النون المصرى بن ابراهيم الاخميمى أحد رجال الطريقة المعتبرين وأبو الحسن الدينورى وأبو على الروذبادى وأبو بكر أحمد بن نصر الدقاق وبنان بن أحمد بن محمد بن سعيد الجمال الواسطى وشقران بن عبد الله المغربى وادريس بن يحيى الخولانى والمفضل بن فضالة وبكار بن قتيبة والامام اسمعيل المزنى وعبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع المصرى وولده الامام محمد صاحب تاريخ مصر وعبد الرحمن بن الحكم والامام أبو يعقوب البويطى والربيع بن سليمان المرادى وحرملة بن يحيى التجيبى الشافعى ويونس بن عبد الاعلى الصدفى والفقيه عبد الله بن وهب بن أبى مسلم القرشى المالكى وأبو جعفر محمد بن عبد الملك بن سلامة الطحاوى والامام عبد الرحمن بن القاسم العتقى المالكى الزاهد والحسين بن بشر وسعيد الجوهرى المتكلم على الخاطر وأبو جعفر النحوى المعروف بالنحاس المقرى وأبو بكر المعروف بالادفوى وأبو نصر سراج الدين الزاهد المعافرى وأبو بكر الحداد الفقيه الشافعى صاحب الفروع فى الفقه والحسن بن على القضاعى وأبو هشام المقرى وسحنون المالكى وابن القاسم حمزة بن محمد الكنانى وكان ملازما زيارتها الى أن مات والامام أبو الحجاج الاشبيلى وأبو عبد الله بن الوشاة والامام يوسف بن يعقوب اللغوى وأبو الحسن على العككى وأبو سهل الهروى والامام اليمنى والامام الحافظ عبد الغنى بن سعيد الازدى وأبو عبد الله محمد سلامة القضاعى وأبو زكريا السخاوى وأبو اسحق ابراهيم بن سعيد الحبال والامام أبو الحسن بن الحسن الخلعى وأبو الحسن الشيرازى وأبو الحسن الخشاب وأبو

الحسن

الحسن الفراء وأبو صادق بن مرشد المدنى وسلطان بن رشا الشافعى وأبو بكر محمد بن داود الرقى القبالى والفقيه ابن مرزوق المالكى والامام ورش المقرى والفقيه الجليل عبد الله بن عمر النجيبى والفقيه أبو الحسن على بن ابراهيم الحوفى صاحب التفسير والفقيه أبو طاهر بن بابشاذ النحوى والشيخ أبو زكريا البخارى والفقيه ابن الوردى والفقيه أبو عبد الله التميمى وابن نظيف المحدث العالم الكبير والفقيه العالم عبد القوى وعبد الباقى بن فارس المحدث والفقيه أبو محمد عبد الله بن داود الفارسى والفقيه عبد الله أبو الحسن الشيرازى والشيخ المحدث أبو القاسم العمودى والفقيه ابو المعالى الشافعى والفقيه أبو عبد الله محمد المحدث وأبو بكر التكاى وأبو القسم بن الحباب وأبو الطيب بن غلبون وابن بنت ابى سعد الانصارى وأبو المعالى على وأبو عبد الله بن رفاعة وأبو الفضائل يونس ابن محمد المقدسى وأبو الطاهر مهوب والفقيه بن المبلط المقدسى وأبو عبد الله الحوى النحوى وأبو الحسن على الحضرمى وأبو الطاهر السلفى الحافظ وأبو العباس أحمد بن الخطيب المالكى وأبو الفوارس الحميرى الذى كان يختم القرآن فى ركعتى الفجر هذا ما عرف من الاماثل الاعيان وأما من لم يعرف فكثير (قال) السيد الشريف محمد بن أسعد ابن على النسابة عن شيخه مهوب عن شيوخه أنهم كانوا يزورون قبر السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها ويسألون الله تعالى عند قبرها قضاء حوائجهم فتقضى مثل الشيخ العالم ابن بنت أبى أسعد الانصارى وأبى طاهر السلفى والفقيه على المكنى بابى المعالى والشيخ أبى القاسم بن الحباب والفقيه أبو عبد الله بن رفاعة السعدى والفقيه بن أبى الطيب والشيخ أبى الحسن الحضرمى والفقيه أبى الفضل يونس بن محمد المقدسى امام جامع عمرو والفقيه أبى الحسن على بن الحسين الموصلى والفقيه الحافظ أبى الحسن الشيرازى وأبى الفوارس الحميرى الفقيه وقد تقدم ذكر هؤلاء الجماعة ولكنا أحببنا ذكر لفظ الشريف النسابة بتمامه وكماله وقد عرف هذا المكان باجابة الدعاء وكل ذلك مع الاخلاص من غير رياء ولا سمعة والله أعلم بالصواب

(ذكر كرامات ظهرت بعد وفاتها رضى الله تعالى عنها)

قال بعض المؤرخين كان رجل بمصر يسمى عفان بن سليمان المصرى قد وجد فى داره مالا مدفونا فصار عفان هذا يتصدق من هذا المال على الفقراء والمساكين والارامل والايتام وأمعن فى الصدقة حتى كان لاينام ليله حتى يطعم خمسمائة بيت من أهل مصر وكان يتلقى الحاج كل عام من البيت وكان يحمل المنقطع واشترى أحمد بن سهل بن أحمد أمير مصر ألف حمل بر فاشتراها منه عفان فلما كان بعد أيام قلائل حصل الغلاء فزاد ثمن البر عن السعر الاول بثلاثة أمثاله فقال له أحمد بن سهل الوزير خذ ثمن البر الذى اشتريته منى بهذا السعر الآن فقال له عفان لا أفعل ذلك ثم خرج عفان من داره وجلس على الباب فجاء اليه

الناس وقالوا انظر ما الناس فيه وميما طلبته في البر الذى عندك من الثمن أعطيناك فقال لهم لا والله انما أدخر الثمن عند الله تعالى وفرق ذلك على الفقراء والمساكين والارامل فبلغ ذلك تكين أمير مصر وكان قد صال على أهل مصر حتى لقبوه بالجبار وشكاه أهل مصر الى العارف بالله تعالى بنان بن أحمد الواسطى الواعظ فدخل عليه ووعظه وقال له ارجع عن أهل مصر فلم يرجع ولم يسمع وأمر باخراج بنان الى بلاد الغرب فشكاه أهل مصر الى العارف بالله تعالى الشيخ أبى الحسن الدينورى فدخل عليه ووعظه فلم يرجع وأمر باخراجه من مصر الى بيت المقدس ثم أمر تكين الوزير أن يوخذ من عفان أمواله فذهب الى السيد الشريف على بن عبد الله وقال له ياسيدى أريد أن أخرج من مصر وأسكن غيرها من البلاد فقال الشريف على لاى شئ تفعل ذلك قال لاجل هذا الجبار تكين فقال له الشريف على قم بنا الى ضريح السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها ندع الله عنده أن يشغل هذا الجبار عنك فجاء عفان من جانب والشريف من جانب آخر وقرآ شيئا من القرآن وسألا الله تعالى أن يجعل ذلك واصلا الى السيدة نفيسة رضوان الله تعالى عليها وأن يفرج عن عفان ما هو فيه من المضايقة فأخذتهما سنة من النوم فناما فرأى الشريف على السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها وهى تقول له خذ عفان معك واذهب الى تكين فقد قضيت الحاجة فلما استيقظ الشريف أخذ عفان معه وتوجها الى تكين ودخلا عليه فقام تكين الى الشريف وهو يرعد وقد حم لوقته وقال رأيت السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها وهى تقول أكرم الشريف على وارجع عن عفان فانه استجار بنا فقال له الشريف هذا عفان بين يديك فقال تكين والله ما رأيته يارب انى تائب فتاب تكين من الظلم وأخلص فى توبته فرأى عفان فقال أنت عتيق السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها وتصدق تكين على الفقراء بمال كثير وصار يحسن الى أهل مصر ويقول كل أهل مصر يخافونى وأنا أخاف من دعوة عفان عند ضريح السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها وقد أحسن تكين شأنه مع أهل مصر ولازم زيارة مشهد السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها الى أن توفى بمصر يوم السبت المبارك لست عشرة خلون من ربيع الاول سنة احدى وعشرين وثلثمائة وهو متولى عليها وأوصى أن يدفن ببيت المقدس فحمل ودفن هناك وترك ولده محمدا وأقام على طريقة أبيه فى الاحسان وتوفى سيدى عفان المذكور فى زمن ولايته فى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة ودفن فى طريق مصر بمكان معروف رحمه الله تعالى ونفع ببركته (وحكى) عن رجل يسمى أبا العز اليمانى قال كنت فى قومى عزيزا لانى كنت أكثرهم مالا وعملا وحسبا فصالت على النفس حتى صرت لها مطيعا ونظرت الى الخلق بعين الاحتقار وأنستنى النفس القدوم على الملك الجبار وشغلتنى عن عذاب النار فذهب عنى المال ونقص منى العمل بالطاعة التى هى أشرف بضاعة وانخفض قدرى وضاق صدرى واشتد كربى وعزانى الصديق وفرح فى

الحسود.

الحسود فقلت الصديق كان مشفقاعلى ياأخى أماترى مانزل بى فقال لى عليك ياأخى أن تسأل الله بأوليائه الصالحين المقربين عسى أن يذهب عنك هذا الامر الذى قد نزل بك قال فاعتزلت عن الناس فى مكان فلما كنت فى بعض الليالى نائما متفكرا فى أمرى واذا أنا أرى كأنى فى فضاء واسع الفناء ونور ساطع تارة يظهر وتارة يخفى فقلت بالله العجب ماهذا النور الذى يظهر ويخفى واذا أنا أسمع قائلا يقول لى هذا نور السيدة نفيسة قدس الله سرها قلت عسى الله أن يجمع بينى وبينها فاسألها الدعاء بزوال هذه الكربة فقيل لى انها ميتة فقلت أغتنم بركة زيارتها فما استتممت القول الا وأنا أسمع من يقول أنا السيدة نفيسة يافلان فارق نفسك فقلت فارقتها لا عودة لى اليها فانى تائب الى الله تعالى فقالت قبلت التوبة ان شاء الله تعالى وزالت الحوبة فاصبحت فرحا بما رأيت فى منامى فانصلح حالى بعد قليل وزادنى الله تعالى بفضله أضعاف ما كنت فيه كل ذلك ببركتها رضى الله تعالى عنها ونفعنا ببركاتها (وكان) الاستاذ كافور المسكى بابى المسك بن عبد الله الاخشيدى لا يدع زيارة السيدة نفيسة رضوان الله تعالى عليها فى كل خميس ويسأل الله تعالى عند ضريحها فى قضاء حوائجه فتقضى له ببركتها وكان اذا انقضيت حاجته يوفى بنذرها ويأتى بالمسك والزعفران والطيب والشمع والزيت والقناديل الفضة وكان يحسن للخادم كثيرا وكان اذا قصد زيارتها يترجل حتى ينظر الباب الاول من بعد ويدخل حاسر الرأس وبقى كذلك الى أن توفى بمصر سنة ست وخمسين وثلاثمائة رحمة الله تعالى عليه وفضائل السيدة نفيسة كثيرة ومناقبها أكثر من ان تحصر فالله ينفع ببركاتها فى الدنيا والآخرة بجاه جدها سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين (ومما ينبغى) للزائر اذا دخل ضريحها أن يقول انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد * اللهم انك قد ندبتنى لامر قد فهمته وقلته وسمعته وأطعته واعتقدته وجعلته أجرا لنبيك محمد صلى الله عليه وسلم اذ هديتنا به اليك ودللتنا به عليك وكان كما قلت بالمؤمنين رؤف رحيم حبيب اليه ماهديتنا عزيز عليه ماعنتنا وتلك الفريضة التى سألها له المودة فى القربى * اللهم انى مؤديها بلسانى معتقدها بقلبى ساع اليها بقصدى راجى النفع بها فى دنياى وأخراى متوسلا اليك بها يوم انقطاع الاسباب والانساب الا سببا ونسبا وصل بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم * اللهم فها أنا نازل اليك باعتابهم متقرب اليك بولائهم متدرع متبرع بالطاهرين والطاهرات من نسائهم * اللهم زدهم شرفا وتعظيما وشرفهم شرفا حادثا وقديما وهب لنا من زيارتهم مغفرة وأجرا عظيما والسلام عليكم يا آل بيت المصطفى يابنى فاطمة الزهراء يابنى على المرتضى يابنى الحسن والحسين ياأهل النبى أنتم القوم لا يحرم من خيركم الاحمر وم ولا يطرد عن بابكم الا مطرود ولا يواليكم الا التقى ولا يعاديكم الا الشقى اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد وعلى أصحاب محمد وعلى أزواج محمد وعلى ذرية محمد

وأنلني ما رجوت بهم وبلغني ما أملت وبهم أعد على من بركات السفر اليهم وهون على موقفي بين يديك بالوقوف بين أيديهم وتدعو بحاجتك من أمر الدنيا والآخرة (وكان) من دعاء بعض السلف عند ضريح السيدة نفيسة رضوان الله تعالى عليها عند زيارتها السلام والتحية والاكرام والرضوان من العلي الاعلى الرحمن على السيدة نفيسة الطاهرة المطهرة سلالة نبي الرحمة وشفيع الامة خير الانبياء البررة وابنة علم العشيرة الامام حيدرة السلام عليك يا ابنة الامام الحسن المسموم أخي الامام الحسين الشهيد المظلوم السلام عليك يا ابنة فاطمة الزهراء وسلالة خديجة الكبرى ورضي الله عنك وعن أبيك وجدك وعمك وابنك وجدتك وأمك * اللهم احشرنا في زمرة أوليائك وزائريها * اللهم بما كان بينك وبين جدها محمد رسولك ليلة المعراج اجعل لنا من همنا الذي نزل بنا باب الفرج واقض حوائجي فان كان جماعة يقولون اقض حوائجنا في الدنيا والآخرة بمحمد وآله وصحبه أجمعين (وكان) بعض السلف يقولون أيضا السلام والتحية والاكرام على أهل بيت النبوة والرسالة السلام عليك يا بنت الحسن الانور بن زيد الابلج بن الحسن السبط بن الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين السلام عليك يا بنت فاطمة الزهراء ويا سلالة خديجة الكبرى أنتم يا أهل البيت غياث لكل قوم في اليقظة والنوم فلا يحرم من فضلكم الا محروم ولا يطرد عن بابكم الا مطرود ولا يوالكم الا مؤمن تقي ولا يعاديكم الا منافق شقي * اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وأعطني خير ما رجوت بهم وبلغني خير ما أملت فيهم واحفظني بذلك في ديني ودنياي وآخرتي انك على كل شئ قدير ثم تقول

يابني الزهراء والنور الذي * ظن موسى انها نار قبس
لا أوالي الدهر من عاداكم * انهم آخر سطر في عبس

وقد مدح بعض الفضلاء رضي الله تعالى عنهم هذه السيدة الرضية رضي الله تعالى عنها وعن سائر أهل البيت الطاهرين بابيات أحببنا ذكرها هنا فقال

يا من له في الكون من حاجة * عليك بالسيدة الطاهره
نفيسة والمصطفى جدها * أسرارها بين الورى ظاهره
في الشرق والغرب لها شهرة * أنوارها ساطعة باهره
كم من كرامات لها قد بدت * وكم مقامات لها فاخره
ياحبذا سيدة شرفت * بها أراضي مصر والقاهره
بنفسها قد حفرت قبرها * حال حياة بالها حافره
تتلو كتاب الله في لحدها * وهي لمن قد زارها ناظره
حجت ثلاثين على رجلها * صائمة عن أكلها قاصره
كانت تصلي وتقوم الدجا * دوما على أقدامها ساهره

عابدة زاهدة جامعه * للخير في الدنيا وفي الآخره
في كل قطر قد سما ذكرها * عالمة فائقة ماهره
يسقى بها الغيث اذا ما القرى * قد أجدبت من سحبها الماطره
والناس قد عاشوا بها في صفا * عيش بايام لها زاهره
والشافعي قد كان يأتي لها * سعيا الى دارها عامره
يرجو بأن تدعوله دعوة * فيالها من دعوة وافره
صلت عليه بعد موت وقد * أوصى بذا فهي له شاكره
سبحان من أعلى لها قدرها * لانها بين الورى نادره

(وما أحسن ما قاله أبو الفضل الواعظ رحمه الله تعالى)

حب آل النبي خالط قلبي * وجرى في مفاصلي فاعذروني
انا والله مغرم بهواهم * عللوني بذكرهم عللوني

(وما أحسن ما قال ابن الوردي ناظم البهجة رحمه الله تعالى)

يا آل بيت النبي من بذلت * في حبكم روحه فما غبنا
من جاءكم يطلب الحديث له * قولوا لنا البيت والحديث لنا

(وقال بعض أهل الفضل رحمهم الله تعالى)

لآل بيت الرسول الغر قد ظهرا * فضل وشاع بفضل الله واشتهرا
محمد المصطفى والمرتضى وبه * فخار أهل شريف أصله ظهرا
وان فاطمة الزهراء أمهم * هي البتول التي جلت عن النظرا
أهل العباء الكرام الخمسة النجبا * ما مثلهم في جميع العالمين يرى
جبريل سادسهم في قومهم وكذا * في ظل حضرتهم بالانس قد حضرا
والبضعة الخيرة الست المشار لها * نفيسة القدر كم سر لها ظهرا
لها مقام على القدر مرتفع * بالذكر والعلم والقرآن قد عمرا
لها رباط أمين بآله حرم * مأوى المساكين والايتام والفقرا
لها رواق يروق العين رونقه * يا ناظرون تملوا فاز من نظرا
لها فخار واجلال بنسبتها * حسيبة حسبها الفخر الذي اشتهرا
لها كرامات في الاقطار قد ظهرت * وسرها قد فشا بين الورى وسرى
لها قراءة ورد قد تحقق في * وفائها بالاماني الذي نذرا
لها مشايخ علم يحضرون لها * في كل أربعة يا سعد من حضرا
لها طوائف زوار طريقتهم * وظائف الذكر والبشرى لمن ذكرا
لها ضريح وخدام كأنهم * ملوك سادوا على السادات والامرا

ترابه زعفران والمسؤل به * فاحت وكم وجه حرفيه قد عفرا
قناعها طاهر والستر منسبل * فاحتمى بجميل الستر قد سترا
أضحت كراماتها كالشمس واضحة * وليس ينكر ضوء الشمس حين يرى
كم أظهرت عجبا كم أبرأت وصبا * كم فرجت كربا كم أطلقت أسرا
كم بلغت أربا كم أذهبت نصبا * كم زوّلت تعبا كم سهلت خطرا
غنية بالذى نالته من كرم * سلطان مصر لها مازال مفتقرا
يا أهل بيت رسول الله مادحكم * كسير قلب ولكن كسره جبرا
لعله يحشر فى اقبال زمرتكم * طوبى له فى جنان الخلد اذ حشرا

(غيره)

ياصاح ان رمت الحياة الفاخره * فاقصد حمى بنت الكرام الطاهره
ذات الكرامات المعظمة التى * أسرارها بين الخلائق ظاهره
وبها توسل واحتمى بجوارها * واذكر مصابك تلقها لك ناصره
فهى المغيثة الشباب من العدا * ب مغيثة الملهوف شمس الدائره
كم جاءها ذو آفة يرجو الغنى * جبرت بتيسير المعايش خاطره
فاغنم وسل بمقامها تعط المنى * فعلى الدوام لزائريها حاضره
وادخل وطف واسعى وسل بتأدب * ما تشتهيه ونادها ياطاهره
انى قصدتك مستغيثا لائذا * مستعطفا أهل القلوب العامره
حاشا وكلا أن يضام نزيلكم * أو أن يعود بصفقة هى خاسره
يا كعبة الاسرار جئتك لائذا * أبغى الندى من وكف كف عاطره
ياأم قاسم الغياث فاننى * عبد ضعيف الحال يدى قاصره
دنف ومسكين مهين عاير * مالى معين قط عينى ساهره
يابنت طه انتدى من لم يجد * جاها سوى ذى المعجزات الظاهره
المصطفى الهادى البشير محمد * من يرتجى كل الانام مآثره
صلى عليه الله مابدر زها * والآل والصحب النجوم الزاهره
أو ما استغاث الحامى أحمد قائلا * ياصاح ان رمت الحياة الفاخره

(قيل) ولما أن توفيت هذه السيدة الجليلة سيدتنا نفيسة رضى الله تعالى عنها كما ذكر النقباء ودفنت بهذا المشهد المعروف بها كما تقدم ذكر ذلك رغب الناس فى البناء على القبر الشريف فشرع السرى بن الحكم أمير مصر فى البناء فبنى على قبرها جزأ ثم تهدم البناء وجدد أيضا كما هو مكتوب على ألواح الرخام على باب ضريحها الذى كان مصفحا بالحديد وصورة المكتوب مانصه بعد البسملة الشريفة نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد

المكنى بابى تميم المنتصر بالله أمير المؤمنين وعضد الدين وفارس المسلمين متع الله ببقائه وأعلى كلمته وشد عضده بولده الامير الاجل الافضل جلال الدين ناصر الاسلام خليل أمير بانشاء هذا المشهد الشريف النفيس مولانا أمير المؤمنين المشار اليه على يد ولده المشار اليه أجرى الله الخيرات على يديه وضاعف مزيد البركات عليه فى شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة (وأما) القبة التى على ضريحها الشريف فالذى جددها الخليفة الحافظ لدين الله عبد المجيد العلوى الفاطمى وذلك فى بعض شهور سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة وهو الذى أمر بعمل الرخام فى المحراب ثم أخذ أرباب الدولة فى العمارة بجوار ضريحها تبركا بها وكان مكتوبا على باب ضريحها ما صورته

يا آل بيت رسول الله حبكم * فرض من الله فى القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم القدر أنكم * من لم يصل عليكم لا صلاة له

تمت هذه الرسالة وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه
وسلم

(يقول الفقير أحمد مروان)

بعد حمد من أمد بعض عباده بجزيل الكرامات وأفاض عليهم من وافر احسانه جميل الامدادات وبهى الصلاة والسلام على النبى وآله وصحبه هداة الانام
فقد نجز بعون الله الاتم واحسانه الاعم طبع مناقب قطب الغوث السلطان الحنفى مع حزب النور والاذكار وحزب الدوار للسلطان المذكور والمآثر النفيسة فى كرامات السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها
وذلك بمطبعة حضرة محمد أفندى مصطفى الكائنة بالكعكيين بجوار القطب الشهير الاستاذ سيدى أحمد الدردير على ذمة ملتزم الطبع حضرة الفاضل الامجد الشيخ سليم سيد أحمد ابراهيم القبانى أنجز الله له المقاصد وبلغه جميع الامانى وغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين أجمعين بجاه سيد الاولين والآخرين وكان تمام الطبع فى نصف شهر رجب سنة ألف وثلاثمائة وست هجرية على صاحبها أتم الصلاة وأكمل التحية آمين
وحين أشرقت شمس طبع هاتيك المناقب فى سماء هذه الازمان وبزغ بدر محياها فى أفق هذا الاوان أرخ تمام طبعها الفاضل الاديب الالمعى الاريب من له اليد الطولى فى فن الادب أحسن الله له الحال وسهل له الارب حضرة محمود أفندى حسنى ناظر مدرسة والدة المرحوم عباس باشا سابقا ونص ما قال حرفيا

ان النبيّ له في الكون آيات * وآله فضلهم للناس غايات
ان هبت الريح مسكا من شذاياه * قد أمطرت لؤلؤا منه السموات
بل شمس طلعته ضاءت مبشرة * بالنصر فينا وللاسلام رايات
فكم له من مزايا جلّ خالقها * فكيف تنكر قد دلت شهادات
قد اصطفاه اله العرش عن رسل * ان المكذب قد تكفيه آيات
ان النصارى ولو أبدوا مغالطهم * عجزا فقل لهم برهانكم هاتوا
فالرسل والاوليا من نوره ظهروا * كما بدت من غصون الروض نشاآت
لكل شئ دليل يستبين به * ومن ضيا الشمس قد تبدو شعاعات
ذاك النبيّ وكل الرسل ملتمس * والاوليا من بهاء النور سادات
فمنهم الحنفي قطب الزمان بدا * في أرض مصر له فيها العنايات
مناقب الحنفي فيها مزاياه * دلت عليه وقد تكفي الاشارات
هذي المناقب قد عمت منافعها * وأنجم الصحب هم فيها منيرات
لا تشبع العين من ابصارها أبدا * لها الهنا مدى الايام لفتات
تحيا القلوب دواما من تلاوتها * فهي الرشيد لنابل فهي مرآة
دارت كؤوس معانيها بمجلسنا * فأطربنا بحسن اللفظ كاسات
يحكي الحريري بهاء لفظها ولها * في قلب أحبابها دوما مقامات
ألفاظها من لآلي القطب ناطقة * بالسر والجهر فهي الجوهريات
فقد أتتنا عقود الدر فاغتنموا * تلك المآثر فهي اللؤلؤيات
بابهجة في الورى أرخ لكل هني * مناقب الحنفي فيها الكرامات

٨٠ ٦٥ ١٩٣ ١٧٩ ٩٦ ٦٩٣

سنة ١٣٠٦


Bibliotheca Alexandrina
03382591
